أدب الوفادة والسفارة

من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر العباسي

تأليف

أ.د/ رفعت زكي محمود عفيفي

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك، وعظيم سلطانك.

وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار.

وبعد

فلقد عرف العالم منذ أقدم العصور ألوانا متعددة من وسائل الاتصال المباشرة وغير المباشرة، دفعت إليها أسباب الحياة، وما يعتريها من حاجات ومشاكل، فكان من هذه الوسائل ما عرفناه من مكاتبات ورسائل، وكان منها ما قرأنا عنه مسطورا فى الكتب من إيفاد المبعوثين وإرسال الرسل، وما كانت تقوم به جماعات من الأفراد على هيئة وفود يتولون بأنفسهم عرض ما يعن لهم من أسباب ودواع لهذه النفرة الجماعية.

* * *

فرحلات الوفود "وإيفاد الرسل أمر معروف منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب، ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من الاتصالات الدولية، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة، وعرفه من قبل قدماء المصريين " (١) .

* * *

ولم تكن أمة العرب — على امتداد أنحاء الجزيرة العربية واتساع أرجائها — أقل من الأمم المجاورة لها فى هذا المجال ، بل إنى أراها

---

(١) سفراء النبى — صلى الله عليه وسلم — وكتابه ورسائله . د/ مختار الوكيل ص٦ سلسلة كتابك ٩٦ — دار المعارف بمصر ١٩٧٨ .

أكثر احتياجا لهذا اللون من الاتصالات؛ نظرا لطبيعة الأرض، وظـروف الحياة، وقسوة العيش، وغلظ بعض النفوس وجفائها. وكـــثرة المشـــاكل السياسية والاجتماعية، وما كانت تعكسه الحياة القبلية من ملابسات.

وكانت الكلمة هى فارس الحلبة فى هذا اللـــون مـــن الاتصـــال مكتوبة كانت أم منقولة مشافهة، ولقد حظيت المكاتبات باهتمام البـــاحثين فيما تناولوه من دراسة لفن المراسلات والمكاتبات. بينما لم تحظ الكلمـــة المنقولة مشافهة بمثل هذا الاهتمام، على الرغم مـــن كـــثرة النصـــوص الواردة فى جمهرة من المصادر والمراجع.

وخدمة للغة القرآن الكريم، التى شرفنى الله تعالى بفضيلة الانتماء إليها، والعمل فى ميدان خدمتها، أقدم هذا البحث. متوخيا الكشـــف عـــن جانب من جوانبها المشرقة المضيئة المليئة بصور البيان، المفعمة بألوان الجمال .

ولست أدعى فيه إبداعا أو ابتكارا. فمادته ــ كما أشرت ــ مبثوثة فى بطون الكتب، ولكنى بذلت جهدا فى جمعها وترتيبها، وبيان أســرارها الجمالية والفنية، وسبقت إلى الكتابة فيه، فهو ــ بإذن الله ــ بادرة طيبـــة أرجو أن أوفق فى تقديمها إلى المكتبة العربية .

ولقد نوه القرآن الكريم بالوفادة فى أكثر من آية . قـــال تعـــالى :"**اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وَجهِ أبى يَأتِ بَصيرًا، وأْتونى بـــأهلكم أجمعين** "([1]) وقال :"**ولما وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ**"([2]) وقال :"**يوم نَحشُرُ المتقيـــن إلى الرحمنِ وَفْداً ونسوق المجرمين إلى جهنمَ وِرْداً**"([3]) .

([1]) يوسف /٩٣ .
([2]) القصص ٢٣ .
([3]) مريم ٨٥،٨٦ .

وهذا البحث يتناول أدب الوفادة والسفارة ، حيث قام رجال ونساء بهذه المهمات معبرين بالأساليب العربية البراقة المؤثرة، وبمقطوعات أدبية كان لها فعل السحر فى تحقيق مآربهم، وبلوغ أهدافهم التى ابتعثوا أو وفدوا من أجلها، ولعل فى قول عبد الله بن جعفر الطالبى([1])

إذا كنتَ فى حاجةٍ مُرسِلا فأرسِلْ حكيما ولا تُوصِهِ
وإنْ بابُ أمرٍ عليك التَوَى فشَاوِر لَبِيباً ولا تَعْصِهِ

أقول: لعل فى هذا القول ما يلقى الضوء على شخصية هؤلاء الأدباء الذين كانت لهم صفات تفرّدوا بها، وأهلتهم للقيام بما كلفوا — أو تطوّعوا — للقيام به ٠ مما سألقى عليه الضوءَ فى مكانه من البحث إن شاء الله تعالى ٠

وإنى إذ أقدم هذا البحثَ للقارئ العربى، أرجو أن أكونَ قد أسهمتُ فى فتح نافذة نطل منها على بستان أدبنا العربى، نتنسّم أريجَ أفنانِه العطرة، التى تتناغمُ مزهوّة بعبق تراثنا الأصيل، ومتخذين منه دليلا على درب المستقبل الوضيئ الذى تفيضُ جوانبه بالإشراق والازدهار، مسايرين ركْبَ الحضارة الذى يمضى مسرعا يسابقُ الزمنَ آخذين فيه بنصيبنا فى موكب الرقى البشرى٠

والله — تعالى — أسأل أن يكتب لنا التوفيق، ويتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به، ويجعله قبسا يضىء سبيل السارين فى دنيا المعرفة — إنه سميع مجيب٠والله من وراء القصد، وهو الهادى إلى سواء السبيل.

د/ رفعت زكى محمود عفيفى
القاهرة — مارس ١٩٩٨م

([1]) الموشح (مآخذ العلماء على الشعراء) ٠ أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ص١٥ ط٢ — القاهرة ١٣٨٥هـ— المطبعة السلفية ٠

الباب الأول

—

الوفادة والسفارة

وأشهر الوفادات والسفارات

الفصل الأول

—

بين الوفادة والسفارة

الفصل الأول
بين
الوفادة والسفارة

لكى يتضح المعنى المقصود من هذين اللفظين، ويتم التعرف على أبعادهما اللغوية والاصطلاحية، والإحاطة بما يدور فى فلكهما من ألفاظ أخرى تؤدى المعنى المقصود من أى منهما، أو تسهم فى القيام بنفس وظيفتهما، وما قد يعرض للقارئ من ألفاظ تجرى فى حلبتهما، أو نصوص تدور فى إطارهما.

لذا نعرض لهذين المصطلحين وما جاء عنهما فى المعاجم، حتى نتبين فى جلاء ووضوح ما يرمى إليه كل منهما، وما يدور مدارهما من ألفاظ أخرى :

الوفادة والسفارة لغة واصطلاحا

الوفادة: تناولت المعاجم هذه اللفظة من حيث دلالتها اللغوية بما يأتى:

١- القاموس المحيط (١) :

وَفَدَ إليه ، وعليه: يَفِدُ وَفْداً ووُفُودًا ووِفَادَة وإِفَادَة : قَدِمَ، ووَرَد وأَوْفَدَهُ عليه وإليه، وهم وُفُود ووَفْد وأَوْفَاد ووُفُدٌ.

(١) القاموس المحيط للفيروزابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب) ص٤١٧ مؤسسة الرسالة • بيروت ط٢ (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) •

والوافد: السابق من الإبل، والقطا سائرها، والمرتفع من الخَدّ عند المضغ، ومن شاب غاب وافِدُه.

ووافِد: حيٌّ، والإيفاد: الإشراف، كالتَوفُّد، والإرسال كالتوفيد ورَفْعُ الريم رأسَه، ونصبُه أذنيه، والإسراع والارتفاع.

والوَفْد:ذروة الحبل من الرمل المشرف، والمستوفِد: المستوفز .

وبنو وفدان : حيٌّ . والأوفاد: قوم، وهم على أوفاد: على سفر .

* * *

٢- وفي لسان العرب : ([1])

قال الله تعالى :" **يَوم نَحشُرُ المتقين إلى الرَّحمنِ وَفْــدًا** " قيل: الوفد: الركبان المكرّمون . الأصمعي: وَفَد فلان يَفِد وِفَادة:إذا خرج إلى ملك أو أمير . ابن سيدة: وَفَدَ عليه وإليه يَفِد وَفْدًا ووفودا ووفادة وإفادة (على البدل) قَدِم ، فهو وافِد.

قال سيبويه: وسمعناهم ينشدون بيت ابن مقبل:

إلا الإفادة فاستولت ركــائبنا عند الجبابير بالبأساء والنّعَــم

(وقد عبر ابن مقبل عن الوفادة — بالإفادة) .

وأوفده عليه، وهم الوَفْد والوفود، فأما الوفد فاسم للجمع، وقيل: جمع،وأما الوفود، فجمع وَافِد . وقد أوفده إليه .

ويقال : وفّد الأمير إلى الأمير الذى فوقه { وأوفد فلان إيفـادًا: إذا أشرف}

الجوهري: وفد فلان على الأمير ، أى: وَرَد رسولا، فهو وافِد.

وجمع الوفد: أوفاد ووفود .

([1]) لسان العرب {لابن منظور الافريقى المصرى الامام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور } مجلد ٦ ص٤٨٨١،دار المعارف ، مجلد ٣ ص ٤٦٤، ٤٦٥ دار صادر / لبنان .

وأوفدته أنا إلى الأمير: أرسلته

والوافد من الإبل: ما سبق سائرها، وقد تكرر الوفد في الحديث وهم القوم يجتمعون فيردون البلاد. واحدهم وافد.

والذين يقصدون الأمراء لزيارة واسترفاد وانتجاع وغير ذلك والإيفاد: الإسراع. وفي الحديث: "**وَفْدُ الله ثلاثة**". وفي حديث الشهيد: "**فإذا قتل فهو وافد**" لسبعين يشهد لهم.

وقوله: أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم. وتوفّدت الإبل والطير: تسابقت، وأوفد الشيء: رفعه. وأوفد هو: ارتفع. وأوفد الريم: رفع رأسه ونصب أذنيه. قال تميم بن مقبل:

تراءت لنا يوم السيار بفاحم وسنّة ريم خاف سمعا فأوْفَدا

ورَكْب موفِد: مرتفع. وفلان مستوفد في قعدته. أي: منتصب غير مطمئن كمستوفز، وأتيت على أوفاد: أي على سفر قد أشخصنا، أي: أقلقنا.

والإيفاد على الشيء: الإشراف عليه، والإيفاد: الإسراع، وهو في شعر ابن أحمر.

والوفد: ذروة الحبل من الرمل المشرف. والوافدان: اللذان في شعر الأعشى هما: الناشزان من الخدّين عند المضغ، فإذا هَرِم الإنسان غاب وافده، ويقال للفرس: ما أحسن ما أوفد حاركُه. أي: أشرف. وأنشد

نرى العلافى عليها مُوفِدا
كأنّ برجا فوقها مشيَّدا

أي مشرفا. والأوفاد: قوم من العرب، وقال:

فلو كنتم منا أخذتـــــم بيأسنا ولكنما الأوفاد أسفل سافل

ووافد • اسم • وبنو وفدان : حىّ من العرب

أنشد ابن الأعرابى:

إن بنى وفــــدان قوم سُكّ

مثل النعــــام، والنعام صُكّ

* * *

٣- **وفى المصباح المنير**(١) :

(وفد) على القوم وَفْداً، من باب وَعَد • و{وُفُوداً} فهو {وافد}، وقد يجمع على {وِفَاد، ووَفْد} وعلى {وفد} مثل صـــاحب وصحـــب: ومنـــه "الحاج وَفْدُ الله" ، وجمع الوفد {أوفاد ووفود} •

* * *

٤- **وأورد صاحب (تاج اللغـــة وصحـــاح العربيـــة) المسمـــى بالصحاح**(٢):

(وفد) وَفَد فلان على الأمير، أى ورد رسولا، فهو وافد، والجمـــع وَفْد مثل صاحب وصَحْب• وجمع الوفد: أوفاد ووفود، والاسم: الوفـــادة وأوفدته أنا إلى الأمير: أى أرسلته•

والوافد من الإبل: ما سبق سائرها•

والإيفاد على الشئ: الإشراف عليه• وقال:

تـــــرى العِلافىّ عليها مُوفداً

كـــــــأنّ بُرجاً فوقَها مشيَّداَ

---

(١) المصباح المنير • جـــ٣ ص٣٤٣ ـــ أحمد بن محمد بن على المقريزى الفيومـــى (ت٧٧٠هــ) ط مصطفى الحلبى / مصر •

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)جـــ٢ ص٥٥٣ ـــ اســـماعيل بـــن حمـــاد الجوهرى،تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطار• ط١٩٨٢/ القاهرة •

ويقال للفرس: ما أحسن ما أوفد حاركه، أى أشرف .

والإيفاد أيضا : الإسراع .

والوفد : ذورة الحبل من الرمل المشرف.

* * *

٥- وزاد **المعجم الوسيط** على ما سبق (١):

(استوفد) فلانا: طلبه أن يقدم عليه. واستوفده: أرسله وَفْدا إلى الغير .

و (الوَفْد) : جمع الوافد، و(الوَفْد) : جماعة مختارة للتقدم في لقاء ذوى الشأن . (ج) وفود . وجاءت مادة (وفد) فيه على النحو التالى(٢):

(وفد) على القوم وإليهم — (يفد) وَفْدًا ووفودا، ووفادة :قَدِم.

و ...وَرَدَ رسولا، فهو وافد (ج) : وفود ووَفْد وأوفاد ووُفَّد .

(أوفد) أسرع. و...الشئُ: أشرف وارتفع، و...الرئم رفع رأسه ونصب أذنيه . و....الشئَ: رفعه، و...فلاناً على الأمير وإليه: أرسله.

و(أوفده) على الأمير: وفد معه.

و (وفده) على الأمير وإليه: أرسله .

و (توافد) القومُ عليه: قدِموا ووَرَدُوا .

و (توفّد) عليه: أشرف، و....الطيرُ والإبلُ: تسابقت

و(استوفد) فى قعدته: ارتفع وانتصب.

---

(١) المعجم الوسيط /جـ٢ ص١٠٥٨ — لجنة من ابراهيم مصطفى وآخرين.
ط/المكتبة العلمية بطهران.

(٢) المعجم الوسيط جـ٢ ص١٠٤٥ .

و . . . . فلانا: طلب أن يقدم عليه . و . . . . أرسله وَفدًا إلى الغير

(الأوفاد) يقال: نحن على أوفاد قد أشخصنا: أى على سفر قد أقلقنا .

(الوافد) : المرتفع الناشز من الخد عند المضغ، وهما وافدان .

و . . . . من القطا والإبل: ما سبق سائرها .

(الوَفّاد) الكثير الوفود . (الوفد) جمع الوافد .

و(. . . . .) : جماعة مختارة للتقدم في لقاء ذوى الشأن .

(ج) : وفود .

و(. . . . .) ذروة الحبل من الرمل المشرف (ج) وفود وأوفاد .

• • •

٦- ويبين صاحب {أسرار الحماسة}(١)

المقصود بالوفد ، فيقول: الوفد اسم فى الأصل للركبان يسيرون لزيارة ملك، أو استرفاد أمير، أو انتجاع لخصب. أو ما أشبه ذلك .

• • • • •

وبالنظر فيما سبق عرضه، نجد أن لفظة (الوفادة) هى كلمة دالة على الجماعة من القوم — يسمون الوفد — يخرجون إلى ملك أو أمير أو عظيم، لأداء أمر ذى شأن ، يتعلق بهم أو بقومهم. كعرض قضية، أو الدفاع عن اتهام، أو لأمر من الأمور الاجتماعية. كتهنئة على منزلة، أو حدث سار، أو لطلب عون واسترفاد، أو لطلب زواج، أو ما يشبه ذلك .

وقد احتوت المادة اللغوية — أيضا — على بعض ما ينبغى أن يكون عليه أفراد الوفد من صفات وخصائص، كالحيوية والنشاط فى أداء مهمتهم ، فهم يتسمون بالإسراع (كما جاء فى القاموس) ، كما أنهم من

---

(١) أسرار الحماسة جـ١ ص٣٩ السيد على المرصفى حـ١٩١٢/١ — القاهرة مطبعة أبى الهول .

علية ، فيهم الارتفاع والإشراف (كما جاء فى لسان العرب)، حتى تلائم منزلتهم مَن يسعون إليه، فهم ليسوا من عامة الناس، بل من أشراف قبيلتهم ونبهائهم، والمستحقين للتقدم على مَن سواهم، ففيهم صفات السبق والإشراف والارتفاع.

ولعل فيما أضافه (المعجم الوسيط) من تعبير خير دليل على ما أقول، حيث عرف الوفد بأنه (جماعة) ثم وصف هذه الجماعة بأنها (مختارة) ، والاختيار لا يكون إلا بانتقاء أفضل العناصر وأرقاها فى القبيلة أو المجتمع؛ لأنهم بصدد التقدم للقاء ذوى الشأن والمنزلة.

والوفد مرآة قومه، فإذا كانوا نابهين، رفع ذلك من قدر ذويهم وكان عامل اقتناع لمن يفدون عليه.

كما ينبغى أن يكون أفراد الوفد على درجة عالية من اللباقة وحسن إدارة الحوار، والتمكن من ناصية اللغة والمقدرة البيانية، والنباهة والذكاء، والإلمام بأبعاد ما أوفدوا من أجله، ومعرفة كل أسراره وخفاياه وأبعاده.

وكل عضو من أعضاء الوفد يلزم أن يكون حكيما أريبا، كما سبق وأوردته فى أبيات عبد الله بن جعفر الطالبى.

هذا، وقد جاء فى بعض النصوص المتعلقة بالوفادة التعبير بلفظ (القدوم)، فجاءت بعض الروايات مصدرة بلفظ (قدم) أو (أتى) بدلا عن (وفد)، وهو ما يؤدى نفس المعنى والغرض .

أما (السفارة)، وهى الشق الثانى من هذا البحث، فقد تناولتها معاجم اللغة ، بما يأتى:

١-القاموس المحيط (١) :

و .... رَجُلٌ سَفْرٌ، وقَوْم سَفْر وسافرة وأَسفارٌ وسُفَّار: ذوو سفر لضد الحضر.

والسافر: المسافر. لا فعل له، والقليل اللحم من الخيل، وبـهاء: أمّة من الروم. كأنه لبُعدهم وتوغّلهم في المغرب، ومنه الحديث: لـولا أصوات السافرة لسمعتم وَجْبَةَ الشمس".

والمِسفَر: الكثير الأسفار، والقويّ على السفر.

وقد سفَره يَسفِره وأسفَره وسَفَّره.

وسفر بين القوم: أصلح. يسفِر ويسفُر سَفْرا وسَفَارة وسِفَارة فـهو سفير.

وسفّره تسفيرا: أرسله إلى السَّفَر، وتسفّر: أتى بسَفَر

... وتَسفّر شيئا من حاجته: تداركه.

وتسفَّر فلاناً: طلب عنده النَّصَف من تبعة كانت له قِبلَه

السفير: ... والقيّم بالأمر المصلح له ... والرجـل الظريـف والعبقرى الحاذق بصنعته.

السَّفَر: (بلاهاء) قطع المسافة (ج) أسفار

وسافر إلى بلد كذا سِفَارا ومسافرة: مضى

* * *

٢-وفي لسان العرب (٢) :

السفير: ما تسفره الريح من الورق.

والذهاب. من أسفرت الإبل إذا ذهبـت فـي الأرض. والسَّـفَر سفران: سفر الصبح، وسفر المساء.

---

(١) مادة سفر ص ٥٢٢،٥٢٣.
(٢) مجلد ١ ص٢٠٢٤، ٢٠٢٥ ط دار المعارف ــ مصر.

السفير: الرسول والمصلح بين القوم. والجمع: سفراء، وقد سفر بينهم يسفِر سفرًا وسِفارة وسَفَارة: أصلح. وفى حديث علىّ أنه قال لعثمان: إن الناس قد استسفرونى بينك وبينهم. أى: جعلونى سفيرا، وهو الرسول المصلح بين القوم.

يقال: سفرت بين القوم، إذا سعيت بينهم فى إصلاح "بِأَيْدِى سَفَرَة". السَّفَرَة كَتَبَة الملائكة الذين يحصون الأعمال.

قال ابن عرفة: سميت الملائكة سَفَرة؛ لأنهم يَسفِرون بين الله وبين أنبيائه.

قال أبو بكر: سُمُّوا سَفَرة؛ لأنهم ينزلون بوحى الله وبإذنه. وما يقع به الصلاح بين الناس. فشُبِّهوا بالسفراء الذين يصلحون بين الرجلين فيصلح شأنهما.

وفى الحديث: "مَثَلُ الماهر بالقرآن مثل السَّفَرَة". هم الملائكة جمع: سافر. والسافِر فى الأصل: الكاتب. سُمِّىَ به لأنه يبين الشئ ويوضحه.

قال الزجاج: قيل للكاتب: سافر، وللكتاب: سفر؛ لأن معناه أنه يبين الشئ ويوضحه"(١).

* * *

٣-**وفى المصباح المنير**(٢):

(سفر): {سفر الرجل سَفْرا} من باب ضرب، فهو سافر والجمع: سَفْر، مثل: راكب وركب، وصاحب وصحب، وهو مصدر فى الأصل والاسم (السَّفَر) بفتحتين، وهو قطع المسافة، يقال ذلك إذا خرج للارتحال، أو لقصد موضع فوق مسافة العدوى، لأن العرب لا يسمون

---

(١) المرجع السابق جـ١ ص٢٠٢٦.
(٢) المصباح المنير جـ١ ص٢٩٨.

مسافة العدوى سفرا، وقال بعض المصنّفين: أقل السفر يوم، كأنه أخذ من قوله تعالى :"رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا" فإن فى التفسير، كان أصل أسفارهم يوما...

ومنه: (سَفَرتُ) بين القوم أسفِر — أيضا — سِفارة. بالكسر: أصلحت، فأنا (سافر وسفير) .

وقيل للوكيل ونحوه: سفير . والجمع سفراء، مثل شريف وشرفاء وكأنه مأخوذ من قولهم : (سفرت الشئ سَفْرًا) من باب ضرب: إذا كشفته وأوضحته؛ لأنه يوضح ما ينوب فيه ويكشفه(١).

• • •

٤- **المعجم الوسيط** (٢) :

(سفر) سفورا : وضح وانكشف .....

وسفر الرجل سفرا: خرج للارتحال، وسفر الشئَ سفرا، كشفه وأوضحه......

و(سفَّره) : جعله يسافر، ومنه: سفر بين القوم سَفْرا وسِفَارة: أصلح، فهو سافر وسفير ....

و(سافر) مسافرة وسفارا: خرج للارتحال(٣).............

....

و(السفير) الرسول.... والمصلح بين قومين.

وفى القانون الدولى: مبعوث يمثل الدولة لدى رئيس الدولة المبعوث إليها ....

....

(١) المصباح المنير جـ١ ص٢٩٨ .
(٢) المعجم الوسيط ص٤٣٢ ابراهيم مصطفى وآخرون ط . دار الدعوة (تركيا) اسطنبول سنة ١٩٨٦ — توزيع مكتبة الحرمين بالرياض .
(٣) السابق ٤٣٣ .

واستسفره: جعله سفيرا بين قوم وقوم......

و(السِّفَارة) : عمل السفير، و.... مقامه.

• • • • •

هذا، وقد ورد فى بعض النصوص. استعمال ألفاظ أخرى تقـــوم مقام مادة (سفر) مثل لفظ:

(بعث): بعثَه يبعثُه بعثًا: أرسله وحده، و(بَعَثَ به): أرســله مــع غيره، وابتعثه أيضا: أرسله فانبعث.

وفى حديث علىّ يصف النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ: شـــهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة... أى مبعوثك الذى بعثتـــه إلـــى الخلـــق(١)

و(البعث): الرسول... وبعث الجند إلى الغزو.

قال النمر بن تولب لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

إنا أتيناك وقد طـــال السَّفَـــر نقـــود خيــلاً ضُمَّرًا فيها عَسَرْ

نُطعِمُها الشحمَ إذا عزَّ الشجـــر والخيلُ فى إطعامِها اللحمَ ضَرَرْ(٢)

* * *

وجاء فى مادة (بعث) ـــ أيضا ـــ:

و(البَعَث): القوم المبعوثون المُشْخَصُون. ويقال هـــم: البعْـث. بسكون العين.والبعث: يكون بعث للقوم، يُبْعَثُون إلى وجه من الوجـــوه مثل السفر والركب.

والبعث فى كلام العرب على وجهين:

---

(١) لسان العرب المجلد الثانى ١١٦ ابن منظور دار صادر ببيروت.
والمجلد الأول٣٠٧ ابن منظور دار المعارف: مصر.

(٢) الشعر والشعراء ٢٣/١ (المقدمة) ابن قتيبة. تحقيق / أحمد محمد شـــاكر دار التراث العربى ط٣ /سنة ١٩٧٧م .

أحدهما: الإرسال.... والإرسال التوجيه. وقد أرسل إليه.
والاسم الرِّسالة والرَّسالة..... وتراسل القوم: أرسل بعضهم إلى بعض([1])

فالبعث والإرسال عنده بمعنى. وكذلك أتى لفظ (بعث) بمعنى الإرسال فى المعجم الوسيط، ففيه([2]):

(بعث): بعثه — بعثا وبعثة: أرسله وحده، ويقال: بعثه إليه وله: أرسله.

لكنه حدد الإرسال هنا بقصره على الرسول. دون الجماعة كما فى لسان العرب، وأراه أدق فى الإتيان بمعناه .

* * *

وفى المصباح المنير {مادة : رسل} .

{ أرسلت رسولا } بعثته برسالة يؤديها ([3]) .

ويعرّف الرسول فى كتب اللغة بأنه: الذى يتابع أخبار الذى بعثه. أخذًا من قولهم: جاءت الإبل رَسَلًا: أى متتابعة.

* * *

وبهذا العرض أكون قد بينت ما جاء فى كتب اللغة من دوران الكلمات الثلاث: سفر وبعث وأرسل، فى دائرة يتقارب فيها المعنى، وهو إيفاد شخص مخصوص إلى جهة مخصوصة، أو شخص مخصوص لأداء مهمة مخصوصة، مع بيان التفاوت اليسير لأصحاب هذه الكتب من قصرها على شخص واحد أو جماعة. مع بيان اختيارى لكلمة (سفر) و{السفارة} وما تدل عليه من إيفاد شخص واحد، وهو ما ذهب إليه المعجم الوسيط.

([1]) لسان العرب ١٦٤٤/١ ط دار المعارف، ١١٦ ط بيروت .
([2]) المعجم الوسيط (بعث) ٦٢/١ .
([3]) المصباح المنير ٢٤٢/١ .

وعليه، فإنى أذهب إلى تعريف اللفظين، مناط هذا المبحث الأول:
الوفادة والسفارة، كما يلى :

١-**الوفادة:** قيام جماعة قد يكونون رجالا، أو نساء، بالانتقال من مكان إلى مكان آخر، بقصد القيام بأمر خاص لدى كبير أو زعيم. وقد يتحدث عن الوفد متحدث أو أكثر . أما

٢-**السفارة:** فهى قيام شخص يختار طبقا لمواصفات خاصة للقيام بأداء رسالة خاصة لدى ملك أو زعيم أو كبير، وهو الذى يتحدث أو ينقل الرسالة، يرفعها أو يدلى بمضمونها أو ملخصها. ويكون ذلك فى أوقات السلم أو الحرب، بين الدول أو الأفراد.

ونلاحظ أنه لابد من اختيار من يقومون بأداء هذا الأمر موفدين أو رسلا من أفراد نابهين ذوى شأن، على قدر كبير من اللباقة والكياسة وحسن الأداء والبيان؛ لأنهم سيواجهون ملوكا أو زعماء أو قادة ، فيلزم أن يكونوا متمتعين بالفصاحة واللسن، ومتحلين بالذكاء وحسن القريحة ويجيدون العرض والرد، ملمين بتفاصيل وأسرار ما من أجله ابتعثوا وأن يكونوا على قدر كبير من رجاحة العقل والسمت الطيب ، والشكل الحسن، حتى يحوزوا القبول، وينالوا ما يسمح لهم بقضاء ما من أجله تجشموا أهوال السفر وما تحملوا من أداء أمانة حُمِّلوا قضاءها .

الفصل الثانى

أ- أشهر الوفادات وأفرادها

نظرا لأهمية الدور الذى كانت تقوم به الوفود، وأهمية ما تسعى إلى تحقيقه من أهداف، وما يترتب على ذلك من آثار تعود على المجتمع العربى بالخير والفائدة، حرصت بعض المراجع على رصد بعض هذه الوفادات على تفاوت فيما بينها.

ونجد أن أهم الوفود التى حظيت بالرصد والتسجيل، هى تلك الوفادات التى اقترنت بمناسبات لها خطورتها وأهميتها، فمع إشراقة الإسلام الحنيف، وما أحدثه فى أوساط الجزيرة العربية من تغير جذرى هزّ كيان المجتمعات القبلية والحضرية، وغيّر المفاهيم العَقَدية والأفكار الدينية، وحرّك النفوس والعقول، ودفع كبار الأقوام ومفكريها إلى القيام برحلاتهم للقاء سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لتفهّم حقيقة الدين الجديد، وإعلانهم الإنضواء تحت لوائه.

كما أن بعض المراجع الأدبية تناولت طرفا من هذه الوفود — قبل ظهور الإسلام — وسجلت ما كان يدور بين أطرافها.

١- فهذا هو الجاحظ يورد فى كتابه : (١) .

" لما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر، زرى عليه(٢) للذى رأى من دمامته وقِصَره وقِلَّتِه .

فقال النعمان :"تَسمعُ بالمُعيدِىّ لا أن تَراه"

---

(١) البيان والتبيين ١/١٧١ ط الخانجى سنة ١٩٧٥ القاهرة

(٢) عابه — وعاتبه (مادة: زرى — القاموس المحيط ص١٦٦٦) .

فقال {أى ضمرة} : أَبَيْتَ اللَّعن . إن الرجالَ لا تُكال بالقُفْزَان([1])
ولا توزن بالميزان، وليست بمُسُوك([2]) يستقى بها ، وإنما المرء
بأصغريه: بقلبه ولسانه، إن صال صال بجَنان، وإن قال قال ببيّان".

٢-ومن أشهر وفادات ما قبل الإسلام وفادة قس بن ساعدة على
قيصر، فقد حكى ، أن "قس بن ساعدة ، كان يفد على قيصر ويزوره
فقال له قيصر يوما: ما أفضل العقل؟

قال (قس): معرفة المرء بنفسه .
قال : (قيصر): فما أفضل العلم ؟
قال : (قس): وقوف المرء عند علمه .
قال : (قيصر): فما أفضل المروءة؟
قال : (قس) : استبقاء الرجل ماء وجهه .
قال : (قيصر) : فما أفضل المال؟
قال : (قس) : ما قضى به الحقوق ([3]).

٣-ومنها: وفادة النعمان بن المنذر على كسرى أنو شروان
فقد روى ابن القطامى عن الكلبى قال:
"قدم النعمان بن المنذر على كسرى، وعنده وفود الروم والهند
والصين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب، وفضلهم

([1]) القفزان جمع قفيز . وهو مكيال ثمانية مكاكيك . القاموس المحيط ص ٦٧٠ .
([2]) مسوك: ج مسك . والمسك: الجلد ١٢٣٠ القاموس المحيط .
([3]) الأمالى ٢/٩٣،٣٧ لأبى على القالى . الهيئة المصرية العامة للكتاب / مصر ١٩٧٥ والجمهرة ٢٨٣ .

على جميع الأمم لا يستثنى فارس ولا غيرها"[١].

وقد دار فى هذا اللقاء بين النعمان وكسرى حوار ساخن حاول كسرى فيه أن ينال من العرب وعاداتهم وأخلاقهم وبلادهم، فرد عليه النعمان معقبا، ومفندا كل ما ادعاه كسرى داحضا له، وهو ما سنعرضه بالتفصيل عند تناول النصوص بالدراسة والشرح والتحليل.

٤- رسل النعمان إلى كسرى[٢]:

عاد النعمان من الحِيرة وقد آلمه وحزّ فى نفسه ما سمع من كسرى، وتنقصّه العرب، والإزراء بهم، وتهجين أمرهم، فقرر أن يبعث إلى كسرى بوفد عربى، يرد له الصاع صاعين، ويُعْلِمه عظمة العرب ومنعتهم، فأرسل إلى أكثم بن صيفى، وحاجب بن زرارة التميميين وإلى الحارث بن عُبَاد وقيس بن مسعود البكريين، وإلى خالد بن جعفر وعلقمة بن معد يكرب الزبيدى، والحرث بن ظالم المرى، وتَحَدَّث معهم عما بدر من كسرى، وكلفهم بالشخوص إليه، والتحدث بين يديه، والرد عن العرب. وجهزهم بما يتجهز به الوفد، وأوصاهم، فلما كانوا بين يدى كسرى، وقف كل منهم بين يديه متحدثا — بما سنعرض له عند دراسة النصوص إن شاء الله تعالى.

---

[١] العقد الفريد ٢٢٨/١ ابن عبدربه تحقيق/محمد سعيد العريان/دار الفكر ١٩٤٠ مصر/ العقد الفريدم٢/ص٥ ابن عبدربه تحقيق/أحمد يسرى العزبلوى/ دار الإمام على المعادى مصر ١٩٩٢ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٢/٥ .
البداية والنهاية ابن كثير جـ٥ ص٢٦٢ إلى ٢٦٨ مكتبة المعارف — بيروت ط٢ ١٩٧٧ (أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى ت٧٧٤) .=
وانظر/ تاريخ الطبرى جـ٢ ص٣٧٨ (الوفود) . وانظر : جمهرة خطب العرب ٥١/١ لأحمد زكى صفوت — ط الحلبى ١٩٦٢ ط٢ .

[٢] العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق محمد سعيد العريان ٢٣١/١ .
العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق / أحمد يسرى ص ١١ م ١٠ .

٥- **وفود حاجب بن زرارة على كسرى** ([1]) :

وفد حاجب بن زرارة على كسرى لما منع تميما من ريف العراق • فاستأذن عليه، فأوصل إليه • ودار بينهما حوار، وقدّم له ضمانا بالوفاء، ارتهنه قوسه، حتى أذن لقومه بدخول ريف العراق•

٦-لما مات حاجب وفد ابنه عطارد بن حاجب إلى كسرى لاسترداد قوس أبيه، فردها إليه كسرى•

٧- **وفود أبي سفيان إلى كسرى:**

... قال أبو سفيان: أهديتُ لكسرى خيلا وأدَمًا، فقبِل الخيل، وردّ الأدَم وأُدخلْتُ عليه، فكأنّ وجهه وجهان من عِظَمِه، فألقى إليّ مخدة كانت عنده([2]) •

ولا شك في أنه كانت هناك وفدات كثيرة على كسرى من العرب، ولكن هذه أشهرها•

وإذا لاحظنا أعضاء هذه الوفود العربية على كسرى ندرك أن هؤلاء الرجال كانوا من رؤساء قبائلهم، وأرفعهم شأنا، وأعزهم جانبا وأروعهم بيانا، وأثبتهم جنانا، وأنصعهم لسانا•

كما نلحظ أن كسرى كان يحظى بهذه الوفود، لما كان عليه من عظمة السلطان، واتساع رقعة المملكة، وقوة بأسها، وشدة بطشها، وكثرة خيرها، وامتلاء خزائنها، وتحضّرها بين الأمم وتقدمها •

([1]) نفسه/ ابن عبد ربه تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢٣٩/١ •
نفسه/ ابن عبد ربه تحقيق أحمد يسرى ١٠م ص ٢١ •

([2]) نفسه ابن عبد ربه تحقيق / محمد سعيد العريان ٢٤٠/١ •
نفسه ابن عبد ربه تحقيق /أحمد يسرى ١٠ ص٢٢ •

ولم يمنع جبروت كسرى وصلفه وتجبّره وتصدّيه للعرب بـــالحقد والازدراء من مقابلة رجالات العرب، والاســـتماع إليـــهم، ومناقشـــتهم ومحاورتهم. فهو ملك عظيم، والعرب أمة عظمى. لها تقاليدها وقيمـــها وعاداتها الكريمة التى تنم عن سؤدد ومنعة بين الأمم، طبعتهم صحراؤهم بصلابة أحجارها، وحصنتهم بسمو جبالها، كما منحتهم سعتها وامتدادهـــا سماحة وكرما.

ب-الوفود على النعمان بن المنذر

١-وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر :

كان النعمان يحب الشعراء ويجيزهم ويقربهم، كالنابغة وغيره، يفد إليه الشعراء يمدحونه لينالوا رفده وعطاءه، فكان حسان بن ثابت أحدهم. حكى ابن عبد ربه ، قال: (١)

"وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر، قال: فلقيتُ رجـــــلا ببعض الطريق، فقال لى : أين تريد؟ قلت: هذا الملك. قال : فـــــإنك إذا جئته متروك شهرا، ثم تُترَكُ شهرا آخر، ثم عسى أن يأذن لك، فإن أنــت خلوتَ به، وأعجبتّه فأنت مصيب منه خيرا، وإن رأيتَ أبا أمامة النابغـــة فاظعن ، فإنه لا شئ لك! قال: فقدِمتُ عليه، ففعل بى ما قال، ثم خلـــوت به وأصبت ما لا كثيرا، ونادمتُه ، فبينما أنا معه، إذا رجل يرتجز حـــول القبة فيقول:

أَنامَ أم يسمعُ رَبُّ القُبَّهْ   يا أَوْهَبَ الناسِ لعَنْسٍ صُلبَهْ
ضَرَّابة بالمِشْفَر الأَذِبَّهْ   ذات نجاءٍ فى يديهـــا جذبَهْ

---

(١) العقد الفريد / ابن عبد ربه تحقيق / محمد سعيد العريان ١/٢٤٠،٢٤١ .
العقد الفريد / ابن عبد ربه تحقيق / أحمد يسرى م ١٠ ص٢٢ .

فقال النعمان: أبو أمامة: ائذنوا له، فدخل فحيّاه وشـــرب معـــه ووَرَدَت النَّعَم السُّود، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أســـودٌ غـــيره، ولا يفتحل أحدٌ فحلاً أسود، فاستأذنه النابغة فى الإنشاد، فـــأَذِنَ لـــه، فأنشـــد قصيدته التى يقول فيها:

فإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكب ... إذا طَلَعتْ لم يَبْدُ منهنَّ كَوكبُ

فأمر له بمائة ناقة من الإبل السُّود برعاتها، فما حسدتُ أحدًا قـــط حسدى له فى شِعره، وجزيلِ عطائه.

ويذكر الأصفهانى(١) أنه "أقبل رَكبٌ من بنى أســـد ومـــن قيـــس يريدون النعمان، فلقوا حاتما، فقالوا له: إنا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا إليك رسولا برسالة.

قال: وما هى؟

فأنشده الأسديون شِعرًا لعَبيد ولبِشْر يمدحانه، وأنشـــد القيســـيون شعرًا للنابغة، فلما أنشدوه قالوا: إنا نستحى أن نســـألك شـــيئا، وإن لنـــا لَحاجة. قال: وما هى؟

قالوا: صاحبٌ لنا قد أَرجَل {أى ليس له ما يركبه، فهو راجل}.

فقال حاتم: خذوا فرسى هذه فاحملوا عليها صاحبكم، فأخذوهـــا وربطت الجارية فلوها بثوبها، فأفلت، فاتَّبعته الجارية. فقال حـــاتم: مـــا تبعكم فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية.

---

(١) الأغانى/ لأبى الفرج الأصبهانى ـ/ على محمد البجاوى ١١ /٣٩٢،٣٩١ الهيئـــة المصرية العامة للكتاب.

ومن الوفادات علي النعمان بن المنذر

وفادة أكثم بن صيفى، وحاجب بن زرارة التميميين، والحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين. وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل. وعمرو بن الشريد السلمى، وعمرو بن معد يكرب الزبيدى والحارث بن ظالم المرى — وقد وفدوا على النعمان بن المنذر (١).

ومن وفدوا علي النعمان بن المنذر: أبو براء (ملاعب الأسنه): عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، وإخوته: طفيل ومعاوية وعبيدة ومعهم: لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر (وهو غلام) (٢).

ولعل من أشهر الوفادات على النعمان بن المنذر، وفادة الشاعر: النابغة الذبيانى، وقد كان كثير التردد عليه.

ومن وفدوا علي النعمان بن المنذر: الصقعب بن عمرو النهدى(٣)

وكان ممن وفد على المنذر بن النعمان الأكبر: عامر بن جوين الطائى(٤)

جـ—وفود قريش على سيف بن ذى يزن بعد قتله الحبشة(٥):

قال ابن عباس: لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة، وذلك بعد مولد النبى — صلى الله عليه وسلم ، أتته وفود العرب وأشرافها

---

(١) جواهر الأدب/ ١٩٧/١ أحمد الهاشمى دار الكتب العلمية • بيروت ط٢٩ سنة ١٩٧٨ .

(٢) الأغانى/ ١٨٣/١٧ وما بعدها الأصفهانى •

(٣) أمالى ابن دريد/ ٢٠٢ ابن دريد •

(٤) نوادرالأمالى/ ١٩٧ ابن دريد

(٥) العقد الفريد/ ابن عبد ربه تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢٤١/١ .
العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ أحمد يسرى م١ /ص٢٣ .

وشعراؤها تهنئه وتمدحه، وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه، فأتاه وفد قريش ، فيهم عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان، فقدموا عليه وهو فى قصر يقال له غمدان٠

ووقف بعضهم بشعره مهنئا، والآخر ببيانه خطيبً مادحا، وهو ما سنتناوله بالبيان والشرح — إن شاء الله تعالى فى مكانه من البحث٠

الوفادة فى عصر النبوة

ولما أشرق الإسلام على الدنيا بأنواره ، وجاء محمد — صلى الله عليه وسلم — بهديه ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وتسامعت العرب بالدعوة المحمدية، أخذت الوفود تترى إلى نبى الرحمة، ورسول رب العالمين٠

كان بعض الوفود قد أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، ثم فى السنة التاسعة من الهجرة تزايدت الوفود وتواصلت، حتى سميت (سنة الوفود)٠

وفى السيرة النبوية لابن هشام :"لما افتتح رسول الله (ص) مكة وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه — قال ابن هشام :حدثنى أبو عبيدة: أن ذلك فى سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود (١) وقد "وفد عليه — صلى الله عليه وسلم — وهو بمكة غفار وأزد شنوءة وهمدان والطفيل بن عمرو الدوسى ونصارى الحبشة" (٢)٠

---

(١) السيرة النبوية — لابن هشام جـ٤ ص٤١٤ دار التراث العربى — ١٩٤٧

(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب/ جـ١٨ ص٢ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن النويرى ط٠ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م القاهرة ٠

وبيان هذه الوفود كما يلي :

١-وفد غفار :

قال أبوذر — رضي الله عنه — خرجنا عن قومنا غفار — وكانوا يحلون الشهر الحرام — فخرجنا أنا وأخي أنيس وأمنا، فانطلقنا... ثم يمضي في ذكر وفادته وإسلامه.

وهذا الوفد — كما رأينا — يتكون من ثلاثة أفراد هم: أبوذر وأخوه وأمه(١).

٢-وفد أزد شنوءة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم (ضماد) مكة. وهو رجل من أزد شنوءة. وكان يرقى من هذه الرياح... فبايعه رسول الله (ص) وقال: "وعلى قومك" ؟ فقال :وعلى قومي .... (٢).

٣-وفد همدان:

... قالوا: قدم قيس بن مالك بن سعد بن مالك بن لأي الأرحبي على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بمكة..(٣)

ومن طريق آخر له، قال : عرض رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نفسه بالموسم على قبائل العرب، فمر به رجل من أرحب، يقال له: عبد الله بن قيس بن أم غزال، فقال له : هل عند قومك من مَنَعَة؟ قال: نعم . فعرض عليه الإسلام فأسلم .

وروى محمد بن اسحاق — رحمه الله — فيما يتعلق بهذا الوفد بعد الهجرة — فقال: قدم وفد همدان على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

(١) الطبقات الكبرى/ ٢١٩/٤ ابن سعد .
(٢) نهاية الأرب/ ص٨ جـ١٨ والطبقات الكبرى ٢٤١/٤ ابن سعد .
(٣) نهاية الأرب/ ص٩ جـ١٨ . والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤١/٤ .

منهم: مالك بن نمط، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار، ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السلماني، وعميرة بن مالك الخازني" (١) ٠

ولا أرى في ذلك تعارضا، فقد يكون الوفد نفسه قد وفد على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مرة ثانية بعد الهجرة٠

٣-وفادة الطفيل بن عمرو الدوسي:

كان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدّث أنه قدم مكة، ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — بها، تمشى إليه رجال من قريش ٠٠٠ أي أنهم حاولوا منعه من الاتصال برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولكنه لم يستجب لهم ،والتقى بالنبي صلى الله عليه وسلم — وأسلم (٢) ٠

٤-وفد نصارى الحبشة :

قال محمد بن اسحاق :"قَدِم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو بمكة — عشرون رجلا — أو قريب من ذلك — من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه بالمسجد" فجلسوا إليه وكلموه وسألوه عن أمور في دينهم فأجابهم، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا(٣)٠

٥-وفد سُلَيم :

قدم على رسول الله (ص) رجل من بني سُلَيم يقال له (قيس بن نشبة) فسمع كلام الرسول وسأله عن أشياء٠٠ فأسلم:

---

(١) نهاية الأرب/ ١٨ ص٩، ١٠ ، العقد الفريد تحقيق / العريان ٢٤٦/١ ، تحقيق/ أحمد يسرى م١٠ ص٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤١/٤ ٠

(٢) نفسه ١٨ ص١٤ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣٧/٤ ٠

(٣) نفسه ١٨ ص١٥ ، السيرة النبوية لابن هشام ٣٤٤/١، ٣٤٥ ٠

فلما كان عام الفتح خرجت سُلَيم فلقوا رسول الله — وهم سبعمائة ويقال كانوا ألفا،فيهم العباس بن مرداس وجماعة من أعيانهم فأسلموا(١)٠

٦- وفد الأوس والخزرج ٠

يقول الله تعالى : **"لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا"**(٢)٠

والقرآن الكريم بهذا، يشير إلى ذلك الوفد، الذى أحدث تَحَوُّلاً عظيما فى تاريخ الدعوة، وحقق لها — بأمر الله — انتصارًا وانتشارًا عظيمين، وهو الوفد الذى يعرف باسم: وفد العقبة — أو وفد بيعة العقبة٠

وفد بيعة العقبة :

لعل هذا الوفد من أهم الوفود التى شَرُفَت بلقاء سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قبل هجرته الشريفة إلى يثرب؛ ذلك لأنه تم فى ظروف صعبة للغاية، حيث كانت الدعوة تمر بأقسى مراحلها والمشركون يتربصون برسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبأصحابه يظهرون لهم العداوة، ويبدون لهم الكراهية، ويعملون على إيذائهم وفتنتهم عن دينهم، ويتصدون لمن يحاول أن يتصل لهم من العرب الوافدين من خارج مكة، يمنعونهم — رغبا ورهبا — عن لقاء سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

"قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه، وإعزاز نبيه — صلى الله عليه وسلم — وإنجاز موعده (وعده) له ، خرج رسول

(١) البداية والنهاية ٩٢/٢ ونهاية الأرب ٧٢/١٨ ٠
(٢) سورة الفتح الآية ١٨ ٠

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الأنصار ٠٠٠ فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج ــ أراد الله بهم خيرا فلما لقيهم قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج ٠ قال: أمن موالى يهود؟ قالوا: نعم٠ قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى ٠ فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن ٠٠٠ (وكانوا قد سمعوا من اليهود فى يثرب أن نبيا يبعث٠ أظلهم زمانه ويهددونهم به) ٠

فتشاور الرهط فيما بينهم ٠٠ ثم أسلموا([1])٠

فلما كان العام المقبل "وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة ــ وهى العقبة الأولى ــ فبايعوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على بيعة النساء، وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب٠

كان منهم من بنى النجار ثم من بنى مالك، ومن بنى زريق بن عامر، ومن بنى عوف بن الخزرج، ومن بنى سلم، ومن بنى سلمة وبنى سواد٠

وشهدها من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة ومن بنى عمرو بن عوف ابن مالك بن الأوس عويم بن ساعدة([2])٠

وكان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد بعث معهم مصعب بن عمير يقرئهم القرآن الكريم، ويعلمهم أمور دينهم، فعاد مصعب إلى مكة وخرج مع من خرج من قومه للحج، وواعد القوم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ العقبة من أوسط أيام التشريق٠ قال كعب بن مالك :"فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله ــ صلى الله عليه

([1]) السيرة النبوية ٢٧٥/١ ابن هشام تحقيق د/ أحمد حجازى دار التراث العربى/مصر

([2]) نفسه ٢٧١/١ ــ ٢٧٣ ٠

وسلم ــ لها... وكنا نكتم مَن معنا مِن قومنا مِن المشركين... فنمنا تلك الليلة فى رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا، ومعنا امرأتان من نسائنا: نسيبة بنت كعب ــ أم عمارة، وأسماء بنت عمرو بن عدى. فاجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى جاءنا ومعه العباس بن عبدالمطلب....."(١)

وقد تكلم العباس ــ وكان لا يزال على دين قومه مبيّنا منزلة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بين قومه وعشيرته، وأنهم قادرون على حمايته.

ثم تكلم الرسول، وتلا القرآن الكريم ، ورغّب القومَ فى الإسلام ودعاهم إليه، وطلب مبايعتهم، فأعلنوا البيعة، ثم طلب منهم أن يُخرِجوا له من بينهم اثنى عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم، ففعلوا.

• • • • •

هذه أشهر الوفود التى اشتهرت وعرفت وفادتها إلى مكة قبل الهجرة، وشرفت بلقاء الرسول ــ صلى الله عليه وسلم، وإسلامها. أما الوفود التى وفدت بعد الهجرة وقبل الفتح، فهى:"عبس وسعد العشيرة وجهينة ومزينة وسعد بن بكر، وأشجع، وخشين والأشعرون وسليم ودوس وأسلم وجذام"(٢).

---

(١) نفسه ٢٧٨/١، ٢٧٩ .
(٢) البداية والنهاية، ونهاية الأرب جـ١٨ ص١٦ .

وبيانها كالأتى:

١ –**وفد عبس** : قال محمد بن سعد فى طبقاته :

"وَفَدَ على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تسعة رهط من عبس. فكانوا من المهاجرين الأولين. منهم: ميسرة بن مسروق والحارث ابن الربيع – وهو الكامل – وقنان بن دارم، وبشر بن الحارث بن عبادة وهِدم بن مسعدة، وسِباعُ بن زيد، وأبو الحِصن بن لقمان، وعبد الله بن مالك. وفروة بن الحصين بن فضالة، فأسلموا ، فدعا لهم رسول الله (ص) بخير(١).

٢ – **وفد سعد العشيرة**: قال محمد بن سعد ...: لما سمعتْ سعد العشيرة بخروج النبى – صلى الله عليه وسلم – وثب ذباب – رجل من بنى أنس الله بن سعد العشيرة – إلى صنم يقال له فرّاص فحطمه ، ثم وَفَدَ إلى النبى – صلى الله عليه وسلم فأسلم .(٢)

٣ –**وفد جهينة**: قال ابن سعد: لما قَدِم رسول الله – صلى الله عليه وسلم المدينة وَفَدَ إليه عبد العزى بن بدر بن زيد بن معاوية الجهنى، ومعه أخوه لأمه أبو روعة، وهو ابن عم له ... وجاء من جهينة عمرو بن مرة الجهنى فأسلموا....(٣).

٤ – **وفد مزينة (مُضَر)** : قال محمد بن سعد (فى طبقاته): كان أول من وَفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن مُضَر أربعمائة من مزينة وذلك فى شهر رجب سنة خمس، فجعل لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الهجرة فى دارهم ... وقال محمد بن سعيد بسند

(١) السابق ص١٧ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٨٨ .
(٢) السابق ص١٨ جـ١٨ .
(٣) السابق ص ١٩ جـ١٨ .

يرفعه إلى أبى مسكين ، وأبى عبد الرحمن العجلانى — قالا: قدم على رسول الله (ص) نفر من مزينة، منهم خزاعى بن عبدنُهم،فبايعه على قومه مزينة، وقدم معه عشرة منهم، فيهم بلال بن الحارث، والنعمان بن مقرن، ثم خرج إلى قومه فلم يجدهم كما ظن فأقام ، فدعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حسان بن ثابت قال:" اذكر خزاعياً ولا تهجه"([1]).

٥-**وفد سعد بن بكر**: بعثت بنو سعد بن بكر إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلا منهم يقال له : ضمام بن ثعلبة — قال ابن سعد: فى شهر رجب سنة خمس... فقدِم وأناخ بعيره... ثم دخل المسجد... حتى إذا فرغ (من مناقشة النبى) أسلم([2]) .

٦- **وفد أشجع**: وقَدِمَت أشجع على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عام الخندق، وعام الخندق سنة خمس من الهجرة، وهم مائة رأسهم مسعود بن رخيلة بن نويرة بن طريف . فنزلوا شعب سلع فخرج إليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم ... ثم أسلموا([3]).

٧-**وفد خُشَين**: قَدِمَ أبو ثعلبة الخُشنى على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو يتجهز إلى خيبر، فأسلم — وخرج معه إلى خيبر ثم قدم بعد ذلك سبعة نفر من خشين، فنزلوا على أبى ثعلبة، فأسلموا([4]) وذكر ابن كثير فى عدتهم أنهم "بضعة عشر رجلا" .

([1]) السابق ص١٩،٢٠ جـ١٨ ، البداية والنهاية ٤١/٢ .
([2]) السابق ص٢٠،٢١ بتصرف جـ١٨ ، السيرة النبوية لابن هشام ٤٢٣/٤ والبداية والنهاية ٦٠/٢ .
([3]) السابق ص٢٢ جـ١٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ٩١/٢ .
([4]) السابق ص٢٣ جـ١٨ والبداية والنهاية لابن كثير ٩٥/٢ ، والطبقات الكبرى ٢١٩/٤ ابن سعد والبداية والنهاية ٦٩/٢ ابن كثير .

٨-**وفد الأشعرين**: وقَدِم الأشعريون على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم خمسون ، منهم أبو موسى الأشعرى، ومعهم رجلان من عك، وقدموا فى سفن فى البحر، وخرجوا بجدة، ٠٠٠ فالمدينة ثم قدموا فوجدوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سفره بخيبر فلقوه، فبايعوه، وأسلموا(١)٠

٩-**وفد سُلَيْم**: وقَدِم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل من بنى سليم، يقال له قيس بن نسيبة٠ فسمع كلامه، وسأله عن أشياء فأجابه، ودعى ذلك كله، ودعاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الإسلام، فأسلم ورجع إلى قومه٠٠٠

فلما كان عام الفتح خرجت بنو سليم إلى رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلقوه بقُدَيْد، وهم سبعمائة٠ ويقال : كانوا ألفا، وفيهم العباس بن مرداس السلمى ، وأنس بن عباس بن رعل، وراشد بن عبد ربه فأسلموا٠٠٠(٢)٠

وحكى أبو عمر بن عبد البر، فى ترجمة خنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة،واسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد بن رباح ابن ثعلبة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ـ أنها قدمت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع قومها من بنى سليم فأسلمت معهم(٣)٠

وهذه أول امرأة يرد ذكرها فى وفد من الوفود التى جاءت للقاء المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ويبدو أنها لشاعريتها ـ ومكانتها فى

(١) السابق ص٢٣ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/ ٩٢ ٠
(٢) نفسه ١٨/ ٢٤ ٠
(٣) السابق ص٢٦ جـ١٨ ٠

قومها — نالت شرف المثول — مع قومها — أمام الرسول عليه الصلاة والسلام.

١٠- **وفد دوس:** لما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي — كما تقدم — (المذكور في رقم ٤ — في وفود ما بعد الهجرة). دعا قومه فأسلموا وقَدِم معه منهم سبعون أو ثمانون أهل بيت. وفيهم أبو هريرة وعبد الله بن أزيهر الدوسي، ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — بخيبر، فساروا إليه فلقوه هناك. فيقال: إنه قسم لهم من غنائم خيبر، ثم قدموا معه المدينة[١].

١١- **وفد أسلم:** قَدِمَ عمير بن أفصى في عصابة من أسلم، فقالوا لقد آمنا بالله ورسوله، واتبعنا منهاجك [٢].

١٢-**وفد جذام:** قَدِمَ رفاعة بن زيد بن عمير بن معبد الجذامي، ثم أحد بني الصبيب على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في الهدنة قبل خيبر... وأسلم [٣].

وقال ابن كثير :"وبعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي ثم النفاثي إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رسولا بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم.... ثم ضربوا عنقه وصلبوه[٤].

---

(١) السابق ص٢٦ جـ١٨ .
(٢) السابق ص٢٧ جـ١٨ .
(٣) السابق ص٢٨ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٨٦،٨٧ .
(٤) السابق ص٢٨ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٨٦،٨٧ .

الوفود التى وفدت بعد فتح مكة

لما كتب الله تعالى النصر لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتم لــــه فتح مكة، وارتفعت ألوية الإسلام خفاقة، أدرك العرب أنه لا طاقة لــــهم بمعاداة محمد ، وما جاء به من دين، فبدأت وفودهم تترى للقـــاء النبـــى وإعلان إسلامهم، قال تعالى :" **إذا جاء نصر الله والفتح** ٠٠٠"السورة٠

كان أول وفد بعد الفتح : وفد ثعلبة ٠

١-**وفد ثعلبة**: لما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وســــلم ــ مــن الجعرانة فى سنة ثمان من الهجرة، قَدِم عليه أربعة نفر، وقـــالوا: نحـــن رسل مَن خلفنا مِن قومنا، ونحن وهم مقرون بالإسلام، فأمر لهم رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بضيافة (١)٠

٢-**وفد أسد**: قدم عشرة رهط من بنى أسد بن خزيمة على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أول سنة تسع من الــــهجرة ، فيـــهم: حضرمىّ بن عامر وضرار بن الأزور ووابصة بن معبد وطليحـــة بـــن خويلد،الذى ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن إسلامه٠ وكان معهم قوم من بنى الزنية وهم بنو مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد،فقال لهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :"أنتم بنو الرشدة"(٢)٠

٣-**وفد تميم**: كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد بعـــث بشر بن سفيان ويقال: النّحّام العدوىّ على صدقـــات بنـــى كعـــب مـــن خزاعة٠ فجاء وقد حلّ بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بـــن العنـــبر بـــن

(١) المرجع السابق ص٣٠ جـ١٨ والبداية والنهاية ٨٩/٢ ٠
(٢) السابق ص ٣١ جـ١٨ والبداية والنهاية ٨٨/٢ ٠

عمرو بن تميم، فجمعت خزاعة مواشيها للصدقة، فاستنكرت ذلك بنو تميم، وأبَوْا وابتدروا القسيّ وشهروا السيوف، فقدم المصدِّق[1] على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره. فقال: "مَن لهؤلاء القوم"؟ فانتدب لهم عيينة بن حصن، فبعثه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خمسين فارسا من العرب، ليس فيهم مهاجريّ ولا أنصاريّ، فأغار عليهم، فأخذ منهم أحد عشر رجلا، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبيا فجلبهم إلى المدينة، فقدم فيهم عدة من رؤساء بني تميم، منهم: عطارد بن حاجب، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث، وعمرو بن الأهتم وغيرهم، وزاد ابن هشام :الحبحاب بن يزيد. ونعيم بن يزيد وعيينة بن حصن[2].

ويقال : كانوا تسعين أو ثمانين رجلا[3] .

وسيأتي بيان ما دار بين هذا الوفد ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تفصيلا

٤–**وفد فزارة:** لما رجع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من تبوك،وكان ذلك سنة تسع، قَدِمَ عليه وفد بني زرارة، بضعة عشر رجلا فيهم: خارجة بن حصن، والحارث بن قيس بن حصن ... جاءوا مقرين بالإسلام[4].

---

[1] المصدق: عامل الزكاة .

[2] نفسه ٣٢/١٨ والسيرة النبوية لابن هشام جـ: ص٤١٤ والبداية والنهاية لابن كثير ٤١/٢ .

[3] السابق ص٣٢ جـ١٨ .

[4] السابق ص٤١ جـ١٨ .

٥-**وفد مُرَّة:** قَدِمَ وَفْدُ بنى مرة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند مرجعه من تبوك فى سنة تسع، وهم ثلاثة عشر رجلا، رأسهم الحارث بن عوف(١).

٦-**وفد محارب:** قَدِمَ وَفْد محارب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سنة عشر، فى حجة الوداع، وهم عشرة نفر، منهم: سواء بن الحارث وابنه خزيمة بن سواء ..... فأسلموا(٢).

٧- **وفد كلاب:** قَدِمَ وَفْدُ كلاب على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى سنة تسع من الهجرة، وهم ثلاثة عشر رجلا، فيهم: لبيد بن ربيعة وجبار بن سلمى .....(٣).

٨-**وفد رؤاس بن كلاب:** روى عن أبى نفيع طارق بن علقمة الرؤاسى أنه قال: قَدِمَ رجل منا يقال له: عمرو بن مالك بن قيس الرؤاسى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأسلم، ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: حتى نصيب من بنى عقيل بن كعب مثل ما أصابوا منا، فخرجوا يريدونهم، وخرج معهم عمرو بن مالك، فأصابوا فيهم، ثم خرجوا يسوقون النعم... الخ القصة(٤) .

٩- **وفد عقيل بن كعب:** ثنا ـ رجل من بنى عقيل بن كعب، عن أشياخ قومه، قالوا: وَفَدَ منا من بنى عقيل بن كعب. على رسول الله ـ

---

(١) السابق ص٤٢ جـ١٨، البداية والنهاية ٢/ ٨٩ .
(٢) السابق ص٤٣ جـ١٨ ، البداية والنهاية ٢/ ٨٨،٨٩ .
(٣) السابق ص٤٣ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/ ٨٩ .
(٤) السابق ص٤٤، ٤٥، والبداية والنهاية ٢/ ٩٠ .

صلى الله عليه وسلم — ربيع بن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ومطرّف بن عبد الله، وأنس بن قيس بن المنتفق، فبايعوا وأسلموا...

ووَفَد عليه أيضا: لقيط بن عامر بن المنتفق بن عامر بن عقيل...(١).

وقَدِمَ عليه أبو حرب بن خويلد بن عامر بن عقيل... فشهد وأسلم(٢) .

ثم قَدِمَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الحصين بن المعلّى بن ربيعة بن عقيل، وذو الجوشن الضبابى فأسلما(٣).

١٠- **وفد جعدة:** وَفَد على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الرُّقَاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب...(٤).

١١- **وفد قشير بن كعب:** وَفَد على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نفر من بنى قشير، قبل حجة الوداع، وبعد حنين، فيهم: ثور بن عزرة بن عبد الله بن سلمة بن قشير . فأسلم.

وفيهم: حيدة بن معاوية بن قشير، وفيهم مرة بن هبيرة بن سلمة الخير بن قشير .. فأسلموا(٥) .

١٢- **وفد بنى البَكَّاء:**

وَفَدَ ثلاثة نفر من بنى البَكَّاء على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى سنة تسع، فيهم معاوية بن ثور بن عُبادة بن البَكَّاء، وهو

(١) السابق ص٤٥ ، والبداية والنهاية ٢/٩٠ .
(٢) السابق ص ٤٦ .
(٣) السابق ص ٤٧ .
(٤) السابق ص٤٧ .
(٥) السابق ص ٤٧ والبداية والنهاية ٢/٩٠ .

يومئذ ابن مائة سنة، ومعه ابنٌ له يقال له: بشر والفجيع بن عبد الله ومعهم عبد عمرو البكائى، وهو الأصم، فسماه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عبد الرحمن(١)٠

وأضاف ابن كثير أن عددهم كانوا ثلاثين رجلا٠

١٣- **وفد كنانة وبنى عبد بن عدى:**

وَفَدَ واثلة بن الأسقع الليثى على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالمدينة — ورسول الله — صلى الله عليه وسلم — يتجهز إلى تبوك٠٠٠ وقدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفد بنى عبد بن عدى، وفيهم الحارث بن أهبان، وعويمر بن الأحزم، وحبيب وربيعة ابنا ملة(٢) ومعهم رهط من قومهم ٠٠٠٠ فأسلموا ٠

١٤- **وفد باهلة**: وقَدِمَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مطرّف بن الكاهن الباهلى — بعد الفتح وافدًا لقومه٠ فأسلم٠

ثم قدم نهشل بن مالك الوائلى من باهلة ٠٠٠٠ فأسلم(٣)٠

١٥- **وفد هلال بن عامر وزياد عبد الله :**

قَدِمَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نفر من بنى هلال فيهم : عبدعوف بن أصرم بن عمرو بن شعيثة٠ فأسلم٠

وفيهم قبيصة بن المخارق٠

ووَفَدَ زياد بن عبد الله بن مالك(٤)٠

---

(١) المرجع السابق ٤٨، البداية والنهاية ٢/٩٠ ٠
(٢) المرجع السابق ٤٩، البداية والنهاية ٢/٩١ ٠
(٣) المرجع السابق ٤٩ ، البداية والنهاية ٢/٩١ ٠
(٤) المرجع السابق ٥٠ ٠

١٦-**وفد بنى عامر**(١):

ولما قدِمَتْ وفود العرب على رسول الله (ص) فى سنة تسع من الهجرة قَدِم وَفْدُ بنى عامر — فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس أخو لبيد الصحابى لأُمِّه — وكانا رئيسى القوم ومن شياطينهم — فقدم عامر بن الطفيل عدو الله على رسول الله (ص) وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه: يا عامر . إن الناس قد أسلموا فأسلم .

قال: والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى . فأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش! ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فإنى شاغل عنك وجهه . فإذا فعلت ذلك فَاعْلُهُ بالسيف . فلما قدما على رسول الله (ص) وجعل يكلمه، وينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يحير شيئا، فلما رأى عامر ما يصنع أربد، قال له عامر: أتجعل لى نصف ثمار المدينة، وتجعلنى ولى الأمر من بعدك وأسلم؟ فأبى عليه صلى الله عليه وسلم، فانصرف عامر وقال: أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا . فلما ولىّ، قال رسول الله (ص) : اللهم اكفنى عامر بن الطفيل . فلما خرجا من عند رسول الله (ص) قال عامر لأربد: ويلك يا أربد: أين ما كنت أمرتك به . والله ما كان على ظهر الأرض رجل أخوف عندى على منك! وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال: لا أبالك! لا تعجل على! والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟ وخرجا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانا ببعض الطريق، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول، فجعل يقول:" يا بنى عامر! أغدة كغدة البَكر فى بيت امرأة من بنى سلول!" ثم خرج

---

(١) المرجع السابق ٥٢ وخزانة الأدب البغدادى ٨١/٢ وما بعدها . والسيرة النبوية ابن هشام ٥٦٧ والأغانى ٥٦/١٧ وما بعدها ط . الهيئة العامة .

أصحابه حين واروه التراب، حتى قدموا أرض بنى عامر، فقـــالوا: مـــا وراءك يا أربد؟ قال لا شئ ، والله لقد دعانا إلى عبادة شئ لوددت أنـــه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله. فخرج بعد مقالته بيوم أو يوميـــن معه جمل له يبيعه، فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وكان فى الوَفْد: عبد الله بن الشخير ...

وقَدِمَ على رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ علقمة بن علاثـة ابن عوف وهوذة بن خالد بن ربيعة وابنه[1].

١٧- **وفد ثقيف** :

كان قدوم وَفْد ثقيف على رسول الله ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ وإسلامها فى شهر رمضان سنة سبع من مهاجره[2] وقد ألقى الله الإسلام فى قلب عروة بن مسعود فلحق بالرسول وأسلم، ثم قتله قومه، ولحق أبو المليح بن عروة وقارب بن الأسود بن مسعود، برســـول الله صلـــى الله عليه وسلم فأسلما[3].

ثم إن ثقيفا بعد ذلك "أجمعوا أن يبعثوا رجلين من الأحلاف وثلاثة من بنى مالك (مع عبد ياليل بن عمرو بن عمير) ـــ فبعثوا معه: الحكـــم ابن عمرو بن وهب بن معتب وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتـــب ومن بنى مالك: عثمان بن أبى العاص بن بشر أخا بنى يسار، وأوس بن عوف أخا بنى سالم، ونمير بن خرشة بن ربيعة أخا بنى الحارث، فخرج بهم عبدياليل وهو ناب القوم وصاحب أمرهم[4].

---

(1) السابق ص ٥٨ .
(2) السابق ص٥٩ والبداية والنهاية ٢٩/٢. السيرة النبوية لابن هشام٣٩٧/٤ .
(3) السابق ص٦٢ والعقد الفريد ت/ محمد سعيد العريان ٢٤٨/١ وت/ أحمد يســرى م٢٠ ص٣٢ .
(4)السابق ص٦٢ والعقد الفريد ت/ محمد سعيد العريان ٢٤٨/١ وت/ أحمد يســرى م٢٠ ص٣٢ .

١٨- **وفد عبد القيس:**

كتب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى أهل البحرين أن يقدم عليه منهم عشرون رجلا، فقدموا، رأسهم عبدالله بن عوف الأشج وفيهم الجارود بن عمرو بن حنش، وزادا بن إسحاق: أخو عبد القيس وقال ابن هشام: الجارود بن بشر بن عبد المعلى وكان نصرانيا ومنقد بن حبان وهو ابن أخت الأشج، وكان قدومهم عام الفتح (١) فأسلموا.

١٩-**وفد بكر بن وائل:**

قَدِم وَفْد بكر بن وائل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان في الوفد بشير بن الخصاصية، وعبد الله بن مرثد، وحسان بن خوط،وقدم معهم عبدالله بن أسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سدوس (٢).

٢٠- **ومن بكر: أعشى بنو قيس** :

إن أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن علي بن بكر ابن وائل خرج إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يريد الإسلام {وأعد أبياتا يمدح بها الرسول }.

فلما كان بمكة،أو قريبا منها،اعترضه بعض المشركين(٣) وزيّنوا له أمر الشرك فعاد ولم يسلم ومات من عامه.

---

(١)السابق ص٦٥،٦٦ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٢٤ والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٤٦ — ٤٨ .

(٢) السابق ص٦٧ جـ١٨ ، البداية والنهاية ٢/٩٣ .

(٣) السابق صفحات ٦٨—٧٢ جـ١٨ .

٢١- **وفد تغلب :**

وقَدِمَ على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وَفْدُ بنى تغلب. وهم ستة عشر رجلا مسلمين ونصارى... فصالح صلى الله وسلم النصارى على أن يقرهم على ذمتهم، على ألا يصبغوا أولادهم فى النصرانية، وأجاز المسلمين منهم بجوائزهم(١).

٢٢- **وفد حنيفة:**

قَدِمَ وَفْدُ بنى حنيفة على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهم بضعة عشر رجلا، فيهم: رجّال بن عنفوة، وسلمى بن حنظلة، وطلق بن على بن قيس وحُمران بن جابر، وعلىّ بن سنان، والأقعس بن مسلمة وزيد بن عمرو ومسيلمة بن حبيب، وهو الكذاب. وعلى الوفد: سلمى بن حنظلة. فأسلموا(٢).زاد ابن إسحاق: فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى (الكذاب) قال ابن هشام: مسيلمة بن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة.

٢٣- **وفد شيبان:**

وقَدِمَ من بنى شيبان حريث بن حسان الشيبانى فبايع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصَحِبَه فى مسيره إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قيلة بنت مخرمة التميمية (٣)

(١) السابق ص٧٢ جـ١٨ والبداية والنهاية ٩٣/٢ .
(٢) السابق ص٧٢،٧٣ جـ١٨ والبداية والنهاية ٤٠/٢ والسيرة النبوية ٤٢٥/٤ .
(٣) السابق ص٧٥ جـ١٨ والبداية والنهاية ٦٠/٢، السيرة النبوية ابن هشام ٤٢٦/٤

وفادات أهل اليمن

٢٤ – **وفد طيئ وخير زيد الخيل وعدى بن حاتم** .

وَفَدَ على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفد طيئ خمسة عشر رجلا، رأسهم وسيدهم زيد الخيل بن مهلهل، من بنى بنهان، وفيهم وزر بن جابر بن سدوس النبهانى... وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جرم طيئ، ومالك بن عبد الله بن خيبرى من بنى معن، وقعين بن خلف من جديلة، ورجل من بنى بولان فدخلوا المدينة، ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى المسجد.... فأسلموا (١) .

وأثناء عودة {زيد الخير} كما سماه الرسول عليه الصلاة والسلام أصابته الحمى فمات عند ماء (فردة) قرب نجد.

٢٥ – **وفد تُجيب:**

قَدِمَ وَفْدُ تُجِيب على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سنة تسع من مهاجره وهم ثلاثة عشر رجلا(٢).

٢٦ – **وفد خولان:**

قَدِمَ وَفْدُ خولان على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى شعبان سنة عشر، وهم عشرة نفر ــ جاءوا مسلمين ــ وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ عن أشياء من أمر دينهم، فجعل يخبرهم بها وأمر مَن يعلمهم القرآن والسنن.

---

(١) السابق ص ٧٦ جـ١٨ .

(٢) السابق ص٨١ جـ١٨ والبداية والنهاية ٩٣/٢ .

ومـمن أسلم من خولان: أبو مسلم الخولانى العابد، واسمه عبد الله ابن ثوب، ولم ير رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإنما قَدِمَ المدينة بعد وفاته ([١])٠

٢٧- **وفد جعفى :**

وَفَدَ إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلان من جعفى وهما : قيس بن سلمة بن شراحيل، وسلمة بن يزيد، وهما أخوان لأم وأمهما: ملكية بنت الحلو بن مالك ٠ فأسلما ٠ (ثم امتنعا فدعا عليهما رسول الله (ص) وقدم أبو سبرة، ، هو يزيد بن مالك بن عبدالله الجعفى على النبى — صلى الله عليه وسلم — ومعه ابناه سبرة وعزيز ٠ فأسلموا([٢])٠

٢٨- **وفد مراد:**

قَدِمَ فروة بن مسيك المرادى على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مفارقا لملوك كندة ومباعدا لهم ٠ وبايع النبى (ص) ([٣])٠

٢٩- **وفد زبيد:**

قَدِمَ وَفْدُ عمرو بن معدى كرب الزبيدى، على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — المدينة٠ فى عشرة نفر من زبيد٠٠٠ فأسلم هو ومن معه([٤])٠

([١]) السابق ص٨٢ جـ١٨ والبداية والنهاية ٩٣/٢ ٠
([٢]) السابق ص ٨٤،٨٣ جـ١٨ والبداية والنهاية ٩٣/٢ ٠
([٣]) السابق ص ٨٥،٨٤ جـ٢٨ ٠
([٤]) السابق ص٨٥ جـ١٨ ٠

٣٠-وفد كِندة:

قَدِمَ الأشعث بن قيس على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في بضعة عشر راكبا من كِندة ــ قال ابن إسحاق: في ثمانين راكبا فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد (وكانوا مسلمين)([1])٠

٣١-وفد الصدف:

وقَدِمَ وَفْدُ الصدف على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهم بضعة عشر رجلا٠٠٠٠ فصادفوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فيما بين بيته وبين المنبر٠٠٠٠٠٠٠ (وكانوا مسلمين) ([2])٠

٣٢- وفد سعد هذيم:

قال ابن سعد يرفعه إلى أبى النعمان عن أبيه قال: قَدِمْتُ على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وَافِدًا فى نفر من قومى، فنزلنا ناحية من المدينة، ثم خرجنا نؤم المسجد فنجد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يصلى على جنازة فى المسجد، فانصرف فقال:"من أنتم"؟ قلنا: من بنى سعد هذيم٠ فأسلمنا وبايعنا([3])٠

٣٣- وفد بلى:

عن رويفع بن ثابت البلوى، قال: قَدِمَ وَفْدُ قومى فى شهر ربيع الأول سنة تسع٠٠٠ تقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتكلم وأسلم، وأسلم القوم([4])٠

([1]) السابق ص٨٧ جـ١٨ والبداية والنهاية ٩٤/٢ والسيرة النبوية ٤٣٢/٤ ٠
([2]) السابق ص٨٩ جـ١٨ والبداية والنهاية ٩٤/٢ ٠
([3]) السابق ص٨٩ جـ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ ٠
([4]) السابق ص٩٠ جـ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ ٠

٣٤-**وفد بهراء:**

قَدِمَ وَفْد بهراء من اليمن، وهم ثلاثة عشر رجلا... وأتوا النبي — صلى الله عليه وسلم — فأسلموا(١).

٣٥- **وفد عذرة :**

قَدِمَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وَفْدُ عذرة، في صفر سنة تسع من مهاجره، وهم اثنا عشر رجلا، فيهم حمزة بن النعمان العذرى، وسليم وسعد ابنا مالك، ومالك بن أبى رياح... ثم جاءوا النبى — صلى الله عليه وسلم — فسلموا بسلام الجاهلية.... فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :"مرحبا بكم وأهلا، ما أعرفنى بكم، ما منعكم من تحية الإسلام؟ قالوا: قدمنا مرتادين لقومنا. وسألوا النبى — صلى الله عليه وسلم — عن أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها، فأسلموا..(٢)

٣٦- **وفد سلامان:** (بطن من بطون قضاعة) ينسبون إلى جدهم الأعلى سلامان بن سعد بن زيد. وفد سبعة من سلامان على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى شوال سنة عشر. فصادفوه وهو خارج من المسجد إلى جنازة ...... فلما صلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الظهر، جلس بين بيته وبين المنبر، فقدموا إليه فسألوه عن أشياء... فأجابهم فأسلموا(٣).

٣٧- **وفد كلب :**

قال محمد بن سعد بسنده إلى عبد بن عمرو بن جبلة بن وائل بن الجلاح الكلبى، قال: شخصت أنا وعصام — رجل من بنى رقاش من بنى

---

(١) السابق ص٩٠ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٩٥ .
(٢)السابق ٩١ جـ١٨ والبداية والنهاية٢/٩٥ .
(٣) السابق ص٩٢ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٩٥ .

عامر — حتى أتينا النبى — صلى الله عليه وسلم — فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ٠

وقال بسند آخر إلى ربيعة بن ابراهيم الدمشقى، قال: وَفَد حارثة ابن قطن بن زابر بن حصن بن كعب بن عليم الكلبى، وحمل بن سعدانة ابن حارثة بن مفغل بن كعب بن عليم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأسلما([1])٠

٣٨- <u>وفد جرم :</u>

وَفَدَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلان من جرم يقال لأحدهما: الأسقع بن شريح بن صريم بن عمرو بن رياح بن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن جرم {بن ربان} بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة، والأخر هو: هوذة بن عمرو بن يزيد ابن عمرو بن رياح، فأسلما([2])٠

٣٩- <u>وفد الأزد وأهل جرش:</u>

قَدِم صرد بن عبد الله الأزدى فى بضعة عشر رجلا من قومه وَفْدًا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم٠٠٠٠ فأسلموا٠٠٠([3]) وكان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم بالمدينة، يرتادان وينظران، فبينما هما عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عشية بعد العصر٠٠٠٠٠ (القصة) ٠

([1]) السابق ص٩٣ جـ١٨ والعقد الفريد ت/ العربان ٢٤٨،٢٤٧/١ ت/ أحمد بسوى م١٠ ص٣١ والبداية والنهاية ٩٥/٢ ٠
([2]) السابق ص٩٤ ،٩٥ جـ١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ ٠
([3]) السيرة النبوية لابن هشام ٤٣٣/٤ ٠

وبعد عودتهما {قصا على قومها القصة، فخرج وفدهم حتى قَدِمُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم • فأسلموا (١) •

٤٠ – وفد غسان:

قال محمد بن سعد بسنده إلى محمد بن بكير الغساني عن قومه من غسان قالوا: قَدِمْنا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في شهر رمضان سنة عشر، المدينة، ونحن ثلاثة نفر •••• ثم أتينا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأسلمنا وصدّقنا(٢)•

٤١ – وفد الحارث بن كعب:

بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — خالد بن الوليد في أربعمائة من المسلمين في شهر ربيع الأول سنة عشر إلى بني الحارث ابن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثا قبل أن يقاتلهم ففعل، فاستجاب له مَن هناك من :بلحارث بن كعب ودخلوا في الإسلام• ونزل خالد بن الوليد بين أظهرهم فعلمهم الإسلام وشرائعه وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم •••

(ثم) قَدِم خالد ومعه وَفْدُهم • فيهم: قيس بن الحصين، ويزيد بن عبد المدان وعبد الله بن عبد المدان، ويزيد بن المحجل، وعبدالله بن قراد، وشداد بن عبدالله القناني، وعمرو بن عبدالله ••••• (٣) •

٤٢ – وفد عنس:

عن رجل من عنس قال: كان منا رجل وفد على النبي — صلى الله عليه وسلم — فأتاه وهو يتعشى، فدعا به الى العشاء فجلس، فلما

---

(١) السابق ص٩٧ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٥٩ •
(٢) السابق ص٩٨ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٥٩ •
(٣) السابق ص٩٨،٩٩ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٥٩ •

تعشى أقبل عليه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال :"اشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله" فقال العنس :"أشهد أن لا إلـــه إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله٠٠٠٠ واسمه ربيعة ٠ وزاد صاحب أسـد الغابة أن اسمه ربيعة بن رواء العنسى(١)٠

٤٣- **وفد الداريين:**

قَدِم وَفْدُ الداريِّن على رسول الله ــ صلـــى الله عليــه وسـلم منصرفة من تبوك، وهم عشرة نفر، فيهم: تميم ونعيــم ابنــا أوس بـن خارجة بن سود بن جذيمة بن ذراع بن عدى بن الدار بن هانئ بن حبيب ابن نمارة بن لخم ــ ويزيد بن قيس بن خارجة ــ والفاكه بن النعمان بن جبلة بن صفارة بن ربيعة بن ذراع بن عدى بن الدار ــ وجبلة بن مالك ابن صفارة وأبو هند ــ والطيب ابنا ذر٠٠٠٠٠

وهانئ بن حبيب ــ وعزيز ومرة ابنا مالك بن سواد(٢)٠

٤٤- **وفد الرهاويين:**

وَفَد خمسة عشر رجلا من مذحج على رســول الله ــ صلــى الله عليه وسلم ــ سنة عشر٠٠٠٠٠ فأتاهم رسول الله ــ صلـــى الله عليــه وسلم فتحدث عندهم طويلا٠٠٠٠ فأسلموا وتعلموا(٣)٠

ثم قَدِم منهم نفر فحجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

٤٥- **وفد غامد :**

قَدِم وَفْدُ غامد على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى شهر رمضان، وهم عشرة٠٠٠٠ فسلموا وأقروا بالإسلام(٤) ٠

---

(١) السابق ص١٠٣،١٠٤ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٩٥ ٠
(٢) السابق ص١٠٤ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٩٥ ٠
(٣) السابق ص١٠٧ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٩٥ ٠
(٤) السابق ١٠٨ جـ١٨ والبداية والنهاية ٢/٩٥ ٠

٤٦- وفد النخع :

بعث النخع رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدين بإسلامهم، وهما: أرطاة بن شراحيل بن كعب، من بنى حارثة بن سعد بن مالك بن النخع٠

والجهيش، واسمه الأرقم، من بنى بكر بن عوف من النخع فخرجا حتى قدما على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، فعرض عليهما الإسلام، فقبلاه وبايعا عن قومهما٠٠٠(١)٠

قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمى قال: كان آخر من قَدِم من الوَفْد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفد النخع ـ وقدموا من اليمن للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة، وهم مائتا رجل جاءوا مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن وكان فيهم زرارة بن عمرو(٢)٠

وكان قدوم زرارة بن عمرو هذا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى النصف من شهر رجب سنة تسع٠

وقال الطبرى: قَدِم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفد النخع، وهم مائتا رجل،وفيهم زرارة بن قيس بن الحارث بن عدى بن الحارث بن عوف بن جشم بن كعب بن قيس بن منقد بن مالك بن النخع٠٠ فأسلموا(٣)٠

---

(١) السابق ١٠٨/١٨ والعقد الفريد تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢٤٧/١ تحقيق/ أحمد يسرى م١٠ ص٣١ ٠
(٢) السابق ١٠٩/١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ ٠
(٣) السابق ١١٠/١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ ٠

٤٧- **وفد بجيلة :**

قَدِم جرير بن عبد الله البجلى سنة عشر المدينة، ومعه من قومه مائة وخمسون رجلا .... فأسلموا وبايعوا[١].

وقَدِم قيس بن {أبى} غرزة الأحمسى — وقيل غرزة بن قيس البجلى — فى مائتين وخمسين رجلا من أحمس[٢].

٤٨- **وفد خثعم:**

وَفَد عثعث بن زحر، وأنس بن مدرك، فى رجال من خثعم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعد ما هدم جرير بن عبد الله ذا الخلصة وقتل من قتل من خثعم. فقالوا: امنا بالله ورسوله، وما جاء من عند الله [٣] وَوَفَد مخوس بن معد يكرب بن وليعة فيمن معه على رسول الله (ص) [٤] .

٤٩- **وفد حضرموت:**

قَدِمَ وَفْدُ حضرموت مع وفد كِندة على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهم: بنو وليعة ملوك حضرموت، جمد، ومخوس ومشرح وأبضعة. فأسلموا.

وقَدِم وائل بن حجر الحضرمى وافدا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم . وقال: جئت راغبا فى الإسلام والهجرة.

---

(١) السابق ١١٠/١٨ والبداية والنهاية ٩٥/٢ .
(٢) السابق جـ١٨ ص١١١ البداية والنهاية ٩٥/٢ .
(٣) السابق ١١١/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .
(٤) السابق ١١٢/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

ويقال: إن وائل بن حجر هذا وفد بعد ذلك إلى معاوية فى خلافته فأكرمه معاوية ٠(١)

٥٠- **وفد مخوس**: ووَفَد مخوس بن معد يكرب بن وليعة فيمن معه على رسول الله (ص) (٢) ٠

٥١- **وفد أزد عمان :**

أسلم أهل عمان، فبعث إليهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — العلاء بن الحضرمى — ليعلمهم شرائع الإسلام — ويصدّق أموالهم فخرج وَفْدُهم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفيهم: أسد بن بيرح الطاحى، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وقَدِم بعدهم سلمة بن عباد الأزدى فى ناس من قومه٠٠٠ وأسلم ومعه قومه(٣)٠

قال البغدادى:

ووَفَد الجعدى على النبى (ص) مسلما، وأنشده، ودعا له رسول الله (ص) وكان من أول ما أنشده فى قصيدته الرائية:

أتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدَى ويتلو كِتَاباً كالمَجَرَّةِ نيّـرَا
وجاهدتُ حتى ما أحس ومَن مَعِى سُهَيْلًا، إذا مَا لَاح ثَمّتَ غوّرَا
أقيمُ على التقوَى وَأَرْضَى بفعلِها وكنتُ مِن النارِ المخوفَةِ أحذرا

إلى أن قال:

وإنا لقوم ما نعوّد خَيلَنَا إذا ما التقينا أن تَحيدَ وتنفرَا
ونُنكرُ يوم الروعِ ألوانَ خيلنا مِن الطعنِ حتىتحسبَ الجونَ أشقرَا

(١) السابق ١١٤/١٨ ٠
(٢) السابق ١١٤/١٨ ٠
(٣) السابق ١١٥/١٨ ٠

وليس بمعروف لنا أن نردهـا صحاحـا، ولا مستنكـرا أن تعقرا
بلغنا السماءَ مجدُنا وسناؤنـا وإنـا لنرجـو فـوق ذلك مظهـرا

وفي رواية عبد الله بن جراد

علونا على طر العباد تكرمـا ....

فقال له النبي (ص) : إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلـى الجنـة .

فقال: نعم إن شاء الله.

ولا خيرَ في حِلـمٍ إذا لم تكن له بـوَادِرُ تحمي صفوَه أن يُكدَّرَا
ولا خيرَ في جهـلٍ إذا لم يكن له حَلِيمٌ إذا ما أورد الأمر أصدَرا (1)

فقال رسول الله (ص) : لا يفضض الله فاك! فكان مـن أحسـن الناس ثغرا،وكان إذا سقطت له ثنية نبتت، وكان فوه كالبدر المهلل يتلألأ ويبرق .

٥٢- **وفد غافق:**

قَدِم حليحة بن شجار بن صحار الغافقي ــ علـى رسـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في رجال من قومه.... (أقبلوا مسلمين) (2) .

٥٣-**وفد بارق:**

قَدِم وفد بارق، فدعاهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلـى الإسلام ــ فأسلموا وبايعوا ...(3) .

---

(1) خزانة الأدب البغدادي ١٦٩/٣،١٧٠ .
(2) السابق ١١٥/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .
(3) السابق ١١٥/١٨ البداية والنهاية ٩٥/٢ .

٥٤-**وفد ثمالة و الحدان:**

قَدِم عبد الله بن غلس الثمالى، ومسلمة بن هاران الحدانــى علــى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى رهط من قومهما، بعد فتح مكة فأسلموا وبايعوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على قومهم (١).

٥٥- **وفد مُهرة:** (نسبة إلى مهرة بن حيدان ــ حى من قضاعة)

قَدِم وفد مُهرة على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليــهم: مهرى بن الأبيض، فعرض عليهم رسول الله ــ صلى الله عليه وســلم ــ الإسلام، فأسلموا...(٢).

ووَفَد إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجل من مــهرة يقال له: زهير بن قرضم بن الجعيل من الشحر، فكـــان رســول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يدنيه لبعد مسافته، فلما أراد الانصــراف بَتَّتَه وحَمَله(٣). (بتّته: أعطاه الزاد).

٥٦-**وفد حمير:**

قَدِم على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ مالك بن مــرارة الرهاوى، رسول ملوك حمير بكتابهم وإسلامهم، وذلك فى شهر رمضان سنة تسع، عند مقدمه من تبوك، وهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بــن عبد كلال، والنعمان قيل ذى رعين، ومعافر وهمدان(٤).

---

(١) السابق ١٨/١١٦ البداية والنهاية ٢/٩٥.
(٢) السابق ١٨/١١٧ البداية والنهاية ٢/٩٥.
(٣) السابق ١٨/١١٨ . ,,
(٤) السابق ١٨/١١٨ البداية والنهاية ٢/٩٥.

٥٧-**وفد جيشان:**

قَدِم أبو وهب الجيشانى على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى نفر من قومه ([١])٠

٥٨- **وفد سلول:**

قَدِم قردة بن نفاثة السلولى، من بنى عمرو بن مرة بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن — على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى جماعة من بنى سلول، فأمّره عليهم بعد ما أسلم وأسلموا([٢])٠

٥٩- **وفد نجران:**

قَدِم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفد نصارى نجران٠ ستون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وهم: العاقب ابن عبد المسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة وأوس والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخويلد وعمرو، وخالد وعبدالله، ويحنس، ومن هؤلاء الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، وهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذى لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح([٣]) ٠

قال محمد بن سعد: هو رجل من كندة والسيد ثمالهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم، وأبو حارثة ابن علقمة أحد بكر بن وائل، أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدارسهم ٠

قال ابن سعد:"وكان من الأربعة عشر: كوز٠ وهو أخو الحارث ابن علقمة، وأوس أخو السيد٠٠" وبعد مناقشات بين أحبارهم ورسول الله

([١]) السابق ١٨/١٢٠ البداية والنهاية ٢/٩٥ ٠
([٢]) السابق ١٨/١٢٠ ٠
([٣]) البداية والنهاية ٢/٥٢ ٠

— صلى الله عليه وسلم — حول النصرانية ومعتقدهم — أنزل الله قرآنا — من سورة آل عمران — يبطل ما ذهبوا إليه، طلبوا من الرسول — صلى الله عليه وسلم — أن يدعهم لينظروا فى أمرهم، ثم خلوا بالعاقب الذى طلب منهم عدم ملاعنة محمد، وطلب منه موادعته {آيات المباهلة} "فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك — ترضاه لنا — يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها٠٠٠، فأرسل معهم أبا عبيدة بن الجراح٠

"ولم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا، حيث رجعا إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — فأسلما " (١)٠

٦٠- **وفد مذحج :** وَفَدَ ظبيان بن حداد فى سراة مذحج على النبى — صلى الله عليه وسلم — فسلم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بتحية الإسلام، وألقى خطبة بين يديه (٢)٠

٦١- **وفد لقيط بن عامر:** وَفَدَ لقيط بن عامر بن المنتفق ٠ على النبى — صلى الله عليه وسلم — ومعه صاحب يقال له : نهيك بن عاصم ابن مالك بن المنتفق(٣)٠

٦٢-وفود قيلة على النبى — صلى الله عليه وسلم —

خرجت قيلة بنت مخرمة التميمية تبغى الصحبة إلى رسول اللهﷺ، وكان عم بناتها ، وهو أثوب بن أزهر ، قد انتزع منها

---

(١) نهاية الأرب ١٢١/١٨ —١٣٦ ٠

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه٠ ت/ محمد سعيد العريان ٢٤٨/١، ٢٤٩ ت/أحمد يسرى م١٠ ص٣٣ ٠

(٣) نفسه ابن عبد ربه ت/ محمد سعيد العريان ٢٥٣/١ ، ت/ أحمد يسرى م١٠ ص٣٨ والبداية والنهاية ٨٠/٢ ٠

بناتها، فبكت جويرية منهن حديباء، قد أخذتها الفرْصَة (١)، عليها سبيج(٢) من صوف، فرحمتها فذهبت بها. فبينما هما ترتكان الجمل(٣) إذا انتفخت(٤) منه الأرنب؛ فقالت الحديباء: الفصية(٥). والله لا يزال كعبك(٦) أعلى من كعب أثوب. ثم سنح الثعلب، فسمته اسما غير الثعلب (نسيه ناقل الحديث) ثم قالت فيه مثل ما قالت في الأرنب، فبينما هما ترتكان الجمل إذ برك الجمل وأخذته رعدة. فقالت الحديباء: أخذتك والأمانة إخذة أثوب. قالت قيلة:فقلت لها: فما أصنع، ويحك! قالت: قلبي ثيابك ظهورها لبطونها، وادحرجي ظهرك لبطنك واقلبي أحلاس(٧) جملك. ثم خلعت سبيجها فقلبته، ثم ادحرجت ظهرها لبطنها، فلما فعلت ما أمرتني به انتفض الجمل، ثم قام فنأج(٨) وبال، فقالت: أعيدي عليه أداتك. ففعلت، ثم خرجنا نرتك، فإذا أثوب يسعى وراءنا بالسيف صلتا(٩)، فوألنا إلى حِواء (١٠) ضخم فداراه، حتى ألقى الجمل إلى رواقه هالأوسط، وكان جملا ذلولا، واقتحمتُ داخله وأدركني بالسيف، فأصابت ظبته طائفة من قرون رأسيه؛ ثم قال: ألق إلى ابنة أخي يا دفار(١١). فألقيتها إليه. فجعلها على منكبيه وذهب بها،وكنت أعلم به من أهل

---

(١) الفرصة: الداء الذى يصيب فقار الظهر فيكون منه الحدب . وهى لغة فى الفرسة: علة تصيب الظهر فتجعله أحدب . العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢٥٢/١، تحقيق أحمد يسرى ع١٠ ص٣٨ وما بعدها.

(٢) سبيج: مصغر معرب: ثوب صوف تلبسه المراة، او شئ له مثل الخرز.

(٣) ترتكان الجمل: تحملانه على السير السريع.

(٤) انتفخت: وثبت .

(٥) الفصية: تريد بها التخلص من الضيق والشدة .

(٦) تدعو لها بالشرف والعلو .

(٧) الأحلاس : جمع حلس: الكساء الذى يلى ظهر البعير أو الدابة تحت الرحل والقتب والسرج.

(٨) نأج : صاح .

(٩) صلتا: مجردا.

(١٠) وألنا: لجأنا . الحواء: بيوت الناس من الوبر مجتمعة على ماء جمع أحوية.

(١١) يادفار: يا منتنة .

البيت، وخرجت إلى أخت لى ناكح فى بنى شيبان أبتغى الصحبة إلى رسول الله ﷺ • فبينما أنا عندها تحسب أنى نائمة، إذ جاء زوجها من السامر (١) ، فقال لها: وأبيك، لقد وجدت لقيلة صاحب صدق• قالت أختى؛ من هو؟

قال: حريث بن حسان الشيبانى، وافد بكر بن وائل عاويا ذا صباح• فقالت أختى: الويل لى، لا تخبرها فتتبع أخا بكر بن وائل بين سمع الأرض وبصرها، ليس معها أحد من قومها• قال: لا ذكرته•

قالت: وسمعت ما قالا• فغدوت إلى جملى فشددت عليه، ثم نشدت عنه فوجدته غير بعيد• فسألته الصحبة فقال: نعم وكرامة، وركابه مناخة عنده•

قالت: فسرت معه صاحب صدق؛ حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو يصلى بالناس صلاة الغداة: قد أقيمت حين شق الفجر والنجوم شابكة(٢) فى السماء، والرجال لا تكاد تعارف من ظلمة الليل فصففت مع الرجال؛ وأنا امرأة قريبة عهد بجاهلية؛ فقال الرجل الذى يلينى من الصف: امرأة أنت أم رجل؟ فقلت: لا بل امرأة• فقال :إنك كدت تفتنينى، فصلى فى النساء وراءك• فإذا صف من نساء قد حدث عند الحجرات لم أكن رأيته إذ دخلت؛ فكنت فيهن؛ حتى إذا طلعت الشمس دنوت؛ فجعلت إذا رأيت رجلا ذا رواء قشر(٣) طمح إليه بصرى لأرى رسول الله فوق الناس، حتى جاء رجل؛ فقال: السلام عليك يا رسول الله• فقال: وعليك السلام ورحمة الله • وعليه ـ تعنى النبى ﷺ

---

(١) السامر: مجلس السمر •
(٢) شابكة: المراد: اختلطت بعضها ببعض فظهرت كأنها متشابكة •
(٣)القشر: اللباس •

أسمال مليتين، كانتا بزعفران قد نفضا(١)؛ ومعه عسيب نخلة مقشو (٢) غير خوضتين من أعلاه، وهو قاعد القرفصاء. فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متخشعا فى الجلسة أرعدت من الفرق فقال جليسه: يا رسول الله، أوعدت المسكينة. فقال رسول الله، ولم ينظر إلى وأنا عند ظهره: يا مسكينة، عليك السكينة.

قالت: فلما قالها صلى الله عليه وسلم أذهب الله ما كان دخل فى قلبى من الرعب.

وتقدم صاحبى أول رجل فبايعه على الإسلام عليه وعلى قومه، ثم قال: يا رسول الله، اكتب بيننا وبين تميم كتابا بالدهناء لا يجاوزها إلينا منهم إلا مسافر أو مجاوز.

قال: يا غلام، اكتب له بالدهناء .

قالت: فلما رأيته أمر بأن يكتب له؛ شخص بى(٣) . وهى وطنى ودارى؛ فقلت: يا رسول الله؛ إنه لم يسألك السوية من الأرض إذ سألك إنما هذه الدهناء مقيد الجمل(٤) ومرعى الغنم؛ ونساء بنى تميم وأبناؤها وراء ذلك، فقال: امسك يا غلام، صدقت المسكينة. المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر، ويتعاونان على الفتان(٥).

فلما رأى حريث أن قد حيل دون كتابه، قال: كنت أنا وأنت كما قال فى المثل: حتفها تحمل ضأن بأظلافها! فقلت: أما والله ما علمت إن كنت لدليلا فى الظلماء، جوادا لدى الرحل، عفيفا عن الرفيقة حتى قدمنا

---

(١) ذهب لون صبغهما .
(٢) مقشو : مكشوط عنه خوصه .
(٣) شخص بى: تعبير يدل على التأمل والقلق والانزعاج.
(٤) تعنى انها مخصبة وأن الجمل لا يعد ومرتعه فيها .
(٥) الفتان (بفتح الفاء) : الشيطان. وقيل: اللص الذى يعرض للرفقة فى طريقهم. ويروى الفتان : (بضم الفاء) : جمع الفاتن، وهو الذى يضل الناس عن الحق ويفتنهم.

على رسول الله صلى الله عليه وسلم.ولكن لا تلمنى أن أسأل حظـــى إذ سألت حظك، قال: وأى حظ لك فى الدهناء لا أبالك؟

قلت:مقيد جملى تريده لجمل امرأتك ! فقال: لا جرم ([1]) إنى أُشهد رسول الله أنى لك أخ ما حييت؛ إذ أثنيتِ علىّ عنده. فقلت: أما إذ بدأتها فلن أضيعها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيلام ابن هذه أن يفصــل الخطة([2])، وينتصر من وراء الحجزة([3]) فبكيت. ثم قلت: فقد والله ولدته يا رسول الله حراما، فقاتل معك يوم الربذة([4])، ثم ذهب يمترى من حيبر فأصابته حماها فمات، فقال: لو لم تكونى مسكينة لجررناك على وجهك. أيغلب أحيدكم على أن يصاحب صويحبه فى الدنيا معروفا، فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به استرجع، ثم قال:

رب آسنى لما أمضيت، وأعنى على ما أبقيت.فوالذى نفس محمد بيده إن أحدكم ليبكى فيستعبر له صويحبـــه، فيـــا عبـــاد الله لا تعذبـــوا إخوانكم.

ثم كتب لها فى قطعة أدم أحمر: لقيلة والنسوة من بنات قيلـــة (لا) يظلمن ولا يكرهن على منكح، وكل مؤمن مسلم لهن نصير، أحســـن ولا تسئن.

وقد ذكر ابن كثير طائفة أخرى من الوفادات . منها

([1])لا جرم: لابد ولا محالة، أو حقا.

([2])الخطة: الأمر أو الحالة. وفى المثل:" جاء فلان وفى رأسه خطة": أمر قد عـــزم عليه وفى الحديث :"إنه قد عرض لكم خطة رشد فاقبلوها": أمرا واضحا فى الهدى والاستقامة جمع: خطط.

([3])الحجزة: جمع الحاجز: الذى يمنع الناس من بعض ويفصل بينهم بالحق.

([4]) الربذة: من قرى المدينة على بعد ثلاثة أميال.

قدوم تميم الدارى: فقال: قَدِم على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تميم الدارى ٠٠٠٠ (١) ٠

قدوم طارق بن عبدالله:

روى الحافظ البيهقى عن جامع بن شداد المحاربى: حدثنى رجل من قومى يُقال له طارق بن عبد الله٠ قال: إنى لقائم بسوق ذى المجاز إذ أقبل رجل عليه جبة وهو يقول:" يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة، وهو يقول :"يأيها الناس إنه كذاب" فقلت من هذا؟ فقالوا غلام من بنى هاشم يزعم أنه رسول الله٠ قال: قلت من هذا الذى يفعل به هذا؟ قالوا هذا عمه عبد العزى٠ قال: فلما أسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة نريد المدينة (وهناك التقوا برسول الله ــ صلى الله عليه وسلم وعرفهم بنفسه) فأسلموا(٢)٠

قدوم وفد بنى هلال بن عامر : قال ابن كثير:

"وفى وفدهم عبد عوف بن أصرم، فأسلم وسماه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبد الله.وقبيصة بن مخارق٠٠٠ وذكر فى وفد بنى هلال :زياد بن عبد الله بن مالك بن نجير بن الهدم بن روينة بن عبد الله بن هلال٠٠٠(٣)٠

وقد جاء الطفيل بن عمرو إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : إ"ن دوسا قد هلكت مرمصت وأبت، فادع عليهم يا رسول الله. فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ "اللهم اهد دوسا وأت بهم"(٤) ثم إن دوسا قدمت ومعها أبو هريرة وأسلموا ٠

---

(١) البداية والنهاية ٨٧/٢ ٠
(٢) نفسه ٨٦،٨٥/٢ ٠
(٣) نفسه ٩٢/٢ ٠
(٤) نفسه ٨٦/٢ ٠

قدوم فروة بن مسيك المرادى:

قال ابن اسحاق: وقَدِم فروة بن مسيك المرادى، مفارقا لملوك كندة ومباعدا لهم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم ....

فلما انتهى فروة إلى رسول الله (ص) قال له : يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرم. فقال: يا رسول الله . من ذا الذى يصيب قومه ما أصاب قومى يوم الرم لا يسوءه ذلك؟ فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم ما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيرا" واستعمله على مراد ومذحج وزبيد(١).

عمرو بن معد يكرب :

ركب عمرو بن معد يكرب حتى قَدِم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأسلم وصدقه وآمن به(٢).

وهناك عدة وفادات أوردها ابن سعد منها(٣):

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة، وقدوم أعشى بنى مازن (واسمه عبد الله الأعور) فى وفد من الأزد، وقد قَدِم أيضا كتاب ملوك حمير ورسلهم بإسلامهم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان فى وفدهم: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال والنعمان وغيرهم.

وممن وفدوا على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالمدينة: جرير بن عبدالله البجلى.وممن وَفَدَ وائل بن حجر بن ربيعة الحضرمى أحد ملوك اليمن.

---

(١) البداية والنهاية ٧١،٧٠/٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ٤٢٩/٤ .
(٢) نفسه ٧١/٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ٤٣١/٤ .
(٣) نفسه من ٧١/٢ إلى ٨٥/٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ٤٤٦/٤ .

وقَدِم على رسول الله (ص) فى هدنة الحديبية قبل خيبر: رفاعـــة بن زيد الجذامى ثم الضبيبى، فأسلم وحسن إسلامه.ومنـــهم: زيـــاد بـــن الحارث الصدائى• ومنهم أيضا: الحارث بن حسان البكرى، وكذلك وَفَـد عبد الرحمن بن أبى عقيل مع قومه، كما قدم طارق بن عبد الله •

قال ابن إسحاق: وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله — صلـــى الله عليه وسلم — رجلا منهم: ضِمام بن ثعلبة([1]) هـــذا، وفـــى البدايـــة والنهاية لابن كثير، والسيرة النبوية لابن هشام، وغيرهما من الكتب التى تناولت أحداث تلك الحقبة من صدر الإسلام — الوفر الكثير لمن يرغـــب فى المزيد من الإحاطة بأخبار تلك الوفود، مما لا يتسع له هذا البحـــث فليرجع إليها من أراد •

إسلام الجن :

أنزل الله تعالى قوله :"وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْـــتَمِعُونَ الْقُرْآنَ • فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا، فَلَمَّا قُضِيَ "وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ" الآيات ([2]) •

وكانت الجن قد رُدُّوا عن التصنت على أخبار الســماء وصريــر الأقلام، فتساءلوا وخرجت وفودهم تجوب الكون بحثا عن السبب•

"وانطلق الذين توجهوا إلى نحو تهامة إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ، وهو يصلى بأصحابـــه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تَسَمَّعوا له، فقالوا: هذا الذى حال بينكـــم وبين خير السماء••••••" •

([1]) السيرة النبوية ابن هشام ٤/٤٣٢ •
([2]) سورة الأحقاف الأيات ٢٩ — ٣٢ •

فلما سمعوه قالوا: أنصتوا ــ قالوا: صه ــ وكانوا سبعة أحدهم زوبعة. فأنزل الله تعالى :" وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن ... (وروى الشعبى عن علقمة قال: قلت لعبد الله بن مسعود: هل صحب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليلة الجن منكم أحد؟ فقال: ما صحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة، فقلنا: اغتيل؟ استطير؟ ما فعل؟

قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فلما كان وجه الصبح ــ أو قال: فى السحر ــ إذا نحن به يجئ من قبل حراء . فقلنا: يا رسول الله ــ فذكروا الذى كانوا فيه ــ فقال:" إنه أتانى داعى الجن فأتيتهم فقرأت عليهم"( ) .

* * *

وبعد فهذه وفود وفدت على سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الإنس . كانت وفاداتها، فى مكة المشرفة ــ قبل هجرته، ثم المدينة المكرمة بعد مهاجره إليها، واتخاذها مقرا مباركا للدعوة الإسلامية .

وقد كان حظ العام التاسع من هذه الوفود حظا وفيرا، حتى اشتهر بأنه عام الوفود،لكثرة ما وفد من أنحاء الجزيرة بعد استقرار الإسلام، ثم كانت وفادة الجن فى لقائهم واستماعهم للقرآن الكريم من سيد الخلق وإذعانهم وإسلامهم لله رب العالمين .

وهناك وفادات أخرى ــ وفدت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ استعرضتها بعض كتب الأدب، ذكر منها الجاحظ فى كتابه .

فعن: غيلان بن جرير، مطرف بن عبد الله بن الشخير، وأبيه عبدالله بن الشخير: قال قدمنا على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى وفد، فقلنا: يا رسول الله ــ أنت سيدنا، وأنت أطولنا علينا طولا

( ) نهاية الأرب ١٨/١٣٨ ــ ١٤١ .

وأنت الجفنة الغراء "فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم :"أيها الناس. قولوا بقولكم. ولا يستفزنكم الشيطان، فإنما أنا عبد الله ورسوله"([1]).

وقال ابن قتيبة([2]):

وأخو عمرو بن الأهتم عبد الله بن الأهتم، جد خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم، وآل الأهتم خطباء، وكان عمرو يكنى أبا ربعى — وهو جاهلى إسلامى، وكان فى الجاهلية يدعى "المكحل" لجماله، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويقول صاحب الأغانى:

وممن وفد على النبى صلى الله عليه وسلم: لبيد (بنى عامر)

قال ابن عبد ربه: ولما ظهر الإسلام، وأقبلت وفود العرب على النبى (ص) جاء لبيد فى بنى عامر، وأسلم وعاد إلى بلاده، وحسن إسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله .... ([3]).

كذلك وَفَدَ على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الشاعران: كعب بن زهير وأخوه بجير بن زهير([4]) ــ وقصة إسلامهما مشهورة.

وممن وفدوا على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم:

([1]) البيان والتبيين جـ١ ص١٩٥.

([2]) الشعر والشعراء ٦٣٧/٢ ابن قتيبة دار التراث العربى ــ مصر ط٣ /١٩٧٧.

([3]) الأغانى جـ٥٨/١٧ وانظر: جواهر الأدب ٣٦٣/٢ أحمد الهاشمى والعقد الفريد ٢٩٣/١ تحقيق / محمد سعيد العريان.

([4]) نفسه جـ١٧ ص٨٦.

زيد الخيل بن مهلهل، وكان معه: وزر بن سدوس النبهانى وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الحرمى، ومالك بن جبير المغنى وقعين بن خليل الطريفى([1])٠

ويقول البغدادى:

ومنهم — أيضا — : قرة بن هبيرة، وَفَدَ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأكرمه وكساه واستعمله على صدقات قومه ([2]) ٠

ومنهم: أبو ذؤيب الهذلى٠ الذى وَفَدَ على النبى (ص) فى مرض موته، فمات النبى قبل قدومه بليلة، أدركه وهو مسجى وصلى عليه وشهد دفنه (صلى الله عليه وسلم) ٠

ومنهم: ضرار بن الأزور: مالك بن أوس بن جذيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة٠٠٠ أتى النبى صلى الله عليه وسلم — وأنشده شعرا٠ فقال له النبى :"ربح البيع" ([3])٠

وكما كانت هذه الوفود إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان منه رسل، شرفهم بحمل كتبه ورسائله إلى أنحاء متفرقة، داخل جزيرة العرب وخارجها٠ وهو ما سنعرض له فيما يلى:

([1]) نفسه ٢٤٨/١٧ ٠
([2]) خزانة الأدب ٦٢/٣ البغدادى ٠
([3]) نفسه ٣٢٥/٣ ٠

ب- السفارة

رسل النبىﷺ

بعد أن هيأ الله تعالى للإسلام دار الأمن والأمان، ومهد للدعـــوة أرض القوة والانطلاق والانتشار، أصبحت يثرب (المدينة المنورة) التـى شرفها الله تعالى بأن جعلها مهاجر محمد — صلى الله عليه وسلم — كمـا شرفها بأن صارت مثوى أعظمه الطاهرات إلى يوم القيامة.

وفى يثرب — المدينة المنورة — بدأت الدعوة تتخذ مسارا جديـدا يتمثل فى الخروج إلى القبائل المنتشرة فى أنحـــاء الجزيـــرة العربيـــة، والممالك المجاورة —

والمعروف أن العلائق السياسية للمسلمين مع من جـــاورهم مـــن الأمم والقبائل لم تبدأ إلا بعد صلح الحديبية، ورأى رسول الله — صلـــى الله عليه وسلم — أن يبلغ هؤلاء جميعا دعوة الإيمان والتصديـــق بـــالله الواحد الأحد، ورسالة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، فأرســـل رســـله بكتبه إليهم ، وكانت "تلك الرسائل الملهمة التى وجهها رسولنا العظيم إلى الملوك والعظماء يدعوهم فيها إلى الدخول فى الإسلام، وهـــى الرســـائل التى حملها رسل النبى، أولئك السفراء الكرام، الذين بلغوا رسائل النبـــى فى إخلاص وأمانة ودراية وحكمة وإقناع .

من أشهر السفارات فى الجاهلية . سفارة هرم بن سنان والحارث بن عوف {سعى ساعيا غيظ بن مرة ...([1])

وكانت هذه الرسائل النبوية الشريفة طليعـــة الدعـــوة الإســـلامية الباهرة، التى سرعان ما ملأت أرجاء الدنيا، وكتبت للإســـــلام النصـــر المؤزر والفتح المبين"([2]) .

([1]) الخزانة ٦/٣ .
([2]) سفراء النبى عليه السلام ص٣ . د. مختار الوكيل .

أخبرنا ابن قتيبة قال: حدثنا الوليد بن مسلم·· أن رسول الله (ص) قال:"لقد هممت أن أبعث إلى الأمم رجالا يدعونهم إلى الإسلام ويرغّبونهم فى الدين، فأبعث أبى بن كعب وسالما مولى أبى حذيفة ومعاذ ابن جبل، كما فعل عيسى بن مريم عليها السلام" ([1])·

وتنقسم هذه الرسائل النبوية الشريفة إلى ثلاثة أقسام من حيث توجيهها، طبقا لما تتطلبه من توجيه، حيث أحاطت بالدعوة ثلاث قوى مختلفة ·

"فقسم منها:موجه إلى الدولة الرومية وتوابعها·

وقسم آخر:وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك الفرس وغيره من الملوك الذين كانوا تحت سيطرته ·

وقسم ثالث: كتب به الرسول عليه الصلاة والسلام إلى القبائل المنتشرة فى بلاد العرب"([2])·

كما كان هؤلاء السفراء على درجة عالية من الأمانة والشجاعة والإخلاص والذكاء، ويكفيهم شرفا وفخرا أن يختارهم أكرم الرسل وأشرف الخلق — صلى الله عليه وسلم — لما يتميزون به من "العلم الواسع، والذكاء الخارق والسمعة الطيبة، والمظهر اللائق،والرونق الشائق، والمنطق اللطيف، والبديهة الحاضرة، حتى يكون لكلامهم وقع ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه···"([3])·

وقد اختُلف فى عدد السفراء الذين بعث بهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم، فذُكر أنهم أحد عشر رجلا — هم :"عمرو بن أمية

([1]) الامامة والسياسة ابن قتيبة ١/١٠ ·
([2]) الكتابة والكتاب فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم ص٥ د· محمد جمعة ·
([3]) المرجع السابق ص٧ ·

الضمرى، ودحية بن خليفة الكلبى، وعبدالله بن حذافة السهمى، وحاطب ابن أبى بلتعة اللخمى، وعمرو بن العاص، وسليط بن عمرو العامرى وشجاع بن وهب الأسدى، والمهاجرين أبى أمية المخزومى، والعلاء بن الحضرمى، وأبو موسى الأشعرى، ومعاذ بن جبل"(١)٠

وهؤلاء السفراء (الرسل) هم المثبتون فى أغلب المراجع التى تناولت الكتابة عن السفراء الذين بعثهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم٠

"وقد ورد أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث الحارث ابن عمير الأزدى إلى ملك بصرى بكتاب، فلما نزل مؤتة قتله شرحبيل ابن عمرو الغسانى"(٢)٠

ولعل ذكره لم يثبت كالسابقين لمقتله ، وعدم تمكنه من العودة برد الرسالة التى حملها، مما ترتب عليه بعث سرية مؤتة المعروفة، ويضيف صاحب (الكتابة والكتّاب) أنه حصر عددهم فى خمسة وأربعين كاتبا مع عدم ذكر أسمائهم، زاعما أن أحدًا لم يسبقه بذكر هذا العدد (٣) وعلى الرغم من أن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، فقد أنشأ ما عرف — فيما بعد — بديوان الكتابة — حيث جمع نفرا ممن يجيدون الكتابة، وكلفهم بتحرير الرسائل التى كان يحملها سفراؤه ورسله، وقد "أدت طبيعة رسالة الإسلام" التى تقوم على الحض على طلب العلم، وتعلم القراءة والكتابة، وتحث على ذلك حثا قويا فى عديد من آيات القرآن الكريم، مع حاجة الرسول — صلى الله عليه وسلم — إلى الكتّاب، ليكتبوا له ما تحتاجه تلك الدولة الناشئة التى أرسى قواعدها وشاد بناءها الرسول عليه الصلاة والسلام — أدى كل ذلك إلى العناية

---

(١) نهاية الأرب ١٥٦/١٨ ٠
(٢) نهاية الأرب ١٥٦/١٨ ٠
(٣) الكتابة والكتاب ص٥ ٠

بالكتابة والاهتمام بشأنها ، ورغبة المسلمين فى تعلمها٠٠٠"(١) ولذا عمل الرسول — صلى الله عليه وسلم — على أن يكون للدعوة كتّابُها الذين يعدون هذه الرسائل التى يحملها سفراء النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى الملوك والعظماء، يدعونهم فيها إلى الإسلام، ويشرحون مبادئه وتعاليمه، التى كان المصطفى يمليها على هؤلاء الكتّاب، كما كان هؤلاء الكتّاب نماذج حيةَ فى الأمانة والاستقامة والتقوى٠

وكان استقرار الإسلام فى المدينة المنورة، بمثابة الإشارة إلى بدء تكوين الدولة الإسلامية، وما تتطلبه من علاقات داخلية وخارجية تقوم الرسائل فيها بدور مهم وخطر٠

وقد قُسِّمت رسائل النبى — صلى الله عليه وسلم — من حيث الزمن إلى ثلاثة أقسام ٠

القسم الأول: ويتناول تلك التى تبدأ من الهجرة إلى وقعة الخندق٠٠ والرسائل فى هذه المرحلة خلو من التاريخ، وكلها تحمل الطابع السياسى، وتهدف إلى محالفة القبائل على ما هى عليه من الكفر والشرك، للاستعانة بهذه الأحلاف على إضعاف قريش وإحكام الحصار حولها٠٠٠٠٠٠

أما القسم الثانى: فهى التى كتبت ما بين السنة الخامسة وفتح مكة٠ نرى الرسول — صلى الله عليه وسلم — أقوى مركزا، وأنفذ كلمة، وأبعد صوتا، ولا تتضح فى كتبه — صلى الله عليه وسلم — ما كان يتضح من قبل، من الاتجاه إلى محالفة المشركين، بل أخذ يشترط على من يراسله: الإسلام أو الجزية، مثل رسالته — صلى الله عليه وسلم

(١) الكتابة والكتاب فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ص٢٣ د٠ محمد جمعه دار الأرقم سنة ١٩٩١ مصر ٠

ـــ إلى المنذر بن ساوى ـــ وقد جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم ٠ من محمد رسول الله ٠ إلى المنذر بن ساوى٠ سلام عليك، فإنى أحمد الله إليك، الذى لا إله غيره، وأشهد أن لا إله إلا الله٠ وأن محمدا عبده ورسوله٠ أما بعد٠ فإنى أذكّرك الله عزوجل٠ فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلى، ويتبع أوامرهم، فقد أطاعنى، ومن نصح لهم فقد نصح لى، وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرا، وإنى قد شفعتك فى قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نَعزِلَك من عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية"٠

<u>أما القسم الثالث :</u> فتلك التى كانت بعد غزوة تبوك، وقد بلغ فيها الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أعلى درجات القوة، وأخذ يستثمر المركز الحربى والدينى الذى بلغته الدولة الإسلامية الناشئة، فصار لا يكتفى بقبول الإسلام أو الجزية، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، ففرض الزكاة ـــ وفق أمر الله عز وجل ـــ على القبائل الداخلة فى الإسلام٠٠٠"(١)٠

وقد أوصل ابن عساكر فى كتابه (تاريخ دمشق) كُتّاب الرسائل إلى ثلاثة وعشرين كاتبا، وترجم لهم فى نهجه الحافل فأوصلهم إلى خمسة وعشرين، وفيهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان ابن عفان، وعلى بن أبى طالب، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم وأبى بن كعب، وثابت بن قيس بن شماس، وخالد بن سعيد بن العاص

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الرشيدة ص١٢٨ د/ محمد حميد الله دار الإرشاد ـــ بيروت ط٣ سنة ١٩٦٩م وانظر: الكتابة والكتاب فى عهد الرسول (ص) ص٣٣،٣٤ ٠

وأخوه حيان، وحنظلة بن أبى عامر الأسدى، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبى سفيان، وشرحبيل بن حسنة ، وعبد الله بن أبى سلول، والزبير بن العوام، المغيرة بن شعبة، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الله ابن رواحة، وعبد الله بن سعيد بن أبى السرح، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص، والعلاء بن الحضرمى، وحويطب بن عبد العزى العامرى"(١)٠

كما أوصل بعض المؤرخين عدّهم إلى أربعين، وارتفع به بعضهم الأخر إلى ثلاثة وأربعين ٠

واهتمام الرسول — صلى الله عليه وسلم — ببعث رسله بكتبه إلى الملوك والعظماء يعكس لنا مدى تحضر هذا الدين الحنيف، واستعماله الكلمة الطيبة وسيلة إلى الدعوة، وشرح أركان الإسلام، وفتح بابه لمن خالط قلوبهم الإيمان،فيسارعون إلى الانضواء تحت لوائه، فهو سبيل حضارة ورقى، وقد سلكته الأمم المتحضرة من قبل، فكانت "كتابة الرسائل، وإيفاد الرسل، أمرا معروفا منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب، ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من الاتصالات الدولية، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة، وعرفه من قبل قدماء المصريين٠٠ ثم أخذ يتطور ويتأهل تدريجا فى العصور المتأخرة حتى أصبح من أهم ضروب الاتصالات الدبلوماسية المعروفة فى العصر الحديث٠٠٠٠"(٢)٠

وفى المحرم من سنة سبع من مهاجره الشريف، أرسل — صلى الله عليه وسلم — "ستة من هؤلاء الرسل، إلى ستة ملوك، وذلك أنه — صلى الله عليه وسلم — لما رجع من الحديبية فى ذى الحجة سنة خمس

---

(١) سفراء النبى عليه السلام ٨، ٩ ٠
(٢) نفسه ص٦ ٠

جهّز الرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتبا، فقيل لـه: يا رسول الله، إن الملوك لا يقرءون كتابا إلا مختوما، فاتخذ رسـول الله — صلى الله عليه وسلم — يومئذ خاتما من فضة، فصه منه، نقشـه ثلاثة أسطر: (محمد) سطر، (رسول) سطر، (الله) سـطر، وختـم بـه الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سـبع وأصبح كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذى بعثه رسول الله — صلـى الله عليه وسلم — إليهم"(١)٠

ونستعرض أسماء هؤلاء السفراء، ومن أُرسِلوا إليهم:

١-السفير: دحية الكلبى:

من أعظم سفراء النبى — صلى الله عليه وسلم — وأشهرهم، حمل رسالة النبى — عليه الصلاة والسلام — إلى قيصر ملك الروم(٢) واسـمه هرقل، وهَمّ بالإسلام وكاد ولم يفعل(٣) وكان دحية شابا صادق الإيمان من الرعيل الأول الذى تخرّج فى المدرسة المحمدية المثالية العليا، وكان جميل الصورة، عظيم الذكاء، وقيل فى وصف جماله: إن جبريل عليـه السلام كان يَفِد على النبى عليه الصلاة والسلام فى مثـل صورتـه٠٠٠ ويقال إن دحية كان أجمل أهل زمانه(٤) وقد كان لجمال دحية أثر عظيم فى نفس قيصر وحاشيته عندما قدم عليهم حاملا رسالة النبـى الكريـم

---

(١) نهاية الأرب ١٨/١٥٦،١٥٧ ٠

(٢) زاد المعاد ١١٤ ٠

(٣) سفراء النبى ١٧/١٨ وانظر : زاد المعاد ١١٣، البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٥ ص٥١ وسفراء النبى ٣١،٥١ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٤٩

(٤) زاد المعاد ١١٤ ٠

فضلا عن رجاحة عقله، وسرعة بديهته، وهيبته الشخصية الطاغية[١] وهو ثاني سفراء النبي (ص)٠ أرسله إلى قيصر٠

٢-عبد الله بن حذافة السهمي:

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى كسرى ملك الفرس، يدعوه إلى الإسلام، وأرسل معه كتابا ٠"قال عبد الله: فدفعت إليه كتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقرئ عليه، ثم أخذه فمزقه فلما بلغ ذلك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال:"اللهم مزّق ملكه"[٢]٠ وقد سلّط الله عليه ابنه شيرون فقتله، وأخبر النبي (ص) مبعوثي كسرى بموته لليلته٠

وكتاب النبي — صلى الله عليه وسلم — إلى كسرى، لا يزال موجودا إلى الآن "في خزانة كتب خاصة ملك السيد: هنري فرعون٠٠٠٠٠[٣]) وهو ما زعمه د/ محمد جمعة، مع مخالفة ما ذكره لما جاء في كتب السيرة والتاريخ من تمزيقه للكتاب ٠

٣- حاطب بن أبي بلتعة:

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى المقوقس صاحب الإسكندرية عظيم القبط، واسمه جريج بن مينا، وكتب معه كتابا، فأتاه وأوصل إليه كتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقرأه وقال خيرا، وجعل الكتاب في حُقّ من عاج، وختم عليه ودفعه إلى

---

[١] سفراء النبي ١٨/١٧ وانظر: زاد المعاد ١١٣، البداية والنهاية لابن كثير جـ ص١٥ ص٥١ وسفراء النبي ٥١،٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ ٠

[٢] نهاية الأرب ١٦٣/١٨ وانظر: زاد المعاد ١١٥ و٢٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ ٠

[٣] الكتابة والكتاب في عهد الرسول (ص) ص٣٧ ٠

جاريته٠٠٠([1]) وبعث إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط، كما أهدى إليه كسوة وبغلة يركبها٠٠٠ ولم يُسْلِم المقوقس٠

وقد اكتشف المستشرق الفرنسى (بارتيميلى) — فى كنيسة قرب أخميم بصعيد مصر — الأصلَ المكتوبَ لهذه الرسالة، وهو موجود الآن بمتحف (توب فابى) باستنبول ٠

<u>٤ – عمرو بن أمية الضمرى:</u>

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى النجاشى، وكتب معه كتابين، يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ النجاشى كتَاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوضعه على عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأرض، ثم أسلم([2]) ٠ وقد ظفر بهذا الكتاب المستشرق الإنجليزى دنلوب بأصله المكتوب، ونشر صورته الشمسية فى مجلة (الجمعية الملكية الأسبانية (JRAS) الإنجليزية فى سنة ١٩٤٠م شهر يناير، وعمرو بن أمية هو أول سفراء النبى(ص)([3])٠

<u>٥–شجاع بن وهب الأسدى:</u>

بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — شجاع بن وهب الأسدى، إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى٠ ملك البلقاء من أرض الشام، يدعوه إلى الإسلام، وكتب معه كتابا([4])٠

([1]) نهاية الأرب ١٦٤/١٨ ، سفراء النبى عليه السلام ص٣٧ وزاد المعاد ١١٥ ،٢٤٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ –

([2]) نفسه ١٥٧/١٨ ، وانظر سفراء النبى عليه السلام ص٣٣،٣٤ وزاد المعاد١١٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ ٠

([3]) الكتابة والكتاب فى عهد الرسول (ص) ص٣٧ ٠

([4]) نهاية الأرب ١٦٥/١٨ ، وانظر: سفراء النبى ص٤٤ وزاد المعاد ١/٦ والسيرة النبوية ٤٤٩/٤ ٠

وقال ابن هشام: إن شجاع بن وهب بعث إلى جبلة بن الأيهم الغسانى ٠

٦- العلاء بن الحضرمى:

بعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — "بسفير كريم هو العلاء ابن الحضرمى — إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، يدعوه إلى الإسلام وقد "بعثه عند منصرفه من الجعرّانة ٠٠٠ وكتب إليه كتابا ٠٠٠ وبعث معه أبا هريرة.فقرأ العلاء كتابه على الناس وأخذ صد قاتهم٠٠"(١) ٠

ونرى الرسول (ص) هنا أقوى مركزا،وأنفذ كلمة،وأبعدَ صوتا ٠٠٠ يشترط الإسلام أو الجزية و" كتابه — صلى الله عليه وسلم — إلى المنذر بن ساوى، نشر المستشرق الألمانى (فلايشر) صورته فى مجلة (جمعية المستشرقين الألمان (ZOMG) (٢) ٠

٧- عمرو بن العاص:

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى ذى القعدة سنة ثمان من مهاجره، إلى جعفر وعبد ابنى الجُلَندى، وهما من الأزد، والملك منهما جيفر يدعوهما إلى الإسلام، وكتب معه إليهما كتابا٠٠٠"(٣) ٠

وبعد نقاش أسلما، وظل عمرو مقيما معهما حتى وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ٠

٨- سليط بن عمرو العامرى:

بعثه النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى هوذة بن على، صاحب اليمامة، وأرسل معه رسالة إليه، فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله —

---

(١) نفسه ١٨/١٦٦،١٦٧ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٤٩ والكتابة والكتاب فى عهد النبى (ص) ٣٣ ٠

(٢) الكتابة والكتاب فى عهد الرسول (ص) ص٣٧ ٠

(٣) نهاية الأرب ١٨/١٦٧ ، وزاد المعاد ١١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٤٩ ٠

صلى الله عليه وسلم — مختوما، أنزله منزلا كريما، وقرأ عليه الكتاب فرد على رسالة النبى — صلى الله عليه وسلم . وأجاز سليط مبعوث النبى الكريم بجائزة، وكساه أثوابا من نسج هجر، ولكنه طلب من النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يجعل له بعض الأمر حتى يتبعه، فلما علم النبى — صلى الله عليه وسلم — رفض ودعا عليه (١)٠

٩-المهاجرين أبى أمية المخزومى:

"بعث صلى الله عليه وسلم — المهاجر بن أبى أمية المخزومى إلى الحارث الحميرى وهو الحارث بن عبد كلال ملك اليمن" (٢) وبه قال أيضا ابن هشام: "بعث المهاجرين أمية المخزومى إلى الحارث بن عبد كلال الحميرى ملك اليمن"(٣)٠

١٠- شجاع بن وهب الأسدى:

بعث النبى — صلى الله عليه وسلم — شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى.وكان بغوطة دمشق"(٤) وزوّده برسالة مكتوبة، ولم يسلم الحارث، ودعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم، فباد وباد ملكه٠

١١- معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعرى وعلى بن أبى طالب إلى اليمن ٠

وبعث عليه الصلاة والسلام أبا موسى الأشعرى،ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام من تبوك،وقيل:سنة

---

(١) نفسه ١٦٦/١٨، سفراء النبى ٤٢ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ ٠
(٢) نفسه ١٦٨/١٨ ، زاد المعاد ١١٧ ٠
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤٥٠/٤ ٠
(٤) سفراء النبى ٤٤ والسيرة النبوية لابن هشام ٤٤٩/٤ ٠

عشر من ربيع الأول ثم أوفد إلى اليمن كذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه"[1]٠

١٢- جرير بن عبد الله البجلى:

وقد ذكر محمد بن سعد بن منيع فى طبقاته الكبرى، أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث جرير بن عبد الله البجلى إلى ذى الكلاع ابن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع، وإلى ذى عمرو يدعوهما إلى الإسلام فأسلما[2]٠

"وكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات٠ إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه الأسود العنسى وهو بها٠

-وبعث زياد بن لبيد أخا بنى بياضة الأنصارى إلى حضرموت وعلى صدقاتها٠

-وبعث عدى بن حاتم على طيئ وصدقاتها، وعلى بنى أسد٠

-وبعث مالك بن نويرة — قال ابن هشام: اليربوعى — على صدقات بنى حنظلة، وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم، فبعث:

-الزبرقان بن بدر، على ناحية منها٠

-وقيس بن عاصم ، على ناحية٠

-وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين٠

---

(1) زاد المعاد ١١٧ ،٢٤٦ وصحيح البخارى ٨١/٣ ط دار الفتح الإسلامى — إسكندرية وسفراء النبى عليه السلام ٥٣، نهاية الأرب ١٦٨/١٨، ١٦٩ ٠

(2) نهاية الأرب ١٦٨/١٨ وسفراء النبى ٥٣ وزاد المعاد ١١٧ ٠

-وبعث على بن أبى طالب — رضوان الله عليه — إلى نجـــران ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم"( ) ٠

* * *

هذا — استعراض للوفادات التى وفدت على سيدنا رســـول الله — صلى الله عليه وسلم — فى المراحل الثلاث، التى تكلمت عنها آنفا، ويقع معظمها فى العام التاسع — المسمى بعام الوفود ٠

ثم للسفارات التى تفضل عليه السلام بإيفاد أعضائها — يحملـــون رسائله ويبلغون الموفدين إليهم، ويتلقون ردهم عليها، ويقع معظمها فـــى العام السابع للهجرة، أى أن السفراء كانوا أسبق بأداء مهامهم من الوفــود التى بدأ مجيئها إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — فيما بعد٠

وهناك وفادات أخرى — فى عهد الخلفاء الراشدين — رضوان الله عليهم — ثم فى عصر بنى أمية، ثم العصر العباسى٠

وسأتناول منها أهم الوفادات، وما دار فيها من نصوص أدبية هى موضوع الدراسة فى هذا البحث — إن شاء الله تعالى ٠

( ) السيرة النبوية لابن هشام ٤/٤٤٤ ونهاية الأرب ١٦٩/١٨ ٠

الفصل الأول

نماذج من نصوص

أدب الوفادة

من المعروف أن كل وفد من الوفود التى سبق تناولها بالعرض — وكذا السفارات — كان لكل منها لون من التعبير فيما دار بين هذه الوفود ومَن توجهوا إليهم، وما تضمنته هذه الرسائل التى حملوها من عبارات وأساليب.

وقد أشرت — فيما سبق — إلى تخصيص هذا المبحث لتناول هذه النصوص، بالعرض والشرح والتحليل.

ونظرًا لضخامة كمية هذه النصوص. رأيت أن أتخيّر منها نماذج تكون تصويرًا لما تحمله هذه النصوص فى كل عصر من العصور المختلفة:

أ-عصر ما قبل الإسلام.

ب-عصر صدر الإسلام (النبوة والخلافة).

جـ-عصر الدولة الأموية.

د-عصر الدولة العباسية.

أ: عصر ما قبل الإسلام

من أبرز الوفود التى تصوّر تلك المرحلة، وفادة النعمان بن المنذر، ووفادة رسله إلى كسرى أنى شروان. ثم وفادة الصقعب بن عمرو النهدى، وعامر بن جوين على النعمان بن المنذر، ثم وفادة قريش على سيف بن ذى يزن بعد قتله الحبشة.

١-وفادة النعمان بن المنذر على كسرى أنى شروان: [1] فقد روى ابن القطامى عن الكلبى قال: [2]

قَدِم النعمان بن المنذر على كسرى – وعنده وفود الروم والهند والصين. فذكروا مِن ملوكهم وبلادهم. فافتخر النعمان بالعرب، وفضّلهم على جميع الأمم، لا يستثنى فارس ولا غيرها.

فقال كسرى: (وأخذته عِزّة المُلك) يا نعمان. لقد فكرتُ فى أمر العرب وغيرهم من الأمم، ونظرت فى حالة مَن يقدم على من وفود الأمم، فوجدت للروم حظا فى اجتماع أُلفتِها. وعظيم سلطانها، وكثرة مدائنها، ووثيق بنيانها، وأنّ لها دِينا يبين حلالها وحرامها، ويرد سفيهها ويُقيم جاهها.

ورأيتُ الهند نحوًا مِن ذلك فى حكمتها وطبها، مع كثرة أنهار بلادها وثمارها، وعجيب صناعتها، وطيب أشجارها، ودقيق حسابها. وكثرة عددها.

---

(١) جمهرة خطب العرب فى العصر الجاهلى. أحمد زكى صفوت ١/٥ ط عيسى الحلبى / مصر/ ١٩٦٢ ط٢.

(٢) العقد الفريد م٢ ع١٠ ص٦ وما بعدها جـ١ بن عبد ربه تحقيق د/أحمد يسرى. ط / دار الإمام على (المعادى) مصر سنة١٩٩٢.

العقد الفريد ٢٢٨/١ وما بعدها تحقيق/ محمد سعيد العريان ط/ دار الفكر، وجواهر الأدب ١٨٨/١ وما بعدها أحمد الهاشمى ط. بيروت.

وكذلك الصين فى اجتماعها، وكثرة صناعات أيديـــها فـــى آلـــة الحرب، وصناعة الحديد، وفروسيتها وهمتها، وأن لها مَلِكاً يجمعها.

والترك والخزر على ما بهم مِن سوء الحال فى المعـــاش، وقلـــة الريف والثمار والحصون، وما هو رأس عمارة الدنيـــا مِـــن المســـاكن والملابس، لهم ملوك تضم قواصيهم، وتدبّر أمرهم.

ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير فى أمر دين ولا دنيـــا، ولا حزم ولا قوة، ومع أن مما يدل على مهانتها وذلـــها، وصِغـــر هِمتـــها محلتهم التى هم بها مع الوحوش النافرة، والطير الحائرة، يقتّلون أولادَهم مِن الفاقة، ويأكلُ بعضهم بعضا من الحاجة. قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها، ومشاربها ولهوها، ولذاتها، فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الإبل، التى يعافها كثير من السباع لثقلها، وسوء طعمها، وخوف دائـــها وإن قرى أحدهم ضيفاً عدها مكرُمة، وإن أُطعِم أكلةً عدها غنيمة، تنطـق بذلك أشعارهم، وتفتخر بذلك رجالهم، ما خلا هذه التنوخية(١) التى أسس جدى اجتماعَها، وشد مملكتَها، ومنعها مِن عدوها، فجرى لها ذلك إلـــى يومنا هذا، وإن لها مع ذلك آثارا ولبوسا(٢)، وقُرى وحصونا، وأمـــورا تشبه بعض أمور الناس — يعنى اليمن — ثم لا أراكم تستكينون على مـــا بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس، حتى تفتخروا، وتريدون أن تـــنزلوا فوق مراتب الناس.

قال النعمان:

أصلح الله الملك. حق لأمة المَلِكُ منها أن يسمو فضلها، ويعظـــم خطبها، وتعلو درجتها. إلا أنّ عندى جوابا فى كل ما نطق به المَلك، فى غير رد عليه، ولا تكذيب له، فإن أمننى من غضبه نطقت به.

---

(١) تنوخ: حى من العرب أو من اليمن، أو قبيلة، مشتق من تنخ، بمعنى ثبت وأقـــام، لأنهم اجتمعوا وتحالفوا فتنخوا.
(٢) اللبوس: الدرع.

قال كسرى: قُلْ فأنتَ آمن •

قال النعمان: أما أُمتك أيها الملك فليست تُنازَع في الفضل لموضعها الذى هى به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها، وبحبوحة عزها، وما أكرَمَها الله به من ولاية آبائك وولايتك، وأما الأمم التى ذكرتَ، فأى أمة تقرنها بالعرب إلا فضلتها •

قال كسرى: بماذا؟

قال النعمان:

بعزها ومَنَعتها، وحسن وجوهها وبأسها وسخائها، وحكمة ألسنتها، وشدة عقولها وأَنَفَتها ووفائها •

فأما عِزُّها ومَنَعتها، فإنها لم تزل محاورة لآبائك الذين دَوَّخُوا البلاد، ووطّدوا الملك، وقادوا الجند. لم يطمع فيهم طامع، ولم ينلهم نائل حصونُهم ظهورُ خيلِهم، ومهادُهم الأرض، وسقوفُهم السماء، وجُنّتُهم السيوف، وعدتُهم الصبر، إذ غيرُها من الأمم إنما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور •

وأما حُسنُ وجوهها وألوانها: فقد يُعرَف فضلهم فى ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة، والصين المنحفة، والترك المشوهة، والروم المقشرة •

وأما أنسابها وأحسابها: فليست أمة من الأمم إلا وقد جَهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها، حتى إن أحدهم ليُسأل عمن وراء أبيه دُنيا(١) فلا ينسبه ولا يعرفه، وليس أحد من العرب إلا يسمى آباءه أبا فأبا حاطوا بذلك أحسابهم، وحَفِظوا به أنسابهم، فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يدعى إلى غير أبيه •

---

(١) دنيا (بضم الدال وكسرها مع التنوين. وبكسرها بلا تنوين) :أى لحما لاصق النسب •

وأما سخاؤها: فإن أدناهم رجلا الذى تكون البَكرة والناب عليها بلاغه(١) فى حموله وشِبَعه ورِيّه، فيطرقه الطارق(٢) الذى يكتفى بالفلذة(٣)، ويجترئ بالشَّربة، فيعقرها له، ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها، فيما يُكسِبه حسن الأحدوثة وطيب الذكر.

وأما حكمة ألسنتهم: فإن الله تعالى أعطاهم فى أشعارهم ورونق كلامِهم وحُسنه ووَزْنه وقوافيه، مع معرفتهم بالأشياء، وضربهم للأمثال وإبلاغهم فى الصفات ما ليس لشئ مِن ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيل، ونساؤهم أعفُّ النساء، ولِباسُهم أفضل اللِباس، ومعادنهم الذهب والفضة، وحجارة جبالهم الجزع(٤)، ومطاياهم التى لا يُبلَغ على مثلها سفر، ولا يُقطَع بمثلها بلد قفر.

وأما دينها وشريعتها: فإنهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم مِن نسكه بدينه أن لهم أشهرًا حُرُما، وبَلدًا محرَّما، وبيتًا محجوجا، ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتلَ أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثأره، وإدراك رغبته منه، فيحجزه كرمه، ويمنعه دِينه عن تناوله بأذى.

وأما وفاؤها: فإن أحدهم يلحظ اللحظة، ويومئ الإيماءة فهى ولث(٥) وعقدة، لا يحلها إلا خروج نفْسِه، وان أحدهم ليرقع عودا من الأرض، فيكون رهنا بدَينه، فلا يغلق رهنه(٦)، ولا تخفر ذِمّته(٧)، وإن أحدهم ليبلغه أن رجلا استجارَ به، وعسى أن يكون نائيا عن داره

---

(١) الناب: الناقة المسنة {عكس البكرة}، بلاغه: معونته وكفايته.
(٢) الطارق: الزائر ليلا.
(٣) الفلذة: القطعة.
(٤) الجزع: (بالفتح والكسر) :خرز يمانى فيه سواد وبياض.
(٥) ولث: الولث العهد.
(٦) غلق الرهن: لم يقدر راهنه على تخليصه من المرتهن فى الموعد المشروط. فصار ملكا للمرتهن. وقد أبطله الإسلام.
(٧) لا تخفر ذمته: لا ينقض عهده ولا يغدر.

فيصاب فلا يرضى حتى يُفنىَ تلك القبيلة التى أصابته، أو تَفنىَ قبيلته لما خفر من جواره، وإنه ليلجأ إليهم المجرم المحدث مِن غير معرفة ولا قرابة، فتكون أنفسُهم دونَ نفْسِه، وأموالُهم دونَ مالِهِ.

وأما قولك أيها الملك :يئدون أولادهم، فإنما يفعله مَن يفعله منهم بالإناث أَنَفَة من العار، وغَيرة من الأزواج.

أما قولك: إن أفضلَ طعامِهم لحومُ الإبل، على ما وصفت منها. فما تركوا ما دونَها إلا احتقارًا له، فعمدوا إلى أجلِّها وأفضلِها، فكانت مراكبَهم وطعامَهم، مع أنها أكثر البهائم شحوما، وأطيبها لحوما، وأرقها ألبانا، وأقلها غائلة، وأحلاها مَضغة، وإنه لا شئ من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه.

وأما تحارُبُهم وأكلُ بعضهم بعضا، وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم، فإنما يفعل ذلك مَن يفعله مِن الأمم، إذا أنست من نفسها ضَعفا وتخوفت نهوضَ عدُوّها إليها بالزحف، وإنه إنما يكون فى المملكة العظيمة أهلُ بيت واحد، يُعرَف فضلُهم على سائر غيرهم، فيلقون إليهم أمورهم، وينقادون لهم بأزمتهم: وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم، حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين، مع أَنَفَتهم من أداء الخراج والوطف([1]) بالعنف.

وأما اليمن التى وصفها الملك: فإنما أتى جد الملك الذى([2]) أتاه عند غلبة الحبش له على مُلك متّسق، وأمر مجتمع، فأتاه مسلوبا طريدا مستصرخا، وقد تقاصر عن إيوائه، وصغُر فى عينه ما شيد من بنائه

([1]) الوطف: طرد الطريدة والجد فى أثرها.
([2]) (الذى) فاعل أتى. والمقصود به سيف بن ذى يزن الذى استنجد بجد كسرى على الحبش.

ولولا ما وُتِرَ(١) به من يليه من العرب لمال إلى مجال، ولوَجَد مَن يُجيد الطِعان، ويَغضبُ للأحرار من غلبة العبيد الأشرار.

قال: فعَجِب كسرى لما أجابَه النعمان به، وقال: إنك لأهلٌ لموضِعِك من الرياسة فى أهل إقليمك، ولما هو أفضل.

ثم كساه من كسوته، وسرّحه إلى موضعه من الجيرة.

* * * *

حول النص:

هذه الوفادة من أشهر الوفادات فى عصر ما قبل الإسلام بين العرب وغيرهم، فقد كانت بين النعمان بن المنذر – الملك العربى – وكسرى الفرس أنى شروان، وقد يُعتَرَض بأن كسرى لسانَه فارسىّ فكيف يحاور عربيا؟ والرد يسير، ولا يتعدى أحد أمرين:

إما أن يكون كسرى يعرف العربية، وهو احتمال قد يكون ضعيفا.

وإما أن يكون له مترجم، ينقل ما يدور من العربية إلى الفارسية وبالعكس، وهو ما أرجّحه، وإن كان بعض المؤلفين ذكر أن كسرى كان يعرف أكثر من لغة منها العربية .

* فى بداية اللقاء، نرى كسرى محاطا بكوكبة من وفود الأمم الأخرى غير العربية، فرأى النعمان أن من حقه أن يعتز بعروبته وأُمته، وأنها أفضل الأمم جمعاء.

وهنا نجد كسرى تأخذه نعرة العصبية، وعزة الملك، فينال من أمة العرب، ويَنتقص قدرَها، ويُفضّل عليها الأمم الأخرى، مدعيا أن لِأُمّة

---

(١) وتريه: تعلق به.

الروم حظا فى اجتماع أُلفتها، وعضيد سلطانها وتحضُّرها بكثرة مدنها وتدينها، وما لهذا الدين من أثر أخلاقى واجتماعى.

وأن للهند ما للروم من تحضر ورقى وتماسك، إلى جانب كثرة خيراتها من أنهار وثمار وصناعات وحكمة وطب. كما أن للصين كذلك من مظاهر الاجتماع والصناعات وبخاصة آلة الحرب وفروسيتها، أما الترك والخزر فلهم ملوك يضمون قواصيهم ويدبرون أمورهم، على ما هم فيه من سوء حال المعاش، وهو بذلك ينال من العرب، ويصمهم بالفوضى وعدم تحصيل شئ من أمور الخير، ويرى فيهم المهانة والذل وارتكاب الرذائل كوأد البنات، وإغارة بعضهم على بعض، ويذم طعامهم من لحم الإبل، وأن الكرم الذى يتحدثون عنه يعده الواحد منهم مكرمة أو غنيمة، يستثنى من ذلك اليمن التى أسسها جده.

وهى بلا شك — روح عنصرية عصبية، غلبت على كسرى وجعلته يقدم على هذا الاتهام لأمة العرب، مسببا لضيفه حرجا، وهو عمل يتنافى وأخلاق الملوك ولكنها الغطرسة التى سيطرت على كسرى فارس فقال ما قال.

ومما لا شك فيه — أن ذلك الموقف أثار حفيظة النعمان، فقام يرد عن العرب، وأخذ يفند كل ما قاله كسرى، فطلب منه الأمان فأمنه، فبدأ بأن أقر لأمة المَلِك بفضلها، وبما هى عليه من رجاحة العقول وبسطة المحل، وبحبوحة العز، وتداوُل المُلك فى أجداد وآباء كسرى، ولكن أى فضل للأمم الأخرى التى ذكرها؟ إنها أمم تابعة. لا سيادة لها ولا عز وأمة العرب تفضل أياً مها بعِزّها ومَنَعَتِها وحُسْنِ وُجوهِها وبَأسِها وسخائِها، وحِكمة ألسنتها، وشِدة عقولها وأَنَفَتِها ووَفائِها وتَدَيُّنِها وشريعتها،أما ما ذكره مِن العيوب. فهى ليست عيوبا، وأخذ يشرح له أسرار ذلك حتى عَجِب منه كسرى، ولم يقف الأمر عند ذلك بل إن

النعمان عندما عاد إلى دياره استنفر مجموعةً من فُصحاءِ العَرب وحكمائهم، وشرح لهم ما دار بينه وبين كسرى. وما كان منه مِن تهجين أمر العرب وتنقصهم، وطلب منهم الشخوص إليه، والتحدث بين يديه بما يُعلِى قدرَ العرب، ويرد إليهم ما وُجّه إليهم مِن إهانة كسرى، فكان أن تجهزوا، ولبسوا أفضل الثياب، وتزَوَّدُوا بما يمكنهم من الرحلة وأداء المهمة.

وهذا ما نجده فى النص التالى:

٢-وفادة رُسلِ النعمان على كسرى ([١]):

لما قَدِم النعمان الحِيرة، وفى نفْسِه ما فيها مما سمع من كسرى مِن تنقّص العرب، وتهجين أمرهم. بعث إلى أكثم بن صيفى. وحاجب بن زرارة التميميين، وإلى الحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين. وإلى خالد بن جعفر، وعلقمة بن معد يكرب الزبيدى، والحرث بن ظالم المرى. فلما قدموا عليه فى الخورنق([٢]) قال لهم: قد عرفتم هذه الأعاجم وقُربَ جوار العرب منها، وقد سمعتُ من كسرى مقالات تخوفتُ أن يكون لها غور، أو يكون إنما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولا([٣]) كبعض طماطمته([٤]) فى تأديتهم الخراج إليه، كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله.

فاقتص عليهم مقالات كسرى، وما رَدّ عليه؛ فقالوا: أيها الملك وفقك الله. ما أحسن ما رددتَ، وأبلغ ما حَجَجْتَه به، فمُرْنا بأمرِك، وادعُنا إلى ما شئت.

([١]) العقد الفريد م٢ ع١٠ ص١٠ وما بعدها. ت/احمد يسرى.
جـ١ ص١٣١ وما بعدها. ت/محمد سعيد العريان.

([٢]) الخورنق: قصر كان للنعمان بالحيرة.

([٣]) الخول: العبيد.

([٤]) الطماطمة: الذين فى لسانهم عجمة يريد رعيته من العجم.

قال: إنما أنا رجل منكم، وإنما ملكتُ وعززتُ بمكانكم، وما يتخوف من ناحيتكم، وليس شئ أحبَّ إلىّ مما تسدد الله به أمركم، وأصلح شأنكم، وأدام عزكم، والرأىُ أن تسيروا بجماعتِكم أيها الرهط، وتنطلقوا إلى كسرى، فإذا دخلتم نَطق كلٌّ رجل منكم ما حضره، ليَعلمَ أنّ العربَ على غير ما ظن أو حدثته نفسه، ولا ينطقْ رجلٌ منكم بما يُغضِبه، فإنه مَلِك عظيم السلطان، كثير الأعوان، مترف، معجَب بنفسه، ولا تتخزلوا(١) له انخزال الخاضع الذليل، وليكن أمرٌ بينَ ذلك، تَظهرُ به وثاقةُ حلومِكم، وفضلُ منزلتِكم، وعظمةُ أخطارِكم، وليكن أولَّ من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفى لسَنىِّ محلِه، ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التى وضعتكُم بها، وإنما دعانى إلى التقدمة بينكم علمى بميل كل رجل منكم على التقدّم قبل صاحبه، فلا يكونَن ذلك مِنكم، فيجد فى أدابكم مطعنا، فإنه ملك مترف، وقادر مسلط.

ثم دعا لهم بما فى خزائنه من طرائف حُلل الملوك، كل رجل منهم حُلة، وعمَّمَه عِمامة، وختّمه(٢) بياقوتة، وأمَرَ لكل رجل منهم بنجيبة مهرية(٣) وفرس نجيبة، وكتب معهم كتابا:

"أما بعد، فإن الملك ألقى إلىّ من أمر العرب ما قد علم، وأجبته بما قد فهم بما أحببت أن يكون منه على عِلم. ولا يتلجلج فى نفسه(٤) أن أُمّة من الأمم، التى احتجزت دونه بحكمتها، وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها فى شئ من الأمور التى يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة، وقد أوفدت أيها المَلك رَهطاً مِن العَرب، لهم فضل فى أحسابهم

---

(١) لا تتخزلوا: لا تتذللوا وتستضيعفوا أنفسكم.
(٢) ختمه: ألبسه الخاتم.
(٣) النجيبة: مؤنث النجيب: الفاضل. ونجائب الإبل خيارها المهرية: نجائب تسبق الخيل نسبة إلى قبيلة مهرة.
(٤) يتلجلج في نفسه: يتردد فيها.

وأنسابهم وعقولهم وآدابهم. فليسمع الملك، وليغمض عن جفاء إن ظهر من منطقهم، وليكرمني بإكرامهم، وتعجيل سراحهم. وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرهم".

فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن، فدفعوا إليه كتاب النعمان فقرأه، وأمرَ بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم. فلما أن كان بعد ذلك بأيام، أمر مرازبته([1]) ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله، ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وضعهم النعمان بها في كتابه، وأقام الترجمان ليؤدي إليه كلامهم، ثم أذن لهم في الكلام.

١-فقام أكثم بن صيفي، فقال:

إن أفضلَ الأشياءِ أعاليها، وأعلى الرجال ملوكُها، وأفضلَ الملوك أعمُّها نفعا، وخير الأزمنه أخصبها، وأفضلَ الخطباء أصدقُها. الصدق منجاة، والكذب مهواة، والشر لجاجة([2])، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطئ([3]) آفة الرأى الهوى، والعجز مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر، حسن الظن وَرطة([4])، وسوء الظن عِصمة. إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى، من فَسدت بطانتُه كان كالغاصّ بالماء. شر البلاد بلادٌ لا أميرَ بها، شر الملوك من خافه البرئ. المرء يعجز لا المحالة([5]). أفضل الأولاد البرَرَة([6]). خير الأعوان مَن لم

([1]) المرازبة: الرؤساء من الفرس.
([2]) لجاجة: تمادى الخصمين فى النزاع والخصومة.
([3]) وطيئ: لين سهل.
([4]) الورطة: كل أمر تعسر النجاة منه.
([5]) المحالة: الحيلة.
([6]) البررة: جمع بار. من بر والديه. توسع فى الإحسان اليهما ووصلهما.

يراء(١) بالنصيحة. أحق الجنود بالنصر مَن حَسُنَت سريرتُه(٢). يكفيك من الزاد ما بلّغك المحل. حسبُك من شر سماعُه. الصمت حكم(٣) وقليل فاعله. البلاغة الإيجاز. من شدّد نفر. ومن تراخى تألف.

فتعجب كسرى من أكثم، ثم قال: ويحك يا أكثم! ما أحكَمك وأوثقَ كلامك،لولا وضعك كلامك فى غير موضعه.

قال أكثم: الصدق ينبئ عنك لا الوعيد.

قال كسرى: لو لم يكن للعرب غيرك لكفى.

قال أكثم: رب قول أنفذ من صول(٤).

٢-ثم قام حاجب بن زرارة التميمى. فقال:

وَرَى زندُك(٥)، وعَلت يدُك، وهِيبَ سلطانُك.

إن العربَ أمةٌ قد غلظت أكبادُها، واستحصدت مِرّتها(٦)، ومنعت درّتها(٧)، وهى لك وامِقَة(٨) ما تألّفتها، مسترسلة ما لاَيَنْتَهَا، سامقة ما سامحتها، وهى العلقمُ مرارة، والصابُ(٩) غضاضة، والعسل حلاوة والماء الزلال(١٠) سَلاسَة.

---

(١) المراءاة: إظهار عكس الحقيقة.
(٢) السريرة: مائكتم ويسر.
(٣) الحكم: الحكمة.
(٤) القتول: محاولة القهر.
(٥) ورى الزند: خرجت ناره. والزند العود الذى تقدح به النار. تقال لمن أعان وأنجد.
(٦) المرة: اشتدت قوتها.
(٧) الدرة: اللبن أو كثرته.
(٨) وامقة: محبة.
(٩) الصاب: شجر مر له عصارة شديدة المرارة ضارة.
(١٠) الزلال: العذب الصافى البارد.

نحن وُفودُها إليك، وألسِنَتُها لديك، ذِمتنا(١) محفوظة، وأحسابُنا(٢) ممنوعة،وعشائرنا فينا سامعة مطيعة، إن نَؤُبْ (٣) لك حامدين خيرا، فلك بذلك عموم محمدتنا، وإن نذم لم تختص بالذم دونها.

قال كسرى: يا حاجب. ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها.

قال حاجب: بل زَئير الأسد بصَوْلتها.

قال كسرى: وذلك.

٣-ثم قام الحارث بن عباد البكري، فقال: دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها، وعلو سنائها، من طال رشاؤه كثُر مَتْحه(٤) ومن ذهب ماَ لُه قلّ مَنْحُه. تناقل الأقاويل يُعرَف به اللُّب، وهذا مقام سيوجف(٥) بما يَنطق فيه الركب، وتُعرف به كنهَ حالنا العجمُ والعرب نحن جيرانك الأدنَون، وأعوانُك المُعِينون، خيولنا جَمّة، وجيوشُنا فَخمَة إن استنجَدتَنا فغيرُ رُبُض(٦) . وإن استطرَقْتَنا فغير جُهُض(٧) وإن طلبتنا فغير غُمُض(٨)، لا ننثني لذُعْر، ولا نتنكر لدَهْر، رماحُنا طِوال وأعمارُنا قِصَار.

قال كسرى: أنَفْسٌ عزيزة، وأُمّة والله ضعيفة.

قال الحارث: أيها الملك، وأنَّى يكون لضعيف عِزة، أو لصغير مِرّة؟

---

(١) الذمة: العهد والأمان.
(٢) الحسب: الشرف والمآثر .
(٣) نؤب: نرجع.
(٤) الرشاد: الحبل والمتح: إخراج الماء من البئر.
(٥) الإيجاف: سرعة السير.
(٦) ربض: جمع ربوض ـــ من ربضت الغنم وغيرها: أقامت مكانها ولزمته: أى غير كسالى ولا متخاذلين.
(٧) غير جهض: إذا استعنت بنا لم نجب رجاءك ساقطين.
(٨) غير غمض: غير نيام عن نصرتك.

قال كسري: لو قصر عمرك، لم تستول على لسانك نفسُك٠

قال الحارث: أيها الملك، إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتيبة مغررا([١]) بنفسه على الموت فهى منية استقبلها، وحياة استدبرها والعرب تعلم أنى أبعثُ الحربَ قدما، وأحبسها وهى تصرف بهم([٢]) حتى إذا جاشت نارُها([٣]) وسعرت لظاها، وكشفت عن ساقها، جعلتُ مقادَها رمحى، وبرقها سيفى، ورعدها زئيرى، ولم أقصّر عن خوض خضاخضها([٤])، حتى أنغمسَ فى غَمَرات لججها([٥]) وأكون فلكا بفرسانى إلى بحبوحة كبشها([٦]) فأستمطرها دما، وأترك حماتها جزر السباع([٧]) وكل نسر قشعم([٨])٠

ثم قال كسرى لمن حضره من العرب: أكذلك هو؟

قالوا: فعالُه أنطقُ من لسانه٠

قال كسرى: ما رأيت كاليوم وَفْدًا احتشد، ولا شهودًا أوفد٠

٤-ثم قام عمرو بن شديد السلمي، فقال: أيها الملك، نَعِمَ بالُك ودام فى السرور حالُك، إن عاقبةَ الكلام تدبرة، وأشكال الأمور معتبرة وفى كثير ثقلة([٩])، وفى قليل بلغة([١٠]) وفى الملوك سورة العز٠ وهذا موطن له ما بعده، شرُف فيه مَن شرُف، وخمُل فيه مَن خمُل، لم نأت

([١]) مغررا بنفسه: معرضا لها٠
([٢]) تصرف بهم: تقلبت٠
([٣]) جاشت نارها: اشتدت وامتد لهيبها٠
([٤]) خضاخضها: المكان الكثير الماء والشجر٠
([٥]) اللجج: جمع لجة: معظر الحرب٠
([٦]) البحبوحة: الوسط والخيار والكبس: سيد القوم٠
([٧]) جزر السباع: اللحم الذى تأكله٠
([٨]) القشم: الضخم المسن٠
([٩]) الثقلة: الفتور فى الجسم من كثرة الأكل٠ شبه به رذيل الكلام وما لا خير فيه٠
([١٠]) البلغة: ما يكفى لسد الحاجة٠

لضيمك، ولم نَفِد لسخطك، ولم نتعرّض لرِفدك(١) ان فى أموالنا مرتفَدا وعلى عزنا معتمَدا، إن أورينا نارًا أثقبنا(٢) وان أود(٣) دهر بناء اعتدلنا إلا أنّا مع هذا لجوارك حافظون، ولمَن رامك مكافحون، حتى يحمد الصدر(٤) ويستطاب الخبر.

قال كسرى: ما يقوم قصد منطقك بإفراطك، ولا مدحك بذمك.

قال عمرو: كفى بقليل قصدى هاديا، وبأيسر إفراطى مخبرا، ولم يلم من عزفت نفسه(٥) عما يعلم، ورضى من القصد بما بلغ.

قال كسرى: ما كل ما يعرف المرء ينطق به. اجلس.

٥-ثم قام خالد بن جعفر الكلابى، فقال: أحضَرَ الله المَلِكَ إسعَادا وأرشده إرشادا، إن لكل منطق فرصة، ولكل جابة(٦) غصة، وعىّ المنطق(٧) أشد من عىّ السكوت، وعثار القول أنكى من عثار الوعث(٨) وما فرصة المنطق عندنا إلا بما نهوى، وغصة المنطق بما لا نهوى غير مستساغة، وتركى ما أعلم من نفسى، ويعلم مَن سمعنى أننى له مطيق أحبّ إلَىّ من تكلفى ما أتخوف ويُتخوف منى.

---

(١) الرفد: العطاء.
(٢) أورى: أوقد، أثقب: أشعل.
(٣) أود: اعوج.
(٤) الصدر: الرجوع.
(٥) عزفت: مالت. امتنعت.
(٦) جابة: اجابة.
(٧) عى المنطق: العجز فيه.
(٨) أنكى: أشد نكاية وأقهر . الوعث: المكان السهل تغيب فيه الأقدام وهو أيضا: الطريق الخشن العسير. رجل دعث اللسان. عاجز عن الكلام.

وقد أوفدنا إليك مَلكُنا النعمان، وهو لك من خير الأعوان، ونِعْـــمَ حامل المعروف والإحسان. انفسُنا بالطاعة لـــك باخِعـــة(١)، ورقابُنـــا بالنصيحة خاضعة، وأيدينا لك بالوفاء رهينة.

قال له كسرى: نطقتَ بعقل، وسمَوْتَ بفضل، وعَلَوت بنُبل.

٦-ثم قام علقمة بن علاثة العامري. فقال:

أنهجتْ(٢)لك سبلُ الرشاد، وخضعتْ لك رقابُ العباد. إن للأقاويل مناهج، وللأراء موالج(٣) وللعويص مخارج. وخـــيرُ القـــول أصدقُـــه وأفضل الطلب أنجحه، إنا وإن كانت المحبة أحضرتنا، والوفادة قربتنـــا فليس مَن حضَرك منّا بأفضلَ ممّن عزَب(٤) عنك، بل لو قِستَ كل رجل منهم. وعلمتَ منهم ما علمنا، لوجدتَ له فى آبائه دنيا أندادًا وأكفاء، كلهم إلى الفضل منسوب، وبالشرف والسودد موصوف، وبـــالرأى الفـــاضل والأدب النافذ معروف، يحمى حماه، ويروى ندامام(٥) ويذود أعـــداه، لا تَخمُدُ نارُه، ولا يَحترزُ منه جارُه.

أيها الملك: مَن يبلُ العربَ يعرف فضلهم. فاصطَنِع العربَ؛ فإنــها الجبال الرواسى عزا، والبحور الزواخر طميا، والنجوم الزواهر شـــرفا والحصى عددا، فإن تعرفْ لهم فضلهم يُعِـــزّوك، وإن تسـتصرخهم لا يخذلوك.

قال كسرى: (وخشى أن يأتى منه كلام يحمله على السخط عليه): حسبك أبلغت وأحسنت.

---

(١) باخعة: خاضعة ومقرة.
(٢) أنهجت: وضحت.
(٣) موالج: مداخل.
(٤) عزب: غاب.
(٥) نداماه: ندماؤه.

٧-ثم قام قيس بن مسعود الشيباني، فقال:

أطاب الله بك المراشد، وجنبك المصائب. ووقاك مكروه الشصائب(١) ما أحقّنا إذ أتيناك بإسماعك ما لا يُحنِق صدرَك. ولا يزرع لنا حقدا فى قلبك، لم نقدم أيها الملك لمساماة (٢)، ولم ننتسب لمعاداة ولكن لتعلم — أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الأمم — أنا فى المنطق غير محجمين، وفى البأس غير مقصرين، إن جورينا فغير مسبوقين،وإن سُومِينا فغير مغلوبين.

قال كسرى: غير أنكم إذا عاهدتم غير وافين — وهو يعرّض به فى تركه الوفاء بضمانة السواد(٣).

قال قيس: أيها الملك. ما كنت فى ذلك إلا كوَافٍ غُدِرَ به، أو كخافر أُخْفِر(٤) بذمته.

قال كسرى: ما يكون لضعيف ضمان، ولا لذليل خفارة(٥).

قال قيس: أيها الملك: ما أنا فيما خفر من ذمتى أحق بإلزامى العار فيما قُتِل من رعيتك، وانتُهِك من حرمتك.

قال كسرى: ذلك لأن من ائتمن الخَانَة(٦)، واستنجد الأثَمَة، ناله من الخطأ ما نالنى، وليس كل الناس سواء، كيف رأيت حاجب بن زرارة لم يحكم قواه فيبرم(٧)، ويعد فينجز؟

قال: وما أحقه بذلك وما رأيته إلا لى.

قال كسرى: القوم بزل(٨) فأفضلها أشدها.

---

(١) الشصائب: الشدائد.
(٢) مساماة: من ساماه: إذا عالاه وباراه.
(٣) يريد سواد العراق.
(٤) الخافر: المجير والحامى. أخفر بذمته نقض عهده وغدر به.
(٥) الخفارة: (بفتح الخاء وكسرها) :الذمة والعهد والأمان.
(٦) الخانة: الخونة.
(٧) يبرم/ من برم بالشئ: أحكمه، ويقال: برم الأمر والعقد.
(٨) بزل: جمع بازل. وهو البعير طلع نابه.

٨-ثم قام عامر بن الطفيل العامري، فقال: كثر فنــون المنطــق وليس القول أعمى من حندس(١) الظلماء، وإنما الفخر فى الفعال، والعــز فى النجدة، والسودد مطاوعة القدرة. وما أعلمــك بقدرنـــا، وأبصـــرك بفضلنا، وبالحرى(٢) إن أدالت الأيام(٣) وثابت الأحلام(٤) تحـــدث لنـــا أمورا لها أعلام(٥).

قال كسري: وما تلك الأعلام؟

قال: مجتمع الأحياء من ربيعة ومضر، على أمر يذكر.

قال كسري: وما الأمر الذى يُذكَر؟

قال: مالى علم بأكثر مما خبّرنى به مخبر.

قال كسري: متى تكاهنت يا بن الطفيل؟

قال: لستُ بكاهن، ولكنى بالرمح طاعن.

قال كسري: فإن أتاك آت من جهة عينيك العوراء ما أنت صانع؟

قال: ما هيبتى فى قفاى بدون هيبتى فى وجهى، وما أذهب عينــى عيث(٦) ولكن مطاوعة العيث.

٩-ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي، فقال:

إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فبـــلاغ المنطـــق الصـــواب وملاك النجعة(٧) الارتياد، وغفو الرأى خير من استكراه الفكرة، وتوقف

---

(١) حندس الظلماء: ظلمتها.
(٢) الحري: الخليق الجدير.
(٣) أدالت الأيام: جعلت فضلنا مشهورا متداولا.
(٤) ثابت الأحلام: رجعت العقول.
(٥) أعلام: مشهورة.
(٦) العيث: الفساد.
(٧) النجعة: طلب الكلأ.

الخبرة من اعتساف الحيرة، فاجتبِذ(١) طاعتنا بلفظِك، واكتظِم(٢) بادرتنا بحِلمك، وألِنّ لنا كنَفك(٣)، يسلُسّ لك قيادُنا، فإنا أنــاسٌ لـم يوقـس(٤) صَفاتنا(٥) قراع مناقير من أراد لنا قضما(٦)، ولكن منعنا حمانا(٧) مــن كل من أراد لنا هضما(٨)٠

١٠٠-ثم قام الحارث بن ظالم المرى٠ فقال:

إن من آفة المنطق الكذب، ومن لؤم الأخلاق الملَــق(٩)، ومــن خطل الرأى خفة الملك المسلط، فإن أعلمناك أن مواجــهتنا لــك عــن ائتلاف، وانقيادَنا لك عن تَصاف،فما أنت لقبول ذلك منــا بخليــق، ولا للاعتماد عليه بحقيق، ولكن الوفاءَ بالعهود وإحكامَ وَلــث(١٠) العقــود والأمر بيننا وبينك معتدل، وما لم يأت من قبلك ميل أو ذلل٠

قال كسرى: من أنت؟

قال: الحارث بن ظالم٠

قال: إن فى أسماء آبائك لدليلا على قِلة وفائك، وأن تكون أولــى بالغَدر، وأقرب من الوزر(١١)٠

---

(١) اجتبذ: اجتذب٠
(٢) اكتظم: اصطبر واحتلم٠
(٣) كنفك: جانبك٠
(٤) يوقس: يخدش٠
(٥) الصفاة: الحجر العريض الأملس (لا يناله أحد بسوء)٠
(٦) القضم: كسر الشئ بأطراف الأسنان٠
(٧) الحمي: ما يجب على الألسان حمايته٠
(٨) هضما: ظلما وغضبا٠
(٩) الملق: التودد بكلام لطيف، والتضرع فوق ما ينبغى٠
(١٠) الولث: العهد بين القوم يقع من غير قصد، ويكون غير مؤكد٠
(١١) الوزر: الذنب٠

قال الحارث: إن فى الحق مغضبة، والسرو(١) والتغافل، ولن يستوجب أحد الحلم إلا مع القدرة، فلتشبه أفعالك مجلسك •

قال كسرى: هذا فتى القوم•

ثم قال كسرى: قد فهمتُ ما نطقتْ به خطباؤكم، وتفنَّنَ فيه متكلموكم، ولولا أنى أعلم أنّ الأدبَ لم يثقف أودكم، ولم يُحكِم أمرَكم وأنه ليس لكم ملك — يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة، فنطقتم بما استولى على ألسنتكم، وغلَبَ على طِباعكم لم أُجِزْ لكم كثيرا مما تكلمتم به• وإنى لأكرَه أنْ أجبَه(٢) وفودى، أو أُحنِق صدورَهم والذى أحبّ هو إصلاحُ مدبرِكم، وتألف شواذِكم، والإعذار إلى الله فيما بينى وبينكم، وقد قبلتُ ما كان فى منطقكم من صواب، وصفحت عما كان فيه من خلل، فانصرفوا إلى مَلِكِكم فأحسنوا موازَرَتَه، والتزموا طاعتَه، واردعوا سفهاءَكم، وأقيموا أودَهم، وأحسنوا أدبَهم، فإن فى ذلك صلاحَ العامة•

* * *

هذه الوفادة تمثل الوفادة والسفارة معا، لأن أبطالها كوكبة من فصحاء العرب وعظمائهم، استنفرَهم النعمان بن المنذر، الملك العربى ليذودوا عن أُمةِ العرب، ويرُدّوا عنها ما جرى على لسان كسرى من مثالب واتهامات•

وتتجلى غَيرةُ النعمان على أُمته، أنه لم يَكتفِ بما رَدَّ به على كسرى، وتفنيده لاتهاماتِه، ورَدِّه دعاواه، فأرسلَ إلى هؤلاء العظماء وشرح لهم ما دار، وبين لهم أنه ينتظر منهم أن يكونوا سفراءَه لدى

(١) السرو: المروءة والشرف•
(٢) أجبه: أواجه•

كسرى؛ ليزيدوه إيضاحا بعظمة العرب، ويجلوا ما ران على قلبه من تنقص وتهجين لأمر العرب، وزودهم بنصائحه وتوجيهاته، وألبسهم ما ينبغى أن يكون عليه السفير مِن وجاهة، وحسن سمت، وأركبهم أفضل ما لديه من نجائب، فلما وصلوا إلى المدائن استأذنوا على كسرى، مزوّدِين برسالة من النعمان، يطلب فيها من كسرى أن يسمع لهؤلاء السفراء فأجلسهم كسرى مجلسا يسمع منهم، وأمر بإكرامهم، وأن يحضر عظماءُ دولته، ليستمعوا معه إلى هذا الوفد. وقد بدأ السفراء الحديث حسب ترتيب النعمان لهم، طبقا لشروط خاصة، كالسِّنّ فالفصاحة ثم الشرف فى قومه.

* * * *

فبدأ أكثم بن صيفي، فأوضح أن أفضل الموجودات أعلاها وأسناها، فالملوك هم أعلى الرجال، وأفضلهم، أكثرهم نفعا لشعوبهم، كما أن الأزمنة لها من الأفضلية ما لغيرها من الموجودات، فأفضلها أخصبها، كما أن أفضل الخطباء أصدقهم، ثم دلل على ذلك بأن الصدق سبيل النجاة، كما أن الكذب يردى، وبين أن الشر يفرق بين الناس ويورى نار الكراهية والبغضاء، وقابل بين الحزم والعجز، وأن آفة الرأى اتباع الهوى، وأن العجز يؤدى إلى الفقر، كما أن الصبر أفضل السبل إلى أحسن الأمور وأفضلها.

وبعد أن ساق هذه المجموعة من الحِكَم – مما يدل على اتساع خبرته، وكثرة تجاربه، أظهر لكسرى أن شر الملوك الجبار الباغى الذى يخشاه الأبرياء من أفراد شعبه، وضمن حكمه حسن اختيار البطانة، لأن ذلك ينجى البلاد من كثير شر، وعميق خطر، وكأنه يريد أن يقول لكسرى، إن ما ذهبت إليه من جناية على العرب، إنما جاءك من سوء

استماع إلى جهلاء بطانتك، أو أشرار حاشيتك، ولذلك فيكفيه من الشـــر سماعه.

وقد تعجب كسرى من كلام أكثم، واعترف له بالحكمة والخــبرة والصدق، وأخبره بأنه خير رجال العرب. فكان رد أكثم: رب قول أنفـذ من حرب وصولة.

ثم كان دور حاجب بن زرارة، فبــدأ بالدعــاء لكســرى بــالقوة والسيطرة والهيبة؛ استمالة له، وترغيبا فيما سيقول.

ثم بدأ مؤكدا قوة العرب وشدة غلظتهم. وسيادتهم على أرضـــهم ومنعها من أعدائهم، مع أنها أمة محبة لكسرى. مـــا دام حدبـــا عليـــها حريصا على مؤالفتها، فهى له مطيعة متسامحة. وهى كالعلقم مـــرارة على من عاداها، وكالعسل حلاوة. والماء سلاسة لمن سالمها. ثم بين لــه أنهم وفد العرب إليه، وسفراؤهم بين يديه، وهم مـــن أشــراف قومـــهم وكرام أحسابهم، وفصحاء ألسنتهم. ليكونوا بين يديه، معـــبرين، ولـــدى قومهم عند عودتهم حامدين شاكرين.

وقد رد كسرى روعة بيان حاجب إلى ما ورثه عن فصاحة قومه قائلا له عبارته بأن حجر التلال فيه صلابة صخورها، فرد حاجب بقوله: إن كلامه له أثره كدلالة زئير الأسود بشدة هجومها، وقوة صراعها، فقال له كسرى: وكذلك.

* * * *

ثم قام الحارث بن عباد البكري، فبدأ بالدعاء لكسرى بدوام ملكـه وعلو شأنه ــ كما فعل حاجب ــ وهو من أدب السفراء بين يدى الملوك ثم أخذ يرسل حكمه بين يدى كسرى، مبينا أن الكرام دائما عرضة لذوى الحاجات، ولذا فهم كثيرون ببابه، مستمرون فى طلابه، ومن افتقـــر أو بخل انصرفوا عنه.

وذكر أن لقاءهم هذا سيسجله التـــاريخ، وتتناقلـــه الركبـــان، وأن العرب جيرانه وأعوانه الأشد قربا ودنوا منه، وهم ذوو بأس واســـتعداد وشهامة واستجابة، فهم مجيرون أشداء، وأبطال ذو بأس ومنعة.

ولكن كسرى يتعجرف، وتأخذه العزة بالإثم، فيلصق بالعرب مـــا ليس فيهم، ناعتا إياهم بالضعف، ولكن الحارث ينبه كسرى إلى أن عـــزة أنفسهم تتجافى مع الضعف، وأن فروسيتهم دليل شجاعتهم، وأنهم بـــاعوا أرواحهم رخيصة فى سبيل عزتهم. وأنهم مساعر حرب. ثم فخر بنفســه وأبان شجاعته وإقدامه وخوضه الحرب برباطة جأش، وقيادة شـــجعان حتى يحيل دماء أعدائه إلى مطر يغرق الأرض، وقد فرشت بلحم أعدائه طعاما لوحوش الحيوان والطير، فلما راع كسرى ما يقول الحارث، سـأل من حوله عن مدى صدق هذا الرجل فيما وصف به نفسه، فلما أجـــابوه بالإثبات، وأن فعله أبلغ من قوله، أظهر كسرى عجبه من روعـــة هـــذا الوفد، الذى لم يشهد له مثلا.

* * * *

فلما كان دور عمرو بن الشريد، قام فبدأ بالدعاء لكسرى بنعمـــة البال السعيد ودوام السرور. ثم أخذ يسوق إليه حكمه البالغة، وعظاتـــه الرائعة، موضحا له أن العقل يقتضى أن يتدبر الإنسان عاقبة ما يســـوقه اللسان، وأن مما يعزبه الملوك قوتهم، وأن موقفهم هذا سيعقب تاريخـــا ومجدا، يرفع قوما، ويخفض آخرين، ثم أظهر له أنهم ما جاءوا إليـــه إلا لعزه ومجده، ولم يأتوا طالبين عطاء، أو منتظرين رفدا، وأنهم فى عـــزة ومنعة وغناء، وأنهم شجعان، فيهم الجرأة والإقـــدام، حـــافظون لجـــوار كسرى، مدافعون ضد أعدائه.

فأعجب كسرى بمنطقه، وأظهر له سروره بما قال، وأجلسه.

وأتى دورُ خالد بن جعفر الكلابي فقدّم بين يدى كسرى الكثير من الدعوات الصالحات،ثم ساق – كسابقيه – بعض الحكم المتمثلة فى خطورة المنطق، وأهمية الكلمة، وأن الفصاحة تنجى صاحبها عند الشدائد. بينما يضيعه العىّ.

ثم أخبره أن هذا الوفد من لَدُن النعمان الملك العربى إلى كسرى وأن النعمان خيرُ عون لكسرى. وهو ملك يفيض إخلاصا واعترافا بالمعروف والإحسان، كما أن العربَ مطيعون لكسرى، مقرون بما خصوا به من الوفاء.

رضى كسرى بما نطق به خالد، وأنه صدى لعقل صائب، يرفع من شأن صاحبه، ويعلو به.

وجاء دور علقمة بن علاثة العامرى، فأخذ يزجى دعواته بين يدى كسرى بالتوفيق والسيادة، ثم بين أن للكلام تشققا، وللتعبير سبلا ولكن أفضل القول أصدقه، وأن أفضل الطلب ما صادف قبولا وسدادا، ثم أصاب المحزّ فى قوله حين أخبر أن المحبة هى التى أقدمتهم عليه، وأن الوفادة هذه التى شرفوا بها بين يديه – قد قربت بينه وبينهم، وأن من غاب عن مجلسه نظراؤهم فى الشرف والسؤدد. ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، فهم فيه أصلاء، فضلاء.

ثم يذكر لكسرى أن من يختبر العرب يعرف فضلهم، فليته يتخذ منهم الأعوان والأنصار، فهم كالجبال صلابة،والبحار مياها، والنجوم سموا وارتقاء، والحصى كثرة وعددا.

وهنا – أوشك كسرى أن يستشيط غيظا – من افتخار علقمة بالعرب، واختصاصهم بكل معانى الشرف والعز، فطلب منه أن يكف فقد بلغ مأربه.

ثم قام قيس بن مسعود، وبدأ – كسابقيه – بالدعاء لكسرى، ثم فسر له سبب قدومهم إليه، ووفودهم عليه، وما يتصفون به من بأس وقوة وفصاحة، ولكن كسرى – كعادته – يتهم العرب بالغدر والخيانة معرّضا بما وقع سلفا من قيس فى سواد العراق. فدافع قيس عن نفسه واقنع كسرى، فرضى.

ثم وقف عامر بن الطفيل، فأظهر تعدد فنون القول، ومهما تعددت فنونه فإنه لا يظهر ويوضح الأمر إلا الفعل، فالفخر بالعقل، والعز بالنجدة، والشرف الحقيقى فى مطاوعة القدرة، ووَضعَ بين يدى كسرى أن للأمور أعلاما تتمثل فى مجتمع الأحياء من أشراف القبائل والمواقف المهمة.

ويسأل كسرى ابن الطفيل: متى تكاهنت؟ فيجيبه بأنه ليس بكاهن وإنما هو محارب، بالرمح طاعن. وكان ابن الطفيل ذا عين واحدة سليمة، والأخرى تالفة،فسأله كسرى: وإن أتاك طاعن من جهة عينك العوراء؟ محاولا الإساءة إلى ابن الطفيل بلمسه علّته التى يتوقع منها ضعفه، فيرد عليه ابن الطفيل مظهرًا ارتفاعه فوق آلامِه وضعفِه وانتصارِه على علتِه، وأنه مهاب من خلفه أكثر من أمامه، وأنه إنما فقد عينه فى مجال شرف ومجد، فهى وسام يشهد له بالعظمة والحكمة.

* * * * *

ثم قام عمرو بن معد يكرب، فشرح بين يدى كسرى بم تكون أهمية الإنسان، وأن شجاعة المرء تكمن فى فصاحته، ومقدرته البيانية إلى جانب شجاعته وإقدامه، وأن على المرء أن يتعرف مواطن الخير فيرتادها، وطلب من كسرى – بناء على ذلك – أن يصطنع العرب ويحسن القول لهم، وأن يحلم بهم، ويلين جانبه لهم، يسلس له بذلك قيادهم، لأن فيهم أنفة ومنعة، ولا يقبلون ذلا ولا ضيما.

وأخيرا، ينهض الحارث بن ظالم المرى، فيبين أن الكذب أسوأ ما يُنطَق به، وأن النفاق أَلأَمُ الخُلُق، وأن الملك العظيم المسيطر ينبغى أن يكون على كبير قدر من الحكمة وبعد النظر، وسلامة الرأى والألمعية ويوضح له أن مواجهتهم له لا يمكن أن تكون عن ائتلاف، وانقيادهم له ينبغى أن يكون عن تصاف، فليس جديرا به قبول ذلك، وإنما الشأن كله يقوم على الوفاء بالعهود، والتزام ما يكون بين الناس من عقود،قوامها العرف، فلما سمع منه كسرى ذلك سأله عن كنهه، فعرّفه بنفسه وقال: أنا الحارث بن ظالم، وتأخذ كسرى عنجهيته، فيجبه الحارث بأن فى أسماء آبائه وأجداده ما يومىء بعدم الوفاء، وقربهم من الغدر والوزر.

ولكن الحارث يردّ عليه بقوة، معلنا أن بعض النفوس يغضبها التزام الحق والوفاء، وينبغى أن يكون الإنسان قويا ملتزما بمبادئه لا يهمه فى الحق لومة لائم.

وقد أعجب كسرى بالحارث ووصفه بأنه فتى القوم لما فيه من الحيوية والشدة.

* * * * *

وبعد أن انتهى هؤلاء العظماء العشرة، أعلن كسرى أنه فهم مضمونَ الهدف الذى رمى إليه النعمان، وأن ما جاء به هؤلاء الفصحاء العشرة قد أوصل إليه المعنى الذى أرادوا إعلام كسرى به، وأنه قد نزل على رأيهم ـــ على الرغم من عدم التفافهم حول ملك منهم يتقولون أمامه بما تقولوه أمام كسرى ـــ معلنا أنه لا يجِبّ أن يواجه وفوده بما يملأ صدورهم عليه غيظا وحنقا، وأنه قَبِل ما جاء من قولهم صوابا، وعفا عما كان فيه من خلل، ثم ردهم إلى النعمان معززين، وأوصاهم

بالالتفاف حوله، وتقوية أمرهم، ورعاية ما من شأنه أن يرفع شأن شعوبهم.

٣-وفادة قريش على سيف بن ذى يزن :(بعد قتله الحبشة):(١)

عن نعيم بن حماد قال: أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان الثورى، قال: قال ابن عباس: لما ظفر سيف بن ذى يزن بالحبشة، وذلك بعد مولد النبى — صلى الله عليه وسلم — أتته وفودُ العرب وأشرافها وشعراؤها، تهنّئه وتمدحُه، وتذكرُ ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه. فأتاه وفد قريش، فيهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمية بن عبد شمس، وأسد ابن عبد العزى، وعبد الله بن جدعان، فقَدِمُوا عليه، وهو فى قصر له يقال له غُمدان، وله يقول أبو الصلت، والد أمية بن أبى الصلت:

لِيَطْلُبِ الثَّأْرَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِى يَزَن ... لجَجَّ فِى البَحْرِ لِلأَعْدَاءِ أَحْوَالاَ(٢)

أَتَى هِرَقْلَ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ... فَلَمْ يُجِدِ عِندَهُ القَوْلُ الَّذِى قَالاَ(٣)

ثُمّ انْثَنَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ تَاسِعَةٍ ... مِنَ السِّنِينَ لَقَدْ أَبْعَدْتَ إِيغَالاَ

حَتَّى أَتَى بِبَنِى الأَحْرَارِ يَقْدُمُهُمْ ... إِنَّكَ عَمْرِى لَقَدْ أَسْرَعْتَ إِرْقَالاَ(٤)

---

(١) العقد الفريد / ابن عبد ربه . تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢٤١/١ وما بعدها.
العقد الفريد / ابن عبد ربه . تحقيق/ أحمد بسرى م٢ ع١٠ ص٢٣ وما بعدها.
والأغانى جـ١٧ ص٣١١ وما بعدها. الأصفهانى ط. الهيئة العامة.

(٢) لجج: خاض اللجة.

(٣) شالت نعامته: تفرقت كلمتهم وذهب عزمهم ودرست طريقتهم.

(٤) بنو الأحرار: الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذى يزن. الإرقال: الإسراع.

مَنْ مِثْلُ كِسْرَى وَبهْرَامَ الجُنُودُ لَهُ ... وَمِثْـلُ وَهْرَزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ جَالاَ
لِلَّهِ دَرُّهُمْ مِـنْ عُصْبَـةٍ خَرَجُـوا ... مَـا إِنْ رَأَيْنَا لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالاَ
صِيدًا جَحَاجِحَة، بِيضًا خَضَارِمَـة ... أُسْـدًا تُرَبِّبُ فِي الغَابَاتِ أَشْبَالاَ(١)
أَرْسَلْتَ أُسْدًاعلَى سُودِ الكِلاَبِ فَقَدْ ... غَادَرْتَ أَوْجُهَهُمْ فِيالأَرْضِ أَفْلاَلاَ(٢)
اِشْرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًـا ... فِيرَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلاَلاَ(٣)
ثُمَّ اطَّل بالمِسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ... وَأَسْبِـلِ اليَومَ فِي بُرْدَيْكَ إِسْبَالاَ(٤)
تِلكَ المَكَارِمُ لا قُعْبَـانَ مِن لَبَـنٍ ... شِيبَـا بِمَـاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالاَ(٥)

فطلبوا الإذن عليه، فأذن لهم، فدخلوا، فوجدوه متضمخا بالعنبر يلمع وبيض المسك مفرق رأسه، وعليه بردان أخضران، قد ائتزرَ بأحدهما وارتدى بالآخر، وسيفه بين يديه، والملوك عن يمينه وشماله وأبناء الملوك والمقاول(٦).

فدنا عبد المطلب، فاستأذنه في الكلام، فقال له: قل.

فقال: إن الله تعالى — أيها الملك — أَحَلَّك محلا رفيعا، صعبا منيعا، باذخا(٧) شامخا، وأنبتك منبتا طابت أرومته(٨) وعَـزَّت جرثومته(٩)، ونبل أصله، وبسق فرعه، فى أكرم معدن، وأطيب موطن

---

(١) صيدا: ملوكا شجعانا. حجاجحة وخضارمة: سادة. تربب: من التربيب وهو التربية.
(٢) أفلال: منهزمون.
(٣) مرتفق: ثابت دائم. غمدان: قصر فى صنعاء باليمن.
(٤) النعامة: باطن القدم. الإسبال: إرسال الثوب.
(٥) قعبان: مثنى قعب. إناء يحلب فيه. شيبا: مزجا.
(٦) المقاول: جمع مقول. وهو دون الملك الأعلى.
(٧) باذخا: رفعيا.
(٨) الأرومة: أصل الشجرة. والمراد: كريم الأصل.
(٩) الجرثومة: الأصل.

فأنت — أبيت اللعن — رأسُ العرَب، وربيعها الذى به تخصب، وملكها الذى له تنقاد،وعمودها[١] الذى عليه العماد، ومعقلها[٢] الذى إليه يلجأ العباد. سَلَفك خير سَلف، وأنت لنا بعدهم خيرُ خَلَف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه.

نحن — أيها الملك — أهلُ حَرَم الله وذمته، وسَدَنة[٣] بيته أشخَصَنَا[٤] إليك الذى أنهجك[٥] لكشف الكرب الذى فدحنا[٦]، فنحن وَفْد التهنئة،لا وفود المرزئة[٧].

قال: من أنت؟

قال: أنا عبد المطلب بن هاشم.

قال: ابن أختنا؟

قال: نعم.

فأدناه وقَرّبَه، ثم أقبل عليه وعلى القوم، وقال: مرحبا وأهلا وناقة ورحلا،ومستناخا سهلا، ومَلِكاً رِبَحْلا[٨]، يعطى عطاء جزلا (فذهبت مثلا).

وكان أول ما تكلم به: قد سمع الملك مقالتكم، وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم، فأهل الشرف والنباهة أنتم، ولكم القربى ما أقمتم والحِبَاءَ[٩] إذا ظعنتم[١٠].

---

(١) العمود: السيد الذى تعتمد عليه فى الأمور.
(٢) المعقل: الملجأ والحصن.
(٣) السدنة: جمع سادن: خادم الكعبة.
(٤) أشخصنا: بعث بنا.
(٥) أنهجك: من أنهج الطريق. وضح واستبان.
(٦) فدحنا: أثقلنا.
(٧) المرزئة: المصيبة.
(٨) الربحل: العظيم.
(٩) الحباء: ما يحبو به الرجل صاحبه، ويكرمه به، ويعطيه اياه.
(١٠) ظعنتم: سرتم وارتحلتم.

قال: ثم استُنْهِضُوا إلى دار الضيافة والوفود، وأُجرِيَت عليهم الأنزال(1) فأقاموا ببَابِه شهرا، لا يصلون إليه، ولا يأذن لهم في الانصراف، ثم انتبه إليهم انتباهة، فدعا بعبد المطلب من بينهم، فخلا به وأدنى مجلسه.

وقال: يا عبد المطلب، إني مفوّض إليك من سر عِلمي أمرًا لو غيرك كان لم أَبُحْ له به، ولكني رأيتك موضعه، فأطلعتك عليه، فليكن مصونا حتى يأذن الله فيه، فإن الله بالغ أمره: إني أَجِدُ في العِلْم المخزون، والكتاب المكنون، الذي ادّخرنَاه لأنفسنا، واحتجَبْناه دون غيرنا، خَبَرًا عظيما، وخطرا جسيما، فيه شرف الحياة، وفضيلة الوفاة(2) للناس كافة، ولرهطك عامة، ولنفسك خاصة.

قال عبد المطلب: مثلك أيها الملك من بَرّ وسَرّ وبَشّر، ما هو؟ فِدَاكَ أهل الوبر(3)، زُمَرًا بَعدَ زُمَر(4).

قال ابن ذي يزن: إذا ولد مولود بتهامة، بين كتفيه شامة(5)، كانت له الإمامة، إلى يوم القيامة.

قال عبد المطلب: أبيت اللعن، لقد أبت بخير ما آب به أحد، فلولا إجلال الملك، لسألته أن يزيدَني في البشارة ما أزدادُ به سرورا.

قال ابن ذي يزن: هذا حينه الذي يُولَد فيه أَوْقد ولد، يَمُوتُ أبوه وأمه، ويكفُلُه جدُّه وعَمُّه، قد ولدناه(6) مرارا، والله باعثه جهارا، وجاعلٌ له منا أنصارا، يُعَزُّ بهم أولياءه، ويذل بهم أعداءه ويفتح كرائم الأرض

---

(1) الأنزال: جمع نزل: وهو ما يهيأ للضيف للأكل والنوم.
(2) الوفاة: الموت.
(3) أهل الوبر: أهل البادية.
(4) زمر: جمع الزمرة: الفوج والجماعة.
(5) الشامة: علامة في البدن يخالف لونها لون سائره.
(6) ولدناه: يريد أنه انتقل بين ظهور الآباء من ظهر الى ظهر.

ويضرب بهم الناس عن عرض([1]) يخمد الأديان ويدحر الشيطان، ويكسر الأوثان، ويعبد الرحمن، قوله حكم وفصل، وأمره حزم وعدل، يأمر بالمعروف ويفعله، وينهى عن المنكر ويبطله.

فقال عبد المطلب: طال عمرك، ودام ملكك، وعلا جدك، وعز فخرك، فهل الملك يسرنى بأن يوضح فيه بعض الإيضاح؟

فقال ابن ذى يزن: والبيت ذى الطنب([2]) والعلامات والنصب إنك يا عبد المطلب،لجَدُّه مِن غيرِ كَذِب.

فخَرَّ عبدُ المطلب ساجدا.

قال ابن ذى يزن: ارفع رأسك، ثلج صدرك، وعلا أمرك، فهل أحسستَ شيئا مما ذكرت لك؟

قال عبد المطلب: أيها الملك، كان لى ابن كنت له محبا، وعليه حدبا مشفقا، فزوجتُه كريمةً من كرائم قومه، يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف، فجاءت بغلام. بين كتفيه شامة، فيه كل ما ذكرت من علامة مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه.

قال ابن ذى يزن: إن الذى قلتُ لك كما قلت، فاحفظ ابنك. واحذر عليه اليهود، فإنهم له أعداء، ولن يجعل الله لهم سبيلا، اطْوِ ما ذكرتُ لك دون هؤلاء الرهط الذين معك، فإنى لستُ آمَنُ أن تدخلهم النفاسة، من أن تكون لكم الرياسة، فيبغون لكم الغوائل([3]) وينصبون لكم الحبائل([4]) وهم فاعلون وأبناؤهم. ولولا أنى أعلَمُ أنّ الموت مجتاحِى قبل مبعثه، لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار مهاجره، فإنى أجد فى الكتاب الناطق، والعلم السابق، أن يثربَ دارُ هجرته، وبيت نصرته، ولولا أنى

([1]) عرض: قوة.
([2]) الطنب: حبل يشد به الخباء والسرادق ونحوهما.
([3]) الغوائل: جمع الغائلة: الفساد والشر.
([4]) الحبائل: المصائد، وحبائل الموت: أسبابه.

أتوقى عليه الآفات، وأَحذرُ عليه العاهات، لأعلنتُ على حَدَاثَةِ سِنّه أمـرَه وأوطأت أقدام العرب عقبَه، ولكنى صارف ذلك إليه عن غير تقصير منى بمن معك.

ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد، وعشر إماء سود، وخمسة أرطال فضة، وحلتين من حلل اليمن، وكرش(١) مملوءة عنبرا، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك.

وقال: إذا حالَ الحولُ،فأَنبِئْنى بما يكونُ مِن أمرِه.

فما حال الحول حتى مات ابنُ ذى يزن. فكان عبد المطلب بن هاشم يقول:

يا معشر قريش:لا يغبطنى رجلٌ منكم بجزيل عَطَاء المَلِك، فإنه إلى نفاد، ولكن يغبطنى بما يبقى لى ذكره وفخره لعقبى — فإذا قالوا له: وما ذاك؟

قال: سيظهر بعد حين.

* * * * *

هذا وفد من رجالات قريش، وَفَدَ على ملك عربى هو سيف بن ذى يزن، بعد انتصارِه وظَفَرِه على الحبشة، يضم عبد المطلب بن هاشم جدَّ النبى محمد — صلى الله عليه وسلم — الذى كانت الدنيا قد استضاءت بمولده الشريف. كما كان فى الوفد أمية بن عبد شمس وأسد بن عبد العزى، وعبد الله بن جدعان، وهم من عظماء قريش وأشرافها.

أَتَوْا هذا الملك العربى المنتصر، لهدف عظيم، هو تهنئة الملك المنتصر ومدحه، فقد أزال عن العرب ما حاول الأحباشُ به أن يذلوهم وينزلوا بهم العار.

---

(١) الكرش: وعاء الطيب.

وقد بدأ أبو الصلت، فألقى بين يديه شعرا، أشاد فيه بالمَلِكِ المنتصر، وأنه الجدير بهذا العمل العظيم فقد خاض معمعة الحرب بجيش عظيم، وتصدى لقيصر وكسرى، وحقق للعرب نصرا، ولنفسه مجدا، هاجم هؤلاء الأبطال الصناديد المدججين بالسلاح، وهم كالأسد شجاعة وإقداما، ولكنه جبههم بأُسْدٍ من العرب، هزمتهم، وطردتهم.

ولذا فحق للملك المنتصر أن يهنأ بنصره، ويسعد بأمته، ويقضي أوقاته سعيدا مرحا.

وبين يدى الملك الذى أذن للوفد بالتشرف بلقائه. وهو في أروع صورة، وأبهى هيئة عليه التاج يزين مفرقه، والبرد الخضر، والعنبر العطر، والسيوف البتر، والملوك والأمراء حوله، دنا منه عبد المطلب واستأذن فأذن له. فبدأ بتعظيم الملك وتوقيره، وأن الله قد كرمه، ورفع مكانته، وطيّب منبته، ولذا استحق أن يكون رأس العرب وملكهم، الذى به يفخرون، وبقيادته يعتزون، ولآرائه يسمعون ويخضعون، ثم بيّن له أنهم أتوه من لدن حرم الله، مدفوعين بما أثلج صدورهم، وأسعد قلوبهم بجليل فعله، وروائع عمله، أتوه مهنئين بما تحقق على يديه من نصر ،أعزّ الله به العرب، وحرر بلادهم، وكشف عنهم الغمة، وأزال الكربة.

وسأل الملك عبد المطلب، الذى له انتسب، فأدناه وقربه.

ثم التفت الملك إلى القوم، وتحدث معهم بأنه قد سمع مقالتهم وعرف قرابتهم،ورفع مقدهم،وعظّمهم وشكرّهم، ثم أضافهم وأكرمهم.

ثم التفت مخاطبا عبد المطلب، مختصا إياه بالحديث، مخبرا إياه بسر توصّل إليه من بطون الكتب، وهو البشارة بمولد سيد الأنام، وبما يحمل من علامة جسمية،وما سيكون عليه من إمامة، تكون له إلى يوم القيامة.

وقد زاد سيف بن ذى يزن بيانه، بأن هذا الوليد قد آن أوانه، يولد يتيما، ويكفلهُ جدّهُ وعمّه، ثم ينصره الله فتيا، ويحيط به أنصاره، يعز بهم أولياءه، ويرتفع دينه على كل الأديان، ويحطم ويقضى علـــى الأوثـــان يوحّد الرحمن، ويأمر بالحق ويقضى على الطغيان، ويدحر الشيطان.

ثم يتوسم الملك فى عبد المطلب أنه جَدُّ اليتيـــم الكريـــم، فيجيبـــه عبدالمطلب مصدقا، ويخبره بابنه الذى رحل. وقـــد أودع كريمـــة مـــن كريمات العرب (آمنة بنت وهب) هذا الجنين المشرف، الذى جاء إلـــى الدنيا يتيما، فكفله جده.

ثم يوصى الملكُ ضيفَه، بالحرص على حفيده، وأن يحذر عليـــه اليهود، لأنهم أعداؤه، ولكنهم مخذولون، ولن يكون لـــهم عليـــه ســـبيل. ويطلب منه أن يستر هذا الحديث عن الوفد المرافقين، حذَرًا من تطلعـــهم وحرصهم على الرياسة دونه. ويخبره أنه لولا أن الموت فى طريقه إليه لنصب نفسه ورجاله فى حراسة وحماية حفيد عبد المطلب.

ثم كان إكرام الملك العربى للوفد — كما جرت العادة — فمنحـــهم العبيد والإماء والفضة والكساء، والعنبر — وبالغ فى إكرام عبد المطلـــب فمنحه عشرة أضعاف ما أعطى أفراد الوفد.

وقد مات ابن ذى يزن فى غضون العام، فظل عبد المطلب يشـــيد بذكراه.

٤- وفادة الصّقعَب النّهْدى على النعمان بـــن المنذر: (١)

قال ابن دريد فى أماليه: أخبرنا السكن بن سعيد الجرموزى عـــن محمد بن عباد، عن الكلبى، قال:

وفد الصقعب بن عمرو النهدى فى عشرة من بنـــى نـــهد، علـــى النعمان بن المنذر، وكان الصقعب رجلا قصيرًا دميمًا تقتحمـــه العيـــن شريفاً،بعيدَ الصوت، وكان قد بلغ النعمانَ حديثُه، فلما أخبر النعمان بـــهم قال للآذن: ائذن للصقعب، فنظر الآذن إلى أعظمهم وأجملهم، فقال: أنـــت الصقعب؟ قال: لا

فقال للذى يليه فى العظم والهيئة: أأنت هو؟ فقال :لا. فاســـتحيا فقال: أيكم الصقعب؟ فقال الصقعب: هأنذا ! فأدخله إلى النعمان، فلما رآه قال: تَسمعُ بالمعيدى خيرٌ من أن تَرَاه: فقال له الصقعب: أبيتَ اللعن. إنّ الرجالَ ليسوا بالمُسُوك(٢) يُستقَى فيها. إنما الرجلُ بأصغَرَيـــه بلســـانه وقلبه. إن قاتَلَ قاتَلَ بجَنان — . وإن نطَقَ نطَقَ ببيان.

فقال له النعمان: فلِلّهِ أبوك! فكيفَ بصرُك بالأمور؟

فقال: أنقض منها المَفتُول، وأبرم منها المَسحُول(٣)، وأحيلها حتى تَحوُل، ثم أنظر إلى ما يئول، وليس لها بصاحب مـــن لـــم ينظـــر فـــى العواقب.

قال: قد أَحلتَ وأحسنتَ. فأخبرنى عن العَجْز الظـــاهِر، والفقـــرِ الحاضِر.

---

(١) أمالى ابن دريد ٢٤٤، ٢٥٥ . والمزهر للسيوطى ٤٩٦/١ .
(٢) المسوك: الجلد .
(٣) المسحول: الحبل على قوة واحدة .

قال: أما العَجْزُ الظاهر، فالشابُّ الضعيف الحِيلة، التَّبُوعُ لِلحَلِيلَــة الذى يَحومُ حولَها،ويَسمعُ قولَها، إن غضبــَتْ ترضَّاهــا، وإنْ رَضِيــَتْ تَفدَّاها، فذاك الذى لا كان، ولا ولد النساءُ مثلَه، وأما الفقْرُ الحاضِر،فالذى لا تشبَعُ نفسُه، وإن كان له قنطارٌ مِن ذهب.

قال: فأخبرنى عن السَّـوءَة السَّوءَاء، والدَّاءِ العَيَاء (١).

قال: أما السوءَة السوءَاء،فالمرأةُ السَلِيطَة التى تعجب مـــن غـــير عجب، وتغضَبُ من غير غضَب، فصاحبُها لا يَنعَمُ بالــُـه، ولا يحسـُـنُ حالُه، إن كان ذا مال لم ينفعْه، وإن كان فقيرًا عُيِّرَ به، فأراح الله منـــــها بعلَهَا، ولا مَتَّع بها أهلَها.

وأما الداءُ العيَاء، فالجارُ جار البيت، إن شهِدَك سافهَك، وإن غِبتَ عنه سبَعَك(٢) وإن قاولتَه بهتَك، وإن سكتَّ عنه ظلَمَك.

فقال له النعمان: أنت أنت. فأحسنَ صِلَتَه وصِلَةَ أصْحَابِه.

* * * *

وَفَد الصقعب على الملك العربى. النعمان بن المنذر فى عشـــرة من قومه، وكان النعمان قد سَمِع به، فلما طلبَ إدخالَه، ورآه، اســـتزرى هيئته، ورآه على غير ما كان يظن ـــ قال له: تَسمعُ بالمعيدى خيرٌ مــن أن تراه، أى أن صِيتَك غير هيئتك، وقد فُتِنتُ بما سمعت عنك.

فرد الصقعب، قائلا: ليس الرجال بهيئاتهم. إنمـــا هـــم بأقوالـــهم وشجاعتهم، فعجب منه النعمان، وسأله عن حكمته وحسن تصرفـــه فـــى الأمور.

فرد عليه، مبينا سبيله فى تناول المشاكل وحلها، والإتيـــان فيـــها بالفصل والقطع. وهنا سأله النعمان عن العجز الظاهر، والفقر الحاضر.

---

(١) العياء: الذى لا يبرأ منه.
(٢) سبعك: شتمك ودفع عليك.

فأجابه عن الأول بأنه الشاب الضعيف الحيلة، الخاضع للمـــرأة يسمع قولّها، الخاضع لرغباتها وأهوائها، وهذا لا فائدة منه ترجى، وليتـه ما وُلِدَ ولا تَربّى.

وأما الفقر الحاضر، فهو الإنسان النهوم الذى لا يكتفى، ولو امتلك قنطار ذهب، ثم سأله النعمان عن السوءة السوءاء، والـــداء العيـــاء، أى الذى لا برء منه، فأجابه عن الأولى بأنها المرأة السليطة التى لا تعقـــل أمرًا، فتسبب لصاحبها الخبال، وعدم الاستقرار. غنيا كان أم فقيرا.

وأما الداء العَيّاء، فالجار السوء، الذى لا يحـــترم جـــاره، ودائـــم العدوان عليه باللسان، فى الحضور سفاهة، وفى الغيـــب نميمـــة، وفـــى السكوت ظلما.

فأعجب به النعمان، وأحسن صلته وصلة أصحابه.

* * * *

٥- وفود عامر بن جوين الطائى على المنذر بن النعمان ابن المنذر(١):

أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد. قال: أخبرنى عمى عن أبيه عن ابن الكلبى عن أبيه قال:

وفد عامر بن جوين الطائي على المنذر بن النعمان الأكبر، جـــد النعمان بن المنذر، وذلك بعد انقضاء ملك كندة. ورجوع الملك إلى لخـم وكان عامر قد أجار امرأ القيس بن حجر، أيام كان مقيما بالجبلين، وقـال كلمته التى يقول فيها:

---

(١) نوادر الأمالى ١٩٧، ١٩٨.

هُنَالِكَ لَا أُعْطِي مَلِيكًا ظُلَامَةً وَلَا سُوقَةً حَتَّى يَئُوبَ ابنُ مِنْدَلَة

وكان المنذر ضغنا عليه، فلما دخل عليه قال له: يا عـــام، لســـاء مثوى أثويته ربك، وثويك حين حاولت إصباء طلته ومخالفته إلى عشيره أما والله لو كنت كريما لأثويته مكرما مُوقَّرًا، ولجانبته مُسلَّما.

فقال له: أبيت اللعن. لقد علمت أبناء أدد إنـــى لأعَزُّهَـــا جـــارًا وأكرمها جوارًا، وأمنعها دارًا، ولقد أقام وافرًا، وزال شاكرًا.

فقال له المنذر: يا عام، وإنك لتخال هضيبات أجـــأ ذات الوبـــار وأفنيات سلمى ذات الأغفار. مانعاتك من المجـــر الجـــرار، ذى العـــدد الكثار، والحُصُنِ والمِهار، والرِّمَاح الحرَار، وكل ماضى الغِرَار، بيد كل مِسعر كريم النِّجار.

قال له عامر: أبيت اللعن. إن بين تلـــك الـــهضيبات والرعـــان والشعاب والمصدان، لفتيانا أبطالا، وكهولا أزوالا، يضربون القوانـــس ويستنزلون الفوارس، بالرماح المداعس، لم يتتبعوا الرعاء، ولم ترشـحهم الإماء.

فقال الملك: يا عام. لو قد تجاوَبَت الخيل فى تلك الشعاب صهيلا وكانت الأصوات قعقعة وصَلِيلا، وفغرَ المَوْتُ، وأعجزَ الفَوْت، فتفارشت الرماح، وحمى السلاح، لتساقى قومُك كأساً لا صحوَ بعدها.

فقال: مهلا أبيت اللعن. إن شرابنا وبيل، وحدنا أليل، ومعجمنـــا صليب، ولقاءنا مهيب.

فقال له: يا عام. إنه لقليل بقاء الصخرة الصمـــاء، علـــى وقـــع الملاطيس.

فقال: أبيت اللعن • إن صفاتنا عبر المراديس •

فقال: لأوقظن قومك من سنة الغفلة، ثم لأعقبنهم بعدها رقـــدة لا يَهب راقدها، ولا يستيقظُ هاجدُها •

فقال له عامر: إن البغى أباد عَمرا،وصرع حُجرا، وكان أعز منك سلطانا، وأعظم شأنا، وإن لقيتنا لم تلق أنكاســـا ولا أغساســا، فــهبِّشْ وضائعك وصنائعك، وهلمَّ إذا بدالك، فنحن الألى قَسَطوا على الأمـــلاك قبلك •

ثم أتى راحلته فركبها وأنشأ يقول هذه الأبيات:

تَعَلَّـمْ أبيتَ اللعـْن أنَّ قَـنَاتَنَـــا   تَزِيــدُ عَلَى غَمْزِ الثِّقَافِ تَصَنُّعا
أَتُوعِدُنَا بِالحَرْبِ . أُمُّــكَ هَـــابِلٌ   رُوَيــْـدَكَ بَرْقــا لَا أَبَالَكَ خُلَّبــا
إِذَا خَطَرَتْ دُونِى جَدِيلَــةُ بِالقَنَـــا   وَحَامَتْ رِجَالُ الغَوْثِ دُونِى تَحَدّبَا
أَبَيْتُ الَّتِى تَهْوِى وَأَعْطَيْتُكَ الَّتِـــى   تَسُوقُ إِلَيْكَ الْمَوْتَ أَخْرَجَ أَكْهَبــا
فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَارَنَا فَأْتِ تَعْتَــرِف   رِجَــالاً يُـذِيلُونَ الْحَدِيدَ الْمُعَقْرَبَا
وَإِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَهُمْ فِى مَجَالِهِـــمْ   رَأَيْتَ لَهُــمْ جَمْعاً كَثِيفًا وَكَوْكَبَا
وَذِكْرُكَ الْعَيْشَ الهَنِــىَّ جِلَادُهُــمْ   وَمَلْهًــى بِأَكْنَافِ السَّدِيرِ وَمَشْرَبَا
فَأَغْضِ عَلَى غَيْظٍ وَلَا تَرُمِ الَّتِـــى   تُحَكِّم فِيــكَ الزَّاغِبِــىَّ الْمُخَرَّبَا

ب - عصر النبوة

قدوم وفد بنى تميم إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ

قال ابن إسحاق ([١]):

"قدمت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وفود العــرب فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زراة بن عدس التميمى، فى أشراف بنى تميم، منهم: الأقرع بن حابس التميمى ، والزبرقان بن بدر التميمى، أحد بنى سعد، وعمرو بن الأهتم، والحبحاب بن يزيد (الحتحات) فى البداية والنهاية، وفى وفد بنى تميم نعيم بن يزيد، وقيس بن الحارث، وقيس بن عاصم، أخو بنى سعد، فى وفد عظيم من بنى تميم.

ومعهم: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى، وكان الأقرع ابن حابس، وعيينة بن حصن، شهدا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فتح مكة وحنينا والطائف. فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم، فلما دخل الوفد المسجد، نادوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من وراء حجراته، أن أخرج إلينا يا محمد . فتأذى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، من صياحهم، فخرج إليهم.

فقالوا: يا محمد، جئنا نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا.

قال: قد أذنت لخطيبكم، فليقل، فقام عطارد بن حاجب، فقال:

"الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن، وهو أهله، الــذى جعلنــا ملوكا، ووهب لنا أموالا عظاما، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعز أهــل المشرق، وأكثره عددا، وأيسره عدة، فمن مثلنا فى الناس؟ ألسنا بــرعوس

([١]) السيرة النبوية ٤١٤/٤ وما بعدها ابن هشام، والبداية والنهاية لابــن كثــير ٤١ ونهاية الأرب ٣٢/١٨ والعقد الفريد ٢٤٩/١ .

الناس، وأولى فضلهم؟ فمن فاخَرَنا فليَعْدُدْ مثلَ ما عدَدْنا، وإنا لــو نشــاء لأكثرنا الكلام، ولكنّا نحيا من الإكثار فيما أعطانا، وإنا نعرف بذلك" أقول هذا؛ لأن تأتوا بمثلِ قولِنا، وأمْرٍ أفضلَ مِن أمرِنا. ثم جلس.

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لثابت بن قيــس بــن الشماس أخي بني الحارث بن الخزرج: قم، فأجب الرجل في خطبتــه.

فقام ثابت،فقال:

"الحمد لله الذى السموات والأرض خَلْقُه، قضى فيهن أمرَه، ووسع كرسيُّه علمَه، ولم يك شئ قط إلا مِن فضله، ثُم كان من قدرتِه أن جعلنــا ملوكا، واصطفى مِن خيرِ خلقه رسولا، أكرمه نسبا، وأصدقــه حديثــا وأفضله حسبا، فأنزل عليه كتابه، وأتمنه على خلقه، فكان خِيرة الله مـــن العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون مِن قومه وذوى رَحِمِه، أكرم الناس حسبا، وأحسن الناس وجوهـــا، وخـــير الناس فعالا، ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب لله حين دعاه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — نحن . فنحن أنصـــارُ الله، ووزراءُ رســولِه نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع منّا ما لَه ودمَه ومن كفر جاهدناه في الله أبدا، وكان قتلُه علينا يسيرًا، أقول قولـــى هـــذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم.

فقام الزبرقان بن بدر ، فقال:

نَحْـــنُ الكِــرَامُ فَــلَا حَيٌّ يُعَادِلُنَا مِنَّا المُلُوكُ، وَفِينَا تُنْصَبُ البِيَعُ(١)

وَكَمْ قَسَــــرْنَا مِنَ الأَحْيَاءِ كُلِّهِــمُ عِنْــدَ النِّهَــابِ، وَفَضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ

وَنَحْنُ نُطْعِمُ عِنْدَ القَحْطِ مَطْعَمُنَــا مِنَ الشِّوَاءِ،إِذَا لَمْ يُؤْنِسِ القَزَعُ(٢)

---

(١) البيع: مواضع الصلوات. والبيعة: كلمة قبطية قر: قهر.

(٢) القزع: من معانيه: صغار الإبل أو : قطع من السحاب. والأول المراد.

بِمَا تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَاتُهُم ... مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوِيًّا ثُمَّ نَصْطَنِعُ
فَنَنْحَرُ الكُوَم عَبْطًا فِى أَرُومَتِنَا ... لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنْزِلُوا شَبِعُوا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَىٍّ نُفَاخِرُهُمْ ... إِلاَّ اسْتَفَادُوا وَكَانُوا الرَّأْسَ يُقْتَطَعُ
فَمَنْ يُفَاخِرُنَا فِى ذَاكَ نَعْرِفُهُ ... فَيَرْجِعُ القَوْمُ وَالأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ
إِنَّا أَبَيْنَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ ... إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

وكان (حسان بن ثابت) غائبا، فبعث إليه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم. "قال حسان: جاءنى رسوله، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعرَ بنى تميم، فخرجت إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنا أقول:

مَنَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ بَيْنَنَا ... عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
مَنَعْنَاهُ لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا ... بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
بِبَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ ... بِجَابِيَةِ الْجُولَانِ وَسْطَ الأَعَاجِمِ(١)
هَلِ المَجْدُ إِلاَّ السُّؤْدَدُ العَوْدُ وَالنَّدَى ... وَجَاهُ المُلُوكِ وَاحْتِمَالُ العَظَائِمِ(٢)

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وقام شاعر القوم فقال ما قال، عرضت فى قوله، وقلت على نحو ما قال.
قال: فلما فرغ الزبرقان بن بدر، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لحسان بن ثابت:" قم يا حسان ، فاجب الرجل فيما قال.

---

(١) البيت الحريد: الفريد.
(٢) السؤدد والعود: المجد القديم الذى يتكرر على الزمان.

فقام حسان فقال:

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ ... قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ(١)

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الإِلَهِ وَكُلَّ الخَيْرِ يُصْطَنَعُ(٢)

(تَقْوَى الإِلَهِ وَبِالأَمْرِ الَّذِى شَرَعُوا)

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِى أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

سَجِيَّةٌ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحْدَثَةٍ ... إِنَّ الخَلَائِقَ -فَاعْلَمْ- شَرُّهَا البِدَعُ(٣)

إِنْ كَانَ فِى النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ ... فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ

لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكُفُّهُمُ ... عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا

إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْماً فَازَ سَبْقُهُمُ ... أَوْ وَازَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا

أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ فِى الوَحْىِ عِفَّتُهُمْ ... لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمُ طَمَعُ

لَا يَبْخَلُونَ عَلَى جَارٍ بِفَضْلِهِمُ ... وَلَا يَمَسُّهُمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ

إِذَا نَصَبْنَا لِحَىٍّ لَمْ نَدِبَّ لَهُمْ ... كَمَا يَدِبُّ إِلَى الوَحْشِيَّةِ الذَّرَعُ

نَسْمُو إِذَا الحَرْبُ نَالَتْنَا مَخَالِبُهَا ... إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا(٤)

لَا يَفْخَرُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمُ ... وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا هَلَعُ

كَأَنَّهُمْ فِى الوَغَى وَالمَوْتُ مُكْتَنِعٌ ... أُسْدٌ بِحَلْيَةَ فِى أَرْسَاغِهَا فَدَعُ(٥)

خُذْ مِنْهُمُ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا ... وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الأَمْرَ الَّذِى مَنَعُوا

فَإِنَّ فِى حَرْبِهِمْ -فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ- ... شَرًّا يُخَاضُ عَلَيْهِ السُّمُّ وَالسَّلَعُ

أَكْرِمْ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللهِ شِيعَتُهُمْ ... إِذَا تَفَاوَتَتِ الأَهْوَاءُ والشِّيَعُ

أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِى قَلْبٌ يُوَازِرُهُ ... فِيمَا أُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ

---

(١) الذوائب: جمع ذؤابة. وهى شعر متجمع أعلى الجبهة. والمراد هنا: السادة الأشراف.

(٢) كذا فى الديوان.

(٣) سجية: طبيعة.

(٤) الزعانف: أطراف الناس وأتباعهم.

(٥) مكتنع: مجتمع. أرساغ جمع رسغ، وهو مستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرجل وما أبه ذلك فى الدواب. قدع: اعوجاج.

فَإِنَّهُمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمُ ... إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ سَمِعُوا

******

وقال ابن هشام: حدثنى بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم: أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى وفد بنى تميم، قام فقال:

أَتَيْنَاكَ كَيْمَا يَعْلَمَ النَّاسُ فَضْلَنَا ... إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ
بِأَنَّا نَرُوعُ النَّاسَ فِى كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَأَن لَيْسَ فِى أَرْضِ الْحِجَازِ كَدَارِمِ(١)
وَأَنَّا نَذُودُ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَحَوْا ... وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَصْيَدِ الْمُتَفَاقِمِ
وَأَنَّ لَنَا الْمِرْبَاعَ فِى كُلِّ غَارَةٍ ... نُغِيرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ

فقام حسان بن ثابت فأجابه، فقال:

هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودَدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى ... وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعَظَائِمِ
نَصَرْنَا وَآوَيْنَا النَّبِىَّ مُحَمَّدًا ... عَلَى أَنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
بِحَىٍّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثَرَاؤُهُ ... بِجَابِيَةِ الْجُولَانِ وَسْطَ الْأَعَاجِمِ
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسْطَ دِيَارِنَا ... بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
جَعَلْنَا بَنِينَا دُونَهُ وَبَنَاتِنَا ... وَطِبْنَا لَهُ نَفْسًا بِفَىءِ الْمَغَانِمِ
وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا ... عَلَى دِينِهِ بِالْمُرْهَفَاتِ الصَّوَارِمِ(٢)
وَنَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا ... وَلَدْنَا نَبِىَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمِ
بَنِى دَارِمٍ لَا تَفْخَرُوا إِنَّ فَخْرَكُمْ ... يَعُودُ وَبَالًا عِنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمُ ... لَنَا خَوَلٌ مَا بَيْنَ ظِئْرٍ وَخَادِمِ
فَإِنْ كُنْتُمْ جِئْتُمْ لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ ... وَأَمْوَالِكُمْ أَنْ تُقْسَمُوا فِى الْمَقَاسِمِ

---

(١) دارم: من بنى تميم .
(٢) المرهفات الصوارم: السيوف القاطعة .

فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ نِـدًّا وَأَسْلِمُـوا وَلا تَلْبَسُـوا زِيًّا كَـزِيِّ الأَعَاجِمِ

فلما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع بن حابس: وأَبِي، إنَّ هـذا الرجل لمُؤتَى له، لَخَطِيبُه أَخْطَبُ مِن خطيبنـا، ولَشَـاعِرُه أَشْـعَرُ مـن شَاعِرِنَا، ولَأَصْوَاتُهُم أَحْلَى مِن أصواتنا ــ فلما فـرغ القـوم أسـلموا. وجوّزهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فأحسنَ جوائزهم .

وفى هذا الوفد نزل قوله تعالى:"إِنَّ الَّذِيـنَ يُنَـادُونَكَ مِـنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ"(١)

• • • • •

هذه وفادة احتشد فيها عظماء تميم وكبراؤها، لكل منـهم مكانتـه ومركزه، وقدرته الخطابية، أتوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسـلم ــ مفاخرين، يدعون لأنفسهم من العظمة والمكانة ما ليـس لغـيرهم مـن العرب، يعلوهم الكبر، وتظلهم الغطرسة ويملؤهم الفخر والتعالى، حتـى نادوا رسول الله (ص) من وراء الحجرات، ونزل القرآن الكريم معاتبـا لهم.

انتدبوا من بينهم أخطبهم: عطارد بن حاجب، ليتكلـم بلسـانهم ويفاخر بما عليه قومه من أسباب السيادة والرياسـة، فأظـهر أن فيـهم الملك، وبين أيديهم الثروة التى بها صاروا أعز أهل المشـرق، وبـاهى بكثرة عددهم، ويسر عدتهم، وأنهم بذلك رءوس القوم، وأصحاب الفضل وليس لغيرهم، وأنهم يَتَحَدَّوْنَ أن يظهر فى العرب من يتفاخر عليهم.

ولم يرد المصطفى ــ صلى الله عليه وسـلم ــ أن يـرد عليـهم بنفسه، وكان يقدر على ذلك فهو أفصح العرب، وأنصعهم بيانا، ولكنـه انتدب لهم رجلا مؤمنا من رجاله، ليتولى الرد عليهم، وإفحامهم؛ ليبيـن

---

(١) الحجرات ٤/٥ .

لهم النبى — صلى الله عليه وسلم — أن المدرسة المحمدية خَرَّجَتْ رجالا قادرين على الذود عن حياض الإسلام، ورد الباغين على أعقابهم.

انتدب لهم ثابت بن قيس بن الشماس — رضى الله عنه — فقام مشمرا مدافعا، فنسب الفضل كله لله تعالى، وأن الأمر بيده، يعز من يشاء ويذل من يشاء .

ثم أخذ فى الرد على ما جاء به خطيبهم (عطارد بن حبيب) من أسباب الفخر . فقد مَنَّ الله على المسلمين فجعلهم ملوكا، فأسقط عن عطارد وجه افتخاره بهذه الصفة . ثم أتى بسبب فخر للمسلمين لا يعادله سبب، ولا يرقى إليه، فمنهم رسول الله ومصطفاه، أكرم الناس نسبا وأصدقهم حديثا، وأفضلهم حسبا، اختصه الله تعالى برسالته، وأنزل عليه قرآنه، وجعله أمينا على خلقه، دعا إلى دينه، فدخل الناس فيه مهاجرين وأنصارا، من أقاربه، وغير أقاربه، على اختلاف منزلتهم ومشاربهم لكنهم جميعا يتميزون على خلقه بحسن الفعل، وعظمة الخلق، وأن الأنصار سارعوا إلى إجابته والإيمان به، فهم أنصار رسول الله ووزاروه، يقاتلون الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن عصم ماله ودمه، ومن كفر قوتل حتى يقتل، وما أيسر ذلك على المؤمنين.

ثم ختم مفاخرته بالاستغفار، وألقى تحية الإسلام.

وهى مفاخرة — لا شك — رائعة، أبطلت ما ذهب إليه وفد تميم حتى قال أحد كبارهم وهو الزبرقان بن بدر: وأبى. إن هذا الرجل لمؤتى له، لخطيبه أخطب من خطيبنا. أى إن خطيب محمد بزّ خطيب بنى تميم، وأبطل ما جاء به .

ثم قام شاعرهم (الزبرقان بن بدر) فأنشد أبياته مفاخرا:

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَيٌّ يُعَادِلُنَا ....

أتى فيها بمثل ما أتى به خطيبهم، فهم الكرام لا مثيل لهم، ومنهم الملوك، وإليهم يأتى الناس مقدسين متشرفين، وأنهم أهل قوة وبطش وأهل كرم وعطاء فى الملمات والشدائد، يفد إليهم الناس فينحرون لهم ويطعمونهم، ويصلونهم وهم بذلك أصحاب اليد العليا، لا يجرؤ أحد أن يفاخرهم، أو يتعالى،عليهم ثم يتحدى أن يظهر فى العرب من يفاخر أو يتعاظم •

ونلاحظ أن مفاخرهم كلها مادية، لا نجد فيها شيئا من دين أو عقيدة •

وهنا — نجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يبعث إلى حسان بن ثابت • رضى الله عنه، الذى يلبى مسرعا نداء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ويأتى مرتجلا أبياته التى يرد بها على الزبرقان بن بدر — فيقول:

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ ... قَدْ بَيَّنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ ... تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِى شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِى أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
.... الخ الأبيات

* * * *

ويتجلى انتصار حزب الله على لسان حسان من أول بيت، إذ جعل النبى — صلى الله عليه وسلم — والمسلمين ذوائب الناس • أى أنهم أعلى ما فى الرأس وأشرفه وأطهره، فأبطل بهذا المطلع كل ما جاء به الزبرقان من أسباب الفخر •

ثم يجعل فخر المسلمين قائما على أساس ثابت متين • فهم أهل عقيدة تبين للناس ما يجب اتباعه من حق يتمثل فى الإيمان بالله تعالى ووحدته، وأنهم يتحلون بقوة عادلة لا تضر إلا أعداءهم، أما أعوانهم

فإنهم يجدون فيها الحماية والنفع، كما أنهم أول الناس سبقا إلى المكــارم لا يسبقهم إليها أحد، وأن فِعلهم نافذ لا ترده قوة، ولا يدفعه دافع. وأمــا أخلاقهم فهى العفة وعدم الطمع،كما أخبر بذلــك الوحــى، والشــجاعة المتمثلة فى السمو والرقى عند الحرب، فهم أسود شجعان، ثم إن رســول الله — صلى الله عليه وسلم — هو قائدهم وزعيمهم، وأنه يَعــدِل بينــهم وأنه محبوب فِيهم، مطاع منهم، لذا استحقوا مدحى وإشادتى من قلبــى الذى يسانده لسانى، لأنهم أفضل خلق الله أجمعين.

ولا شك أن رد حسان كان مفحما وقادحا لكل ما أتى به الزبرقان فأقر بما أيد الله به محمدا، حتى قال: وأبى إن هذا الرجــل لمؤتــى لــه لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شــاعرنا، ولأصواتــهم أحلى من أصواتنا... فلما فرغ القوم. أسلموا.

وفد لقيط بن عامر بن المنتفق على النبى — صلى الله عليه وسلم —

وَفَد لقيط بن عامر بن المنتفق، على النبى — صلى الله عليه وسلم — ومعه صاحب يقال له: نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق(١).

قال لقيط: فخرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا المدينــة، لانســلاخ رجب، فأتينا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوافيناه حتى انصرف من صلاة الغداة، فقام فى الناس خطيبا، فقال:

أيها الناس، ألا إنى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام، لتســمعوا الآن، ألا فهل من امرئ قد بعثه قومه؟

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢٤٩/١ وما بعدها.
العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ أحمد يســرى م٢ ع١٠ ص٣٤ ومــا بعدهــا.
والبداية والنهاية لابن كثير ص٤٠ .

فقالوا: اعْلَمْ لنا ما يقول رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ألا، ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه، أو حديث صاحبه، أو يلهيه ضال، ألا وإنى مسئول هل بلغت ألا اسمعوا، ألا اجلسوا.

فجلس الناس وقمت أنا وصاحبى، حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره، قلت: يا رسول الله. ما عندك من علم الغيب؟

فضحك لعَمْرُ الله.وهَزّ رأسه، وعَلِم أنى أبتغى سقطه(١).

فقال: ضَنّ ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله — وأشار بيده. قلت: وما هى؟

قال: عِلْمُ المَنِيّة، قد علم مَتَى مَنِيّة أحدكم ولا تعلمونه، وعلم ما فى غد، وما أنت طاعِمٌ غَدًا، ولا تعلمه، وعلم المَنِىّ حين يكون فى الرحم، قد علمه ولا تعلمونه، وعلم الغَيْث، يشرف عليكم آزلين مسنتين(٢) فيظل يضحك قد علم أن عونكم قريب.

قال لقيط: قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا.

وعلم يوم الساعة.

قلت: يا رسول الله إنى سائلك عن حاجتى فلا تعجلنى.

قال: سل عما شئت.

قال: قلت: يا رسول الله، علمنا مما لا يعلم الناس، ومما تعلم، فإنا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحدا، من مذحج التى تدنو إلينا،وخشعم التى توالينا، وعشيرتنا التى نحن منها.

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم :

---

(١) السقط: الخطأ فى القول والفعل.

(٢) الآزل: الذى صار فى قحط وجدب. المسنت: الذى أصابته سنة جدباء.

تلبثون ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم تلبثون حتى تبعث الصيحة فلعَمْرُ إلهك ما تدع على ظهرها من شئ إلا مات، والملائكة الذين عند ربك، فيصبح ربك يطوف فى الأرض، وقد خلت عليه البلاد، فيرسل ربك السماء بهضب(١) من عند العرش، فلَعَمْرُ إلهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل، ولا مدفن ميت، إلا شقت القبر عنه حتى تخلقه مِنْ قِبَل رأسه، فيستوى جالسا، ثم يقول ربك: مهيم(٢) — لما كان فيه — فيقول: يا رب، أمسى! اليوم! ولعهده بالحياة يحسبه حديث عهد بأهله.

فقلت: يا رسول الله، كيف يجمعنا ما قد تفرقنا الرياح والبلى والسباع؟

قال: أنبئك بمثل ذلك فى إل الله (٣) ، أشرفت على هذه الأرض وهى مدرة(٤) يابسة .

فقلت: لا تحيا هذه أبدا، ثم أرسل ربك عليها السماء، فلم تلبث إلا أياما حتى أشرقت عليها وهى شربة(٥)، ولعَمْرُ إلهك، لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء، على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء — قال ابن إسحاق: الأصواء: أعلام القبور.

ومن مصارعكم، فتنظرون إليه ساعة، وينظر إليكم.

قال: قلت: يا رسول الله كيف؟ نحن ملء الأرض وهو شخص واحد وينظر إلينا وننظر إليه؟

---

(١) الهضب: المطر .
(٢) مهيم: كلمة يمانية، ومعناها : ما الأمر وما الشأن؟
(٣) فى إل الله: أى فى ربوبيته وإلهيته وقدرته.
(٤) الحدرة: القطعة من الطين اللزج المتماسك .
(٥) الشربة: الحوض الصغير يحفر حول الشجرة ويملأ ماء لتشربه . جمع شرب .

قال: أنبئك بمثل ذلك فى إل الله: الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه، من أن تروهما ويرياكم، لا تضارون فى رؤيتهما.

قال: قلت يا رسول الله. فماذا يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟

قال: تُعرَضُون عليه بادية له صفحاتكم، لا تخفى منكم خافية، فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح([1]) بها قُبُلَكم، فلعَمْرُ إلهك ما تخطئ وجه واحد منكم قطرة. فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة([2]) البيضاء، وأما الكافر فتخطمه([3]) بمثل الحمم الأسود. ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون. قال: فتسلكون جسرا من النار، فيطأ أحدكم الجمر فيقول حس! فيقول ربك: أو إنه؟ فتطلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهله، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف([4]) والبول والأذى وتحبس الشمس والقمر ولا ترون منهما أحدا.

قال: قلت يا رسول الله فبم تبصر يومئذ؟

قال: بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال.

قال: قلت يا رسول الله. فبم نجزى من سيئاتنا وحسناتنا؟

قال: الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها أو يعفو.

قال: قلت يا رسول الله. فما الجنة وما النار؟

([1]) ينضح: يرسن.
([2]) الريطة: الملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة وكل ثوب لين رقيق.
([3]) تخكمه: تضرب خطمه. أى أنفه. الحمم: الفحم والرماد وكل ما احترق من النار.
([4]) الطوف: الحدث من الطعام.

قال: لعمر إلهك إن للنار لسبعة أبواب، ما منها بابـــان إلا يســـير الراكب بينهما سبعين عاما، وإن للجنة لثمانية أبواب ما منـــها بابـــان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاما.

قال: قلت يا رسول الله، فعلام نطّلع من الجنة؟

قال: على أنها من عسل مصفى، وأنهارمن كأس ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير آسن، وفاكهة لعمر إلهك ما تعلمون، وخير من مثله معه، وأزواج مطهرة.

قال: قلت يا رسول الله، أو لنا فيها أزواج؟ أو منهن صالحات؟

قال: الصالحات للصالحين، تلذّون بهن مثل لذاتكـــم فـــي الدنيـــا ويلذذن بكم، غير أن لا توالد.

قال لقيط: قلت: أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه، فلـــم يجبـــه النبي — صلى الله عليه وسلم.

قال: قلت : يا رسول الله . علام أبايعك؟

قال: فبسط إليّ يده وقال: على إقامة الصـــلاة، وإيتـــاء الزكـــاة وزيال(١) الشرك فلا تشرك بالله إلها غيره.

قال: فقلت وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟

فقبض — صلى الله عليه وسلم — يده، وظن أني اشترط عليه شيئا لا يعطينه.

قال: قلت نحل منها حيث شئنا، ولا يجزئ عن امرئ إلا نفســـه؟ فبسط إلي يده .

وقال: ذلك لك. حل حيث شئت، ولا يجزى عنك إلا نفسك.

قال: فانصرفنا عنه.

* * *

---

(١) زيال الشرك: مفارقته .

وفود عدى بن حاتم على النبى (ص) (١)

ولما قَدِم وفد عدى بن حاتم على رسول الله (ص) وحادثه، قال: يا رسول الله، إن فينا أشعر الناس، وأسخى الناس، وأفرس الناس·

قال: سَمّهم·

قال: أما أشعر الناس فامرؤ القيس بن حجر، وأما أسخى الناس فحاتم بن سعد — يعنى أباه — وأما أفرس الناس فعمرو بن معد يكرب·

فقال رسول الله (ص): ليس كما قلت يا عدى· أما أشعر الناس فالخنساء بنت عمرو، وأما أسخى الناس فمحمد — يعنى نفسه صلى الله عليه وسلم — وأما أفرس الناس فعلى بن أبى طالب "·

واتفق أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها·

وقيل لجرير: من أشعر الناس؟ قال: أنا لولا الخنساء· قيل بم فضلتك ·

قال : بقولها:

إِنَّ الزَّمَانَ وَمَا يفْنَى لَهُ عَجَبٌ　　　أَبْقَى لَنَا ذَنَبًا وَاسْتُؤْصِلَ الرَّاسُ

إِنَّ الجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا　　　لاَ يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ

• • •

هاتان وفادتان أخريان على رسول الله — صلى الله عليه وسلم:—

الأولى: وفادة لقيط بن عامر بن المنتفق ومعه صاحبة: نهيك·

وهنا تتجلى معجزة من معجزات سيد الخلق — صلى الله عليه وسلم — حيث يتوجه إلى الناس طالبا أن يتحدث من أوفده قومه — ولم يكن الرجلان التقيا برسول الله — صلى الله عليه وسلم — ولكنه إخبار الله تعالى له، ووحيه إليه·

---

(١) خزانة الأدب البغدادى ٤٣٤/١، ٤٣٥ ·

فقام لقيط يسأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن خبر الغيب، ويتجلى ذكاء المصطفى فى فهم الغرض من السؤال، ولكنه يجيب لقيطا أن الله حجب عنه خمسة أمور علم المنية، وعلم ما فى غد، وما هو طاعمه غدا، وعلم الجنين فى رحم أمه، وعلم الغيث.

"إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ"(١).

ويتسع صدر الرسول — صلى الله عليه وسلم — لأسئلة لقيط والتى يخبره فيها بقومه ومن يحيطون بهم من القبائل، ويطلب مزيدا من علم الرسول، الذى يبين له كيفية الصاعقة وموت الناس جميعا ثم بعثهم للقاء الله تعالى.

ويعجب لقيط من الحساب وسرعته بين إله واحد وخلق كثيرين فيبين له النبى — صلى الله عليه وسلم — قدرة الله وعظمته وإحاطته بخلقه رغم كثرة عددهم.

وتستمر المحاورة بين لقيط والنبى حول كثير من أحوال البعث وما يكون عليه الخلائق يومئذ والجزاء الذى يناله كل امرئ حسبما قدّم فى دنياه، ثم بيان الجنة وما فيها من أوجه النعيم، والزوجات الصالحات.

ثم بسط النبى — صلى الله عليه وسلم يده للقيط فبايعه على الإسلام.

وهذه الوفادة — كما رأينا — ليست للمفاخرة، بل للتعرف على بعض أمور العقيدة الإسلامية، من صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم.

وقد جاءت نثرا، فأسلوبها مترسل، يقوم على الحوار، المبنى على السؤال من لقيط والإجابة من المعلم الأول للأمة الإسلامية. وهى تعتمد

---

(١) سورة لقمان الآية ٣٤ .

على الإقناع الموصل للإيمان، وهو يقوم على تصديق مــــا يخـــبر بـــه المعصوم صلى الله عليه وسلم — لذا سأل لقيط. كيف يكـــون الاتبـــاع؟ فيبسط النبى صلى الله عليه وسلم يده، ويبايعه لقيط مسلما.

والثانية : وفادة عدى بن حاتم على النبى صلى الله عليه وسلم.

وهى فى مضمونها تعنى التفاخر، لأنه ذكر فيها أن فيهم أشـــــعر الناس وأسخى الناس وأفرس الناس.

فحوّل النبى — صلى الله عليه وسلم — المفاخرة، إلى محـــــاورة وقال له: سمهم.أى:اذكر أسماءهم، فلما سماهم، رد عليه الرسول بمجانبته الصواب فيما يقول، وبيّن له أن أشعر الناس الخنساء، وليس امرأ القيـس كما قال. وقد اتفق أهل العلم بالشعر بذلك، لما قالته:

إنّ الزَّمَانَ ومَا يفنـــــى له عَجَب ... أبقَى لنَا ذنباً واستُــؤصِل الرأسُ
إنَّ الجَديدَيّنِ فِى طَوْلِ اختِلافِهِما ... لا يَفسُــدانِ، وَلَكِنْ يَفسُدُ النَّاسُ

كما أن أسخى الناس هو محمد صلى الله عليه وسلم وليس حـــــاتم الطائى، وأما أفرس الناس فعلى بن أبى طالب وليس عمـــرو بـــن معــد يكرب.

قدوم كعب بن زهير، إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم(١):

لما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من منصرفه عن الطائف، كتب بجير بن زهير بن أبى سلمى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قتل رجالا بمكة ممن كانوا يهجونه ويؤذونه، وأن من بقى من شعراء قريش: ابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب، قد هربوا فى كل وجه، فإن كانت لك فى نفسك حاجة، فطر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك(٢) من الأرض، وكان كعب ابن زهير قد قال:

أَلاَ أبلِغا عنى بُجيرا رِسالة ... فهلْ لك فيما قُلتَ ويحَك هل لكا
فَبيِن لنا إن كنت لست بفاعل ... على أى شئ غير ذلك دلكا
على خُلقٍ لمْ ألف يوما أبا له ... عليه وما تلفى عليه أبا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت: لمَا لكَا
سقاك بها المأمونُ كأسا روية ... فأنهلك المأمونَ منها وَعَلَّكَا
(ويروى‌سقاك أبوبكربكأس روية) ....

قال: وبعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيرا، كره أن يكتمها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنشده إياها، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما سمع "سقاك بها المأمون" صدق وإنه لكذوب، أنا المأمون، ولما سمع "على خلق لم تلف أما ولا أبا..." قال: أجل. لم

(١) السيرة النبوية ٣٧٣/٤ وما بعدها ابن هشام، والأغانى جـ١٧ صـ٨٦ ط الهيئة العامة و:الشعر والشعراء ١٦٠/١ ابن قتيبة تحقيق/ أحمد محمد شاكر ط٣١ دار المعارف ١٩٧٧م.
(٢) إلى نجائك: أى إلى محل ينجيك منه.

يلف عليه أباه ولا أمه. وزاد الزرقانى: أن النبى (ص) قال :"من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله" كذا ذكر صاحب الأغانى: أن رسول الله (ص) لما بلغته هذه الأبيات "أهدر دمه"(١).

ثم إن بجيرا قال لكعب:

مَن مبلغ كعبا، فهل لك فى التى — تلوم عليها باطلا وهى أحزم

إلى الله (لا العزى ولا اللات) وحده — فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت — مِنَ الناس إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شئ دينه — ودين أبى سلمى على محرم

قال ابن إسحاق:

فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه وأرجف به(٢) من كان فى حاضره(٣) من عدوه، فقالوا: هو مقتول. فلما لم يجد من شيء بدا، قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة... (حتى قدم إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم) ثم أشار له الرجل الذى كان برفقته إلى رسول الله، وطلب منه أن يتقدم إليه فيستأمنه، فقام حتى جلس إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فوضع يده فى يده — وكان الرسول لا يعرفه — فقال: يا رسول الله. إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم —:نعم.

قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير

---

(١) الأغانى ٨٦/١٧ .

(٢) أرجف به: خاض فى أمره.

(٣) حاضره: حيه.

وهنا وثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً، نازعاً عما كان عليه. وقد قام كعب بين يدى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنشد لاميته الخالدة:

بَانَتْ سُعادُ فَقَلبِى اليومَ مَتْبُول ... مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَم يُفدَ مَكبُولُ
وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلُوا ... إِلاَّ أَغَنّ غَضِيض الطَّرْفِ مكحُولُ

إلى أن يقول مستعطفا الرسول (ص) وطالبا عفوه والصفح منه:

نُبِّئتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِى ... وَالعفْوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمُولُ
مَهلاً هَدَاكَ الَّذِى أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ... ـقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفصِيلُ
لَا تَأْخُذَنِّى بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ ... ولم أُذْنِبْ ولَوْ كَثُرت فِىَّ الأَقَاوِيلُ
لَقَدْ أَقُومُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ ... أَرَى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الفِيلُ
لَظَلّ يُرعدُ إلاَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ ... مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيلُ
حَتَّى وَضَعتُ يمِينِى مَا أُنَازِعُهُ ... فِى كَفِّ ذِى نقمَاتٍ قِيلُهُ القِيلُ
لَهْوَ أَخوَفُ عِنْدِى إِذْ أُكَلِّمُهُ ... وَقِيلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْئُولُ
مِنْ ضَيغَمٍ بِضِرَاءِ الأَرْضِ مخدَرُهُ ... فِى بَطْنِ عثَّرَ غِيلٌ دُونَهُ غِيلُ
يَغدُو فَيُلحِمُ ضِرْغَامَيْنِ عَيْشُهُمَا ... لَحمٌ مِنَ النَّاسِ مَغفُورٌ خَرَادِيلُ

ثم ينتقل إلى مدح المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه فيقول:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ
فِى عُصبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفُ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ
شُمُّ العَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ ... مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِى الهَيْجَا سَرَابِيلُ
بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ ... كَأَنَّهَا حَلَقُ القَفعَاءِ مَجْدُولُ
لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ ... قَوْماً، وَلَيْسُوا مَجَازِيعَ إِذَا نِيلُوا

يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَـرْبٌ إِذَا عَـرَّدَ السُّـودُ التَّنَابِيلُ
لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِـي نُحُورِهِمُ وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ

وفود النابغة الجعدى على رسول الله (ص):

قال ابن قتيبة: (١)

هو عبد الله بن قيس من جعدة بن كعب بن ربيعة، وإخوة جعـدة: عقيل وقشير والحريش، وكان يكنى: أبا ليلى، وهو جاهلى.

وأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنشده:

أَتَيْـتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ جَاءَ بِالهُدَى وَيَتْلُـو كِتَابـًا كَالمَجَرَّةِ نَيِّـرَا
بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَـجْدُنَا وَجُـدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَـرَا(٢)

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :"إلى أين يا أبا ليلى"؟

فقال: إلى الجنة.

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :"إن شاء الله".

وأنشده:

وَلَا خَيْرَ فِى حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَـهُ بَـوَادِرُ تَحْمِـى صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِى جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيـمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"لا يفضض الله فاك".

قال: فبقى عمره لم تنفض له سن.

---

(١) الشعر والشعراء ابن قتيبة ٢٩٥/١ .

(٢) القصيدة ٧٦ بيتا، وهى فى جمهرة أشعار العرب ١٤٠ ـ١٤٨، تاريخ الطـبرى ٥٠/١٣ .

التعليق: تصور وفادة كعب بن زهير على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نوعا فريدا من الوفادات، حيث نرى سبق بجير إلى الإسلام، ورغبته الصادقة فى دخول أخيه كعب فى الدين الإسلامي، حتى يصفح عنه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فينجو من إهدار دمه.

وقد حرص بجير على أن يبعث إلى أخيه كعب، يخبره بغضب الرسول على من يهجوه،وطلب منه الإسراع إلى المجئ للقاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإعلان دخوله فى الإسلام، وفى الوقت نفسه أنشد بجير بعض أبياته بين يدى الرسول حتى يرقق قلبه، وأرسل بهذه الأبيات إلى أخيه، وأنشد أبياتا أخرى يستحث أخاه فيها على ترك الشرك والأوثان، مقررا أن الدين الحق هو الإسلام.

وقد أحسن كعب بموقفه الشديد، وخشى على نفسه من القتل والضياع، وسوء سيرته بين الناس حيا، وأتاه الشعر طيّعا، وقد لانت عريكته، ورق قلبه للإسلام، وتطلع إلى الانغماس فى أنوار الذات المحمدية، فأنشأ لاميته الخالدة (بانت سعاد...)، وأقبل متلهفا للقاء النبى، وشرف بلقائه، دون أن يعرّفه بنفسه، وأعلن بين يديه الكريمتين إسلامه، ثم أعلن عن ذاته. وقد عفا عنه أرحم خلق الله، وحماه من أن يتعرض لأذى أو ضر.

وقد كان للشعر فى هذه الوفادة دور ظاهر جلى، ولم يجر فيها كبير حوار، بينما كان المجال الأكبر والأكثر فيها لقيثارة أنغام البيان وجاءت معانى الشعر أجمل تصوير لما أضاء قلبه شاعرنا الذى صار أحد شعراء الرسول، مدافعا عن الإسلام ونبيّه.

وكما قام الشعر بدوره المؤثر فى وفادة كعب بـــن زهـــير علـــى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نجده يؤدى رسالته البيانية الجليلـــة بين يدى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حيث وفد النابغة الجعــدي على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنشد قوله: أتيت رســـول الله إذ جاء بالهدى٠٠٠

فلما قال: بلغنا السماء مجدنا وجدودنا٠٠٠ وإنا لنرجو فوق ذلـــك مظهرا

يسأله رسول الله: إلى أين يا أبا ليلى؟

فيجيب٠ إلى الجنة٠ فيبشره الرسول الكريم قائلا: إن شاء الله٠

ويدعو له النبى بالخير، وألا يفضض الله فاه٠

جـ -الوفادة بعد عصر النبوة

رأينا أن الوفود ظهرت قبل الإسلام، وكان أبرزها موجـــها إلـــى أكاسرة وقياصرة العالم من غير العرب، وهى وفود يغلب عليها المفاخرة والمنافرة من جانب الوفود العربية التى مثلها وأناب فيها رجال على قدر كبير من الشجاعة والثقة بالنفس وشدة الذكاء وقوة العارضـــة، وروعـــة البيان وحسن الأداء، مع سمو الفكرة، وعظمة القـــدرة علـــى التصويـــر البيانى الرائع.

كما توجهت وفود أخرى إلـــى النعمـــان بـــن المنـــذر، تمدحـــه وتستمنحه، وتطلب رفده وعطاءه، وترجو نواله، فكانوا يجـــدون عنـــده حسن المنزلة، وتحقيق الأمل والأمنية.

ثم أضاء الوجود نور الإسلام، وازدانت الحيـــاة بآيـــات القـــرآن الكريم، تجلو للناس حقائق دينهم، وتنير لهم طريق حياتهم، مسترشـــدين بدعوة النبى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وما فيـــها مـــن سـماحة وخير.

وتوافد العرب على سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وســـلم ــ وكانت ذروة هذه الوفود فى العام التاسع الهجرى ــ كما سبق تناوله.

وبعد رحيله ــ صلى الله عليه وسلم ــ توالـــت الوفـــود، ولكـــن بصورة أقل، ولأغراض مختلفة وسأتناول هذه الوفود على مراحل ثلاثة هى:

١-عصر الخلفاء الراشدين.
٢-عصر الأمويين.
٣-عصر العباسيين.

أولا- عصر الخلفاء الراشدين:

أ-عصر الخليفة الأول، أبى بكر الصديق — رضى الله عنه:

١-وفادة أهل اليمامة على أبى بكر:

(١)حكى ابن عبد ربه[١] قال:

"وفد أهل اليمامة على أبى بكر الصديق — رضى الله عنه — بعد إيقاع خالد بن الوليد بهم وقتله مسيلمة الكذاب، فقال لهم أبو بكر: ما كان يقول صاحبكم؟

قالوا: أعفنا يا خليفة رسول الله،

قال: لابد أن تقولوا،

قالوا: كان يقول: يا ضفدع كم تنقّين، لا الشـراب تمنعيـن، ولا الماء تكدّرين، لنا نصفُ الأرض، ولقريش نصفُها، ولكنّ قريشا قـوم لا يعدلون،

فقال لهم أبو بكر: ويحكم! ما خرج هذا من إلّ ولا بَرّ، فأين ذهب بكم؟! {قال أبو عبيدة: الإلّ: الله تعالى ، والبَرّ: الرجل الصالح}

ب-فى عصر عمَر بن الخطّاب (رضّى الله عنّه):

١-وفود جبلة بن الأيهم [٢]

حكى ابن عبد ربه، عن العجلى، قال: [٣]

---

[١] العقد الفريد تحقيق/ العريان ٢٦٧/١ ، تحقيق/ أحمد يسرى المجلد٢ العـدد١١ ص٥٦ .

[٢] هو جبلة بن الأيهم الغسانى (-:٢٠هـ) من آل جفنة: أخر ملوك الغساسنة فـى بادية الشام، عاش عصرا فى الجاهلية وقـاتل المسـلمين فـى دومـة الجنـدل (سنة١٢هـ) وحضر وقعة اليرموك (١٥هـ) وهو على مقدمة عرب الشام مـن لخم وجذام وغيرهما فى جيش الروم الذين انهزموا ومعهم جبلة — ثم أسلم وهاجر إلى المدينة، ويقال إنه ارتد ولجأ إلى بلاد الروم حيث مات بها،

[٣] العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ العريان ٢٥٩/١ ، تحقيق/ أحمد يسرى مجلـد٢ عدد١١ ص٤٨

حدثنى أبو الحسن على بن أحمد بن عمرو بن الأجدع الكوفى بهيت (١)، قال: حدثنى إبراهيم بن على مولى بنى هاشم، قال: حدثنا ثقات شيوخنا: أن جبلة بن الأيهم بن أبى شمّر الغسانى، لما أراد أن يسلم كتب إلى عمر بن الخطاب، من الشام يعلمه بذاك، ويستأذنه فى القدوم عليه، فسر بذلك عمر والمسلمون، فكتب إليه أن أقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا. فخرج جبلة فى خمسمائة فارس من عكّ وجَفنة، فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب العرش المنسوج بالذهب والفضة، ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرط مارية وهى جَدّته، فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد إلا خرج ينظر إليه، حتى النساء والصبيان، وفرح المسلمون بقدومه وإسلامه، حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر بن الخطاب، فبينما هو يطوف بالبيت، إذ وطئ على إزاره رجلٌ من بنى فزارة فحَلّه، فالتفت إليه جبلة مغضبا، فلطمه فهشم أنفه، فاستعدى عليه الفزارىُّ عمرَ بن الخطاب. فبعث إليه، فقال: ما دعاك يا جبلة أن لطمت أخاك هذا الفزارى فهشمت أنفه؟

فقال: إنه وطئ إزارى فحَلّه، ولولا حرمةُ هذا البيت، لأخذتُ الذى فيه عيناه.

فقال له عمر: أما أنت فقد أقررت. إما أن ترضيَه، وإلا أقدتُه(٢) منك.

قال (جبلة) :أتقيدُه منى، وأنا ملك وهو سُوقة؟

قال عمر: يا جبلة، إنه قد جمعك وإياه الإسلام، فما تفضله بشئ إلا بالعافية.

---

(١) هيت: بلدة على الفرات من واحى بغداد، فوق الأنبار، وهى أيضا من قرى حوران من أعمال دمشق.

(٢) أقدته من: أمكنته .

قال جبلة: والله لقد رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية.

قال عمر: دع عنك ذلك.

قال جبلة: إذن أتنصّر.

قال عمر: إن تنصّرت ضربتُ عنقَك.

قال: واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة، فكادت تكون فتنة.

فقال جبلة: أخِّرنى إلى غد يا أمير المؤمنين.

قال عمر: ذلك لك.

فلما كان جُنح الليل خرج جبلة وأصحابه، فلم يثن(١) حتى دخل القسطنطينية على هرقل، فتنصّر وأقام عنده، وأعظم هرقل قدومَ جبلة، وسُرّ بذلك، وأقطعه الأموال والأرضين والرباع.

وعاش جبلة فى أرض الروم (القسطنطينية) إلى أن مات.

* * *

٢-وفود الأحنف بن قيس (٢)على عمر بن الخطاب

حكى ابن عبد ربه، عن المدائنى: قال:

قدم الأحنف بن قيس التميمى(٣) على عمر بن الخطاب — رضى الله عنه، فى أهل البصرة، وأهل الكوفة، فتكلموا عنده فى أنفسهم، وما

---

(١) لم يثن: لم يتمهل.

(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ العريان ٢٦٤/١ ، تحقيق/ أحمد يسرى مجلد٢ العدد١١ ص٥٣

هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمى (٣ق هـ —٧٢هـ) :سيد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، يضرب المثل به فى الحلم، ولد بالبصرة، وأدرك النبى (ص) ولم يره، ووفد على عمر حين آلت إليه الخلافة فى المدينة. شهد الفتوح فى خراسان، واعتزل الفتنة يوم الجمل، ثم شهد صفين. وله أخبار كثيرة.

(٣) الحولاء: غلاف مملوء ماء كأنه ولو عظيم. السلى: غشاء رقيق يحيط بالجنين ويخرج معه من بطن أمه ويكنى بحولاء السلى، وحدقة البعثير: عن الخصب وكثرة الخير.

ينوب كل واحد منهم، وتكلم الأحنف، فقال: يا أمير المؤمنين، إن مفاتيح الخير بيد الله، وقد أتتك وفود أهل العراق، وإن إخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر، نزلوا منازلَ الأمم الخالية، والملوك الجبابرة، ومنازل كسرى وقيصر، وبني الأصفر (الروم)، فهم من المياة العذبة، والجنان المخصِبة في مثل حولاء السلى وحدقة البعير(١) تأتيهم ثمارهم غضة لم تتغير، وإنا نزلنا أرضا نشّاشة، طرف في فلاة وطرف في ملح أجاج، جانب منها منابت القصب، وجانب سبخة نشاشة لا يجف ترابها، ولا ينبت مرعاها، تأتينا منافعها في مثل مرىء النعامة، يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء (يستقى الماء العذب) من فرسخين، وتخرج المرأة بمثل ذلك، ترنق(٢) ولدها ترنيق العنز، تخاف عليه العدو والسبع، فإلا ترفع خسيستنا، وتنعش ركيستنا، وتجبُر فاقتنا، وتزيد في عيالنا عيالا، وفي رجالنا رجالا، وتصفّر درهمَنا(٣) وتكبر قفيزَنا، وتأمرَ لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا.

قال عمر: هذا والله السيد! هذا والله السيد!

قال الأحنف: فما زلت أسمعها بعدها.

فأراد زيد بن جبلة أن يضع منه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس هناك، وأمة باهلية .

قال عمر: هو خير منك إن كان صادقا. يريد: إن كانت له نية.

فقال الأحنف:

أنا ابنُ الباهليةِ أرضعتني ... بثدي لا أجدّ ولا وَخِيم
أغُضُّ على القذى أجفانَ عيني ... إذا شرّ السفيه إلى الحليم

---

(١) حدقة البعير: عن الخصب وكثرة الخير .
(٢) ترنق: تطيل النظر .
(٣) درهمنا: تجعل فضتنا ذهبا، القفيز: المكيال .

قال: فرجع الوفد، واحتبس الأحنف عنده حولا أو شهرا، ثم قال: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حذّرنا كلّ منافق صنَع اللسان، وإنى خفتك فاحتبستك، فلم يبلغنى عنك إلا خير، رأيت لك جولا(١) ومعقولا، فارجع إلى منزلك، واتق الله ربك".

* * * * * *

٣-ومن الوفادة في عهد عمر رضي الله عنه، وفادة الأحنف في مرة أخرى مع عمرو بن الأهتم. فقد حكى ابن عبد ربه عن العتبى عن أبيه قال(٢):

"وفد الأحنف وعمرو بن الأهتم على عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فأراد أن يقرَعَ بينهما فى الرياسة، فلما اجتمعت بنو تميم، قال الأحنف:

ثوى قدح عن قومه طالما ثوى ... فلما أتاهم قال قوموا تناجزوا(٣)

فقال عمرو بن الأهتم: إنا كنا وأنتم فى دار جاهلية، فكان الفضل فيها لمن جهِل، فسفكنا دماءكم، وسبينا نساءكم، وإنا اليوم فى دارِ الإسلام، والفضل فيها لمن علِم، فغفر الله لنا ولك.

قال: فغلب يومئذ عمرو بن الأهتم على الأحنف، ووقعت القرعة لآل الأهتم.

فقال عمرو بن الأهتم:

لما دعتنى للرياسةِ منقر ... لدى مجلسٍ أضحىَ به النجمُ باديا
شددتُ لها أزرى وقد لِنتُ قبلهَا ... لأمثالِها ممَّا أشدُّ إزَارِيَا

(١) أى: تفعل ما يبدل حالنا إلى الصلاح؛ الركس: قلب أول الشئ إلى آخره.
(٢) العقد الفريد ت/العريان ١/٢٦٥ ، ت/أحمد يسرى م٢ ع١١ ص٥٥
(٣) تناجز القوم: تسافكوا دماءهم.

٤-وفود الأحنف بن قيس على عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)[١]

روى عيسى بن دأب، قال: أول ما عرف الأحنف بن قيس وقُـدِّم أنه وفَدَ على عمرَ بن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ وكان أحدثَ القـوم سنا، وأقبحهم منظرا، فتكلم كل رجل من الوفد بحاجتـه فـى خاصتـه والأحنف ساكت.

فقال له عمر: قل لى يا فتى.

فقال (الأحنف): يا أمير المؤمنين، إن العرب نزلتْ بمساكنَ طيبـة ذات ثمار وأنهار عذاب، وأكنة(٢) ظليلة، ومواضع فسيحة، وإنـا نزلنـا بسَبخة(٣) نشَّاشة(٤)، ماؤها ملح، وأفنيتها ضيقة. وإنما يأتينا الماءُ فـى مثل حلْقِ النعامة، فإلا تدركنا يا أمير المؤمنين بحفر نهر يَغزُرُ ماؤه حتى تأتى الأمَةُ فتغرف بجرّتها وإنائها أوشك أن نهلك.

قال (عمر): ثم ماذا؟

قال (الأحنف): تزيد فى صاعنا ومدنا، وتثبت مَن تلاحـقَ فـى العطاء مِن ذريتنا.

قال (عمر): ثم ماذا؟

قال (الأحنف): تخفف عن ضعيفنا، وتنصـفُ قويَّنـا، وتتعـاهدَ ثغورَنا، وتجهزُ بعثنا.

قال (عمر): ثم ماذا؟

قال (الأحنف): إلى هاهنا انتهت المطالب، ووقف الكلام.

---

(١) زهر الآداب ــ الحصرى ٢/٦٤٢، ٦٤٣ و/البيان والتبيين ١/٢٣٧.
(٢) أكنة: الكن. وقاء كل شئ وستره. ج:أكنان وأكنة.
(٣) سبخة: أرض ذات نز وملح.
(٤) نشاشة: لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها.

قال (عمر): أنت رئيسُ وفدِك، وخطيبُ مصرِك، قم عن موضعِك الذى أنت فيه. فأدناه حتى أقعده إلى جانبه، ثم سأله عن نسبه، فانتسب له.

فقال (عمر): أنت سيدُ تميم، فبقيت له السيادة إلى أن مات.

* * * * * *

٥-وفادة هلال بن وكيع، والأحنف بن قيس وزيد بن جبلة على عمر (رحمه الله) (١)

حكى بشار بن عبد الحميد، عن أبى ريحانة قال:

وفد هلال بن وكيع، والأحنف بن قيس، وزيد بن جبلة على عمر رحمه الله.فقال هلال بن وكيع: يا أمير المؤمنين. إنا لُبَابُ مَن خلفنا مِن قومنا، وغُرَّةُ مَن وراءنا مِن أهل مصرنا، وإنك إن تصرفنا بالزيادة فى أعطياتنا،والفرائضِ لعيالنا، يزدْ ذلك التشريف منا تأميلا، وتكنْ لذوى الأحساب أباً وصولا، فإنا إن نكنْ مع ما نمت به مِن فضائلك، ونُدلى به من أسبابك، كالجد الذى لا يحل ولا يرحل، نرجع بأنف مصلومة، وجدود غائرة، فمِحْنا وأهالينا بسَجل من سِجالِك المترعة.

وقام زيد بن جبلة فقال:

يا أمير المؤمنين. سوّد الشريف، وأكرِم الحسيب، وازرَعْ عندنا من أياديك ما نسد به الخصاصة، ونطرد به الفاقة، فإنا بقُفّ(٢) من الأرض، يابسِ الأكناف، مقشعر الذروة، لا شجرَ فيه ولا زرع، وإنا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرأى ومَسمَع.

---

(١) البيان والتبيين — الجاحظ — ١٤٣/٢، ١٤٤ .

(٢) القف: ما غلظ من الأرض وارتفع.

وقام الأحنف بن قيس فقال:

يا أمير المؤمنين. إن مفاتيح الخير بيـــد الله، والحـــرصَ قـــائد الحرمان. فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قيلا ولا قالا، واجعـــل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف ســـببا يكفيـــك وفـــادة الوفـــود واستماحة الممتاح، فإن كل امرئ إنما يجمع فى وعائه، إلا الأقل ممـــن عسى أن تقتحمه الأعين، وتخونهم الألسنة، فلا يوفد إليك يا أمير المؤمنين.

٦-وفود عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب ــ رضـــى الله عنه(١):

لما فتحت القادسية على يدى سعد بن أبى وقاص، أبلى فيها عمرو ابن معد يكرب بلاء حسنا، فأوفده سعد على عمر بن الخطاب ــ رضـــى الله عنه، وكتب إليه معه بالفتح، وأثنى فى الكتاب على عمرو، فلما قـــدم على عمر بن الخطاب، سأله عن سعد، فقال: أعرابى فى نمرته(٢)، أســد فى تأمورته(٣) نبطى فى جبايته، يقسم بالسوية، ويعدل فى القضية، وينفر فى السرية(٤) وينقل إلينا حقنا نقل الذرة.

فقال عمر: لشد ما تقارضتما الثناء.

وكان عمر قد كتب إلى سعد يوم القادسية أن يعطى الناس علـــى قدر ما معهم من القرآن، فقال عمر لعمرو بن معد يكرب: ما معك مـــن القرآن؟

قال عمرو: ما معى شئ.

قال :إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أعطى الناس على قـــدر مـــا معهم من القرآن.

فقال عمرو:

إذا قُتِلنا ولا يبكِى لنـــا أحـــد   قالت قريشٌ ألا تلك المقاديرُ

نعطى السوية من طعن له نَفَد   ولا سريّة إذ نُعطى الدنانيرُ

قال: فكتب سعد بأبياته إلى عمر، فكتب إليـــه أن يعطـــى علـــى مقاماته فى الحرب.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه ت/العريان ١/٢٦٦ ،ت/ أحمد يسرى مجلد٢ عـــدد١١ ص٥٦

(٢) النمرة: بردة من صوف تلبسها الأعراب.

(٣) التأمورة: عريسة الأسد وهى شجر ملتف يكون مأوى الأسد.

(٤) السرية: من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة.

ويورد ابن قتيبة رواية أخرى فى وفادة عمرو بن معد يكـــرب — على عمر بن الخطاب — رضى الله عنه، فيقول(١) "وأوفده سعد بن أبـــى وقاص، بعد فتح القادسية إلى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه، فسـألـه عن سعد، فقال هو لهم كالأب، أعرابى فى نمرته، أســد فـــى تامورتـــه (ويقال فى :ناموسيته) نبطى فى حبوته، يقسم بالسوية ويعدل فى القضية، وينفر فى السرية، وينقل إلينا حقنا، كما تنقل الذرة.

فقال عمر: (وقد كان كتب إليه سعد يثنى على عمــرو) :لشــد مـــا تقارضتما الثناء. وسأله عمر عن الحرب، فقال: مرة المذاق، إذا قلصـت عن ساق، من صبر فيها عرف، ومن ضعف فيها تلف، وهى كما قـــال الشاعر

الحربُ أولُ ما تكـــون فتيـــــة	**تســـعى بزينتِهـــا لِكل جهول**
حتى إذا استعرت وشَبّ ضِرَامُها	**عادت عجوزا غيــرَ ذات خليــــل**
شمطاءُ جُزّت رأسُها وتنكــّـرت	**مكـــروهة للشـــمِ والتقبيــلِ**

وسأله عن السلاح، فقال: الرمح أخوك، وربما خانك، والنبل منايا تخطئ وتصيب، والترس هو المجن وعليه تدور الدوائر، والدرع مشـغلة للفارس، متعبة للراحل، وإنها لحصن حصين.

وسأله عن السيف. فقال: ثم قارعتك أمك عن الثكل. قال عمــر: بل أمك. قال: الحمى أضرعتنى (الحمى أذلتنى).

---

(١) الشعر والشعراء ابن قتيبة ت/أحمد محمد شاكر ٣٧٩/١، ٣٨٠

التعليق:

وإذا نظرنا إلى الوفود فى عصرى أبى بكر وعمر — رضى الله عنهما — نجد اختلافا واضحا فى الغرض، وإن كان الأسلوب والمنهج واحدا٠

وقد وجدنا أن وفود عصر النبوة، غلب عليها رغبة أعضائها فى التشرف بالمثول بين يدى سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإعلان إسلامهم بين يديه الشريفتين٠ أما فى عصر أبى بكر وعمر — فالغرض جد مختلف٠

فوفد اليمامة إلى أبى بكر، يشبه إلى حد كبير — ما نعرفه اليوم باسم (التحقيق مع المشاركين) فى الخروج على نظام الدولة، وإعلانهم الخضوع والانضواء تحت لواء طاعتها، وقد حضر هذا الوفد إلى أبى بكر — رضى الله عنه — بعد هزيمة أهل اليمامة، وإيقاع خالد بن الوليد بهم، وقتله مسيلمة الكذاب — رأس الفتنة، فتوجه إليهم الصديق سائلا عن قول هذا الأفاك لقومه، وكذبه عليهم، ومصمما على معرفة ذلك القول٠ فلما أجابوه، رد عليهم متعجبا بأن ما قاله لم يصدر عن إله ولا بشر٠

وفى الوفود التى وفدت على عمر، نجد جبلة بن الأيهم يقبل على عمر — رضى الله عنه — ليعلن إسلامه، ولكنه لم يكن على مستوى مبادئ الإسلام، وإدراك نقاء روحه وصفاء تعاليمه، بل خالط قلبَه كِبرٌ وغطرسة، وقد فر تحت جنح الظلام ليعلن ارتداده فى القسطنطينية، ولم يؤثر فيه ما قام به الخليفة الثانى من شرح وإيضاح لأخوة المسلمين لأنه قد ران على قلبه٠

وفى وفود الأحنف بن قيس على عمر — رضى الله عنه — نجده فى المرة الأولى يفد فى جموع من أهل الكوفة والبصرة، مقارنين بين

حالتهم الاقتصادية وحالة إخوانهم من أبناء الأمة الإسلامية، بمـــا يفيـد رغبتهم فى رفده وعطائه.

وفى الوفادة الثانية كان معه عمرو بن الأهتم، وفى هذه المـــرة — أيضا — يختلف غرض الوفادة، حيث كانت بسبب القرعة بينهما فى تولى الرياسة.

وفى الوفادة الثالثة للأحنف على عمر — رضى الله عنه — يشرح الأحنف لعمر — رضى الله عنه — مقارنا حالة من يعيشون فى رغد من بعض العرب — وحالة قومه ممن أصابهم الجدب والفقر والحاجة، مطالبا الخليفة بالإسراع فى إصلاح أحوال الناس غير مطـــالب لنفســه بأيـــة مكاسب.

ويتسع صدر الخليفة لمطالب الأحنف، ويطلب منه — مشـــجعا — الاستمرار فى زيادة مطالب هؤلاء الذين قست عليهم الحياة، وهو مـــا لا يحبه الخليفة العادل، ولا يرضاه لرعيته. حتى يحقـــق لـــه كـــل هـــذه المطالب.

الوفادة فى آخر عصر الخلفاء الراشدين

١-قدوم أبى هريرة وأبى الدرداء على معاوية وعلى(١)

ذكروا أن أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفّين، فوعظاه وقالا له: يا معاوية، علام تقاتل عليا، وهو أحق بهذا الأمر منك فى الفضل والسابقة؟ لأنه رجل من المهاجرين الأولين السابقين بإحسان، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب. أما والله ما نقول لك أن تكون العراق أحب إلينا من الشام، ولكن البقاء أحب إلينا من الفناء، والصلاح أحب إلينا من الفساد. فقال معاوية: لست أزعم أنى أولى بهذا الأمر من على، ولكنى أقاتله حتى يدفع إلى قَتَلَةَ عثمان. فقالا: إذا دفعهم إليك ماذا يكون؟ قال: أكون رجلا من المسلمين. فأْتِيا عليا، فإن دفعَ إليكما قتلةَ عثمان جعلتُها شورى.

فقدما على عسكر على، فأتاهما الأشتر، فقال: يا هذان. إنه لم ينزلكما الشام حب معاوية، وقد زعمتما أنه يطلب قتلة عثمان، فعمن أخذتما ذلك فقبلتماه؟ أعمن قتله فصدقتموهم على الذنب، كما صدقتموهم على القتل؟ أم عمن نصره فلا شهادة لمن جر إلى نفسه، أم عمن اعتزلوا، إذ علموا ذنب عثمان، وقد علموا ما الحكم فى قتله؟ أم عن معاوية وقد زعم أن عليا قتله؟ اتقيا الله، فإننا شهِدْنا وغِبتُما، ونحن الحكام على من غاب.

فانصرفا ذلك اليوم. فلما أصبحا أتيا عليا، فقالا له:

إن لك فضلا لا يُدفَع، وقد سرتَ مسير فتى إلى سفيه من السفهاء ومعاوية يسألك أن تدفع إليه قتلة عثمان. فإن فعلت ثم قاتلك كنا معك.

---

(١) الإمامة والسياسة ابن قتيبة ٩٦/١ .

قال علي: أتعرفانهم؟ قالا: نعم. قال: فخذاهم

فأتيَاَ محمد بن أبى بكر وعمار بن ياسر والأشتر، فقالا: أنتم من قتلة عثمان، وقد أُمِرْنَا بأخذِكم، فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل

فقالوا: نحن قتلة عثمان.

فقالا: نرى أمرا شديدا ألبس علينا الرجل.

* * * * * *

التعليق: تمثل هذه الوفادة لونا فريدا فى نوعها، من حيث المرحلة التى جرت فيها، والهدف الذى من أجله كانت.

فقد وقعت أحداثها فى مرحلة فاصلة بين عهدين: عهد الخلفاء الراشدين، وعهد بدء قيام الدولة الأموية.

وهى مرحلة ملأى بالأحداث الجسام، التى أدت إلى تطورات خطيرة فى المجتمع الإسلامى، بما أفرزت من اتجاهات فكرية وفلسفية وعقائدية، ومن تحول فى نظام الحكم فى الدولة الإسلامية من النظام الشورىّ إلى الوراثى الذى يشبه الملكى.

وهى وفادة تعكس لنا ما كان يدور فى تلك المرحلة من صراع سياسى، وما استند عليه بنو أمية فى إثارتهم للنزاع وهو قضية مقتل عثمان بن عفان ــ رضى الله عنه، وادعائهم أن عليا رضى الله عنه يعرف الجناة.

ولذلك نجد ــ هنا ــ عضوى هذه الوفادة ــ وهما صحابيان جليلان ــ نجدهما يسعيان بين معاوية وعلى، يحاولان إخماد نيران تلك الفتنة الطاغية، وحقن دماء المسلمين، فتوجها أولا إلى معاوية وحاولا إقناعه بحق على فى الخلافة، وأنهما يرغبان فى أن يستتب الأمن فى المجتمع الإسلامي، فطلب معاوية منهما أن يعملا على تسليم من قام بقتل

عثمان – رضى الله عنه – وهنا يكون الأمن والأمان. ولما توجها إلى معسكر على – رضى الله عنه – انتدب لهما رجلا من رجاله بيّنَ لهما أنه لاحق لهما فيما أُوفِدَا من أجله؛ لأنه لا يقوم على دليل، كما أوضح لهما علىّ – كرم الله وجهه – عدم صحة ادعائهما أو ادعاء معاوية، ولما حاول الوافدان اتهام بعض الصحابة – وهو اتهام باطل، خرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل، فأدرك الرجلان أن الأمر ألبس عليهما من لدن معاوية.

ثانيا ـ الوفادة فى عصر الدولة الأموية:

أ-الوفود على معاوية

١-وفود الحسن بن على (رضى الله عنه) ([١]):

حكى ابن عبد ربه، عن أبى بكر بن أبى شيبة قال

"وَفَد الحَسَنُ بنُ عليّ ـ رضى الله عنهما ـ على معاوية بعد عام الجماعة([٢]).

فقال له معاوية: والله لأحبونّك بجائزة ما أجزت بها أحدا قبلك،ولا أُجيز بها أحدا بعدك. فأمَر له بمائة ألف. (وذلك حيث تصالح الحسن ومعاوية).

وفى بعض الحديث أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل على ابنته فاطمة، فوجد الحسن طفلا يلعب بين يديها، فقال لها:" إن الله تعالى سيُصلِح على يدى ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين".

٢-وفود زيد بن مُنْيَة على معاوية ـ رحمه الله:

حكى صاحب العقد الفريد، عن العتبى، قال([٣]):

"قدم زيد بن مُنيَة على معاوية ـ من البصرة ـ وهو أخو يَعْلَى ابن منية صاحب جمل عائشة، ومتولى تلك الحروب، ورأس أهل البصرة، وكان عُتبَة بن أبى سفيان قد تزوج ابنة يعلى بن مُنية ـ فلما دخل على معاوية شكا إليه دَيْناً لزِمَه.

([١]) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ العريان ٢٦٨/١، ت/ أحمد يسرى مجلد/٢ عدد/١١ ص٥٧ .

([٢]) هو العام الذى تصالح فيه معاوية والحسن ـ رضى الله عنهما ـ

([٣]) العقد الفريد. ابن عبد ربه ت/العريان ٢٦٨/١، ت/أحمد يسرى مجلد/٢ عدد/١١ ص٥٧/٥٨ .

فقال: يا كعب. اعطه ثلاثين ألفا. فلما وَلّى قال: وليَوْمِ الجمل ثلاثين ألفا أخرى. ثم قال له: الحق بصهرك — يعنى عُتبة — فقدِم عليه مصر.

فقال: إننى سِرت إليك شهرين، أخوضُ فيها المَتالف، ألبس أردية الليل مرة، وأخوض فى لجج السراب أخرى، موقرا(١) مِن حسن الظن بك، وهاربا من دهر قطم(٢) ودَيْن لزم، بعد غِنًى جدَعْنا به أنوفَ الحاسدين، فلم أجِدْ إلا إليك مَهربا، وعليك مُعوّلا.

فقال عتبة:

مرحبا بك وأهلا، إن الدهر أعاركم غِنىً، وخلَطَكم بنا، ثم استردّ ما أمكنه أخذُه، وقد أبقى لكم منا ما لا ضَيعةَ معه، وأنا واضع يدى ويدك بيد الله. فأعطاه ستين ألفا، كما أعطاه معاوية رحمه الله.

٣-وفود عبد العزيز بن زراة، على معاوية رحمه الله(٣):

عن العتبى عن أبيه قال:

وفد عبد العزيز بن زرارة، على معاوية، وهو سيد أهل الكوفة فلما أُذِن له، وقف بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين، لم أزل أَهُزُّ ذوائب الرِّحَالِ إليك، إذ لم أجد معولا إلا عليك، أمتطى الليلَ بعد النهار، وأَسِمُ المجاهلَ بالآثار، يقودنى إليك أمل، وتسوقنى بلوى، والمجتهد يُعذَر، وإذا بلغتك فقَطْنِى.

فقال معاوية: احطط عن راحلتك رحلها.

---

(١) موقرا: مزودا محملا.

(٢) قطم: سئول.

(٣) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ العريان ٢/٢٦٩، تحقيق/ أحمد يسرى مجلد٢ العدد١١ ص٥٨.

وخرج عبد العزيز بن زرارة مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة فهلك هناك، فكتب به يزيد بن معاوية إلى معاوية، فقال لزرارة: أتاني اليوم نعيُ سيد شباب العرب.

قال زرارة: يا أمير المؤمنين، هو ابني أو ابنك؟

قال (معاوية) :بل ابنك.

قال (زرارة) :للموت ما تلد الوالدة.

* * * * * * *

٤-قدوم عقيل بن أبي طالب على معاوية(١):

ذكروا أن عقيل بن أبي طالب قَدِم على أخيه عليّ بالكوفة.

فقال له عليّ: مرحباً بك وأهلا. ما أقدمَك يا أخي؟

قال (عقيل) :تأخرُ العطاءِ عَنَّا، وغلاءُ السعرِ ببلدنا، وركبني دَيـنٌ عظيم، فجئت لِتَصِلَني.

فقال علي: والله ما لي مما ترى شيئا إلا عَطائي، فإذا خرج فهو لك.

فقال عقيل : وإنما شخوصي من الحجاز إليك مِن أجل عطائك؟ وماذا يبلغُ مِني عطاؤك؟ وما يدفعُ حاجتي؟

فقال عليّ: فمه! هل تعلم لي مالاً غيرَه؟ أم تريدُ أن يُحرِقَني الله في نار جهنم في صلتك بأموال المسلمين؟

فقال عقيل: والله لأخرُجَنّ إلى رجل هو أَوْصَلُ لي مِنك (يريد معاوية).

فقال علي: راشدًا مهدِياً.

فخرج عقيل حتى أتى معاوية، فلما قدِمَ عليه، قال له معاوية: مرحبا وأهلا بك يا بن أبي طالب، ما أقدمَك عَلَيّ؟

---

(١) الإمامة والسياسة ابن قتيبة الدينوري ٧٥/١ ط. مؤسسة الحلبي- القاهرة د.ت

فقال: قدِمتُ عليك لِدَيْنٍ عظيم ركبنى، فخرجتُ إلى أخى ليصلَنــى فزعم أنه ليس له مما يلى إلا عطاؤه، فلم يقع ذلك منى موقعا، ولم يَسُــدّ منى سدًّا، فأخبرته أنى سأخرُجُ إلى رجلٍ هو أوصلُ منه لى، فجئتُك.

فازداد معاوية فيه رغبة.

وقال: يا أهل الشام، هذا سيدُ قريش، وابنُ سيدها، عرف الذى فيه أخوه من الغواية والضلالة، فأثاب إلى أهل الدعاء، إلــى أهــل الحــق ولكنى أزعم أن جميعَ ما تحت يدى له، فما أعطيتُه فقُربةٌ إلى الله، ومــا أسكت فلا جناح علىَّ فيه.

فأغضب كلامُه عقيلا لمّا سمعه ينتقصُ أخاه.

فقال: صدقت. خرجتُ مِن عند أخى على هذا القول،وقد عرفــتُ مَن فى عسكره-لم أفقد والله رجلا من المهاجرين والأنصار، ولا والله مــا رأيتُ فى عسكر معاوية رجلاً من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم.

فقال معاوية (عند ذلك) :يا أهل الشام، أعظم الناس مــن قريــش عليكم حقا ابن عم النبى (ص) وسيد قريش، وها هو ذا تَبَرَّأ مما عمل به أخوه.

قال: وأمر له معاوية بثلاث مائة ألف دينار.

قال له: هذه مائة ألف تقضى بها ديونَك، ومئة ألف تصــل بــها رحمَك، ومئة ألف توسع بها على نفسك.

* * * * * *

● -وفود صعصعة بن صوحان على معاوية.(١)

... حدثنا أبو بكر رحمه الله قال: حدثنا العكلى عن الحرمــازى قال: حدثنا الهيثم عن مجالد عن الشعبى قال: دخل صعصعة بن صوحان على معاوية رضى الله عنه، أول ما دخل عليه، وقد كان يبلــغ معاويــة

(١) الأمالى لأبى على القالى ٢٥٣،٢٥٢/٢ .

عنه فقال معاوية رحمه الله: ممن الرجل؟ فقال: رجل من نزار. قال: وما نزار؟ قال: كان إذا غزا انحوش، وإذا انصرف انكمش، وإذا لقى افترش. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من ربيعة. قال: وما ربيعة؟ قال: كان يغزو بالخيل،ويغير بالليل، ويجود بالنيل. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من أمهر. قال: وما أمهر؟ قال: كان إذا طلب أفضى، وإذا أدرك أرضى، وإذا آب أنضى. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من جديلة. قال: وما جديلة؟ قال: كان يطيل النجاد، ويعد الجياد، ويجيد الجلاد. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من دعمى. قال: وما دعمى؟ قال: كان نارا ساطعا وشرا قاطعا، وخيرا نافعا، قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من أقصى. قال: وما أقصى؟ قال: كان ينزل القارات، ويكثر الغارات،ويحمى الجارات. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من عبد القيس. قال: وما عبد القيس؟ قال: أبطال ذادة، جحاجحة سادة، صناديد قادة. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من أقصى. قال: وماأقصى. قال: كانت رماحهم مشرعة، وقدورهم مترعة، وجفانهم مفرغة. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من لكيز؟ قال: وما لكيز؟ قال: كان يباشر القتال، ويعانق الأبطال، ويبدد الأموال. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من عجل. قال: وما عجل؟ قال: الليوث الضراغمة، الملوك القماقمة، القروم القشاعمة. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من كعب. قال: وما كعب؟ قال: كان يسعر الحرب ويجيد الضرب، ويكشف الكرب. قال: فمن أى ولده أنت؟ قال: من مالك. قال: وما مالك؟ قال: هو الهمام اللهام، والقمقام المقمام.

فقال معاوية رحمه الله: ما تركت لهذا الحى من قريش شيئا. قال: بل تركت أكثره وأحبه. قال: وما هو؟ قال: تركت لهم الوبر والمدر

والأبيض والأصفر، والصفا والمشعر، والقبة والمفخر، والسرير والمنبر. والملك إلى المحشر.

قال: أما والله، لقد كان يسوءنى أن أراك أسيرا أن أراك أميرا. ثم خرج، فبعث إليه فرده ووصله وأكرمه.

* * * * * *

٦- وفود أبى الطفيل الكنانى على معاوية(¹)

وذكروا أنه لم يكن أحد أحب إلى معاوية أن يلقاه من أبى الطفيل الكنانى، وهو عامر بن وائلة، وكان فارس أهل صفين، وشاعرهم، وكان من أخص الناس بعلى كرم الله وجهه، فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأُخبِرَ معاوية بقدومه فأرسل إليه، فأتاه وهو شيخ كبير، فلما دخل عليه، قال له معاوية: أنت أبو الطفيل عامر بن وائلة؟ قال: نعم. قال معاوية: أكنت ممن قتل عثمان أمير المؤمنين؟ قال: لا، ولكن ممن شهده فلم ينصره قال: ولم؟ قال: لم ينصُرْه المهاجرون والأنصار. فقال معاوية: أما والله إنّ نُصرَتَه كانت عليهم وعليك حقا واجبا، وفرضا لازما، فإذا ضيعتموه، فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله وأصاركم إلى ما رأيتم. فقال أبو الطفيل: فما منعك يا أمير المؤمنين إذ تربصت به ريب المنون أن تنصرَه ومعك أهل الشام؟ قال معاوية: أو ما ترى طلبى لدمه؟ فضحك أبو الطفيل وقال: بلى، ولكنى وإياك كما قال عبيد بن الأبرص:

لا أعرفَنّك بعد الموت تَنْدُبُنِى   وفى حَيَاتِى ما زوَّدْتَنِى زَادِى

فدخل مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحكم، فلما جلسوا نظر إليهم معاوية، ثم قال: أتعرفون هذا الشيخ؟ قالوا:

(¹) الإمامة والسياسة ابن قتيبة ١/١٦٥،١٦٦ .

لا. فقال معاوية: هذا خليلُ عليّ بن أبى طالب، وفارس صفّين، وشاعرُ أهل العراق. هذا أبو الطفيل.

قال سعيد بن العاص. قد عرفناه يا أمير المؤمنين. فما يمنعك منه؟ وشتَمَه القوم،فزجرَهم معاوية، وقال: مَهلاً. فرُبَّ يوم ارتفعَ عن الأسباب. قد ضِقتم به ذرعا. قال: أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل؟ قال: ما أنكرهم من سوء، ولا أعرفهم بخير، وأنشد:

فَإنْ تَكُن العَدَاوَةُ قَدْ أكَنتْ ... فشَرُّ عَدَاوَةِ المَرْءِ السّبَابُ

فقال معاوية: يا أبا الطفيل: ما أبقى لك الدهر مِنْ حُبّ على؟ قال: حُبّ أم موسى، وأشكو إلى الله التقصير. فضحك معاوية، قال: ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سُئلوا عنى ما قالوا هذا.فقال مروان: أجل والله لا نقول الباطل. قال: ثم جهّزه معاوية وألحقه بالكوفة.

* * * * * * *

٧-وفود النابغة الجعدى على معاوية (١)

قال عمر بن شبّة: كان النابغة الجعدى شاعرا مقدما، إلا أنه كان إذا هاجى غُلِب، وقد هاجى أوس بن مغراء، وليلى الأخيلية، وكعب بن جُعيل، فغلبوه وهو أشعر منهم — مرارا، ليس فيهم من يقرُبُ منه.

وكان قد خرج مع عليّ — رضى الله عنه — إلى صفين، فكتب معاوية إلى مروان، فأخذ أهلَ النابغة ومالَه ، فدخل النابغة على معاوية وعنده مروان وعبيد الله بن مروان، فأنشده:

مَن رَاكِبٌ يأتِى ابنَ هِنْدٍ بحَاجَتى ... عَلَى النأيِ والأنباء تنمى وتُجْلَبُ

ويُخْبِرُ عنىّ ما أقولُ ابنَ عامِرٍ ... ونِعْمَ الفتَى يَأوِى إليهِ المُعَصّبُ

فَإنْ تَأخُذُوا أهْلِى وَمَالِى بِظنَّةٍ ... فَإنىّ لِأحرَارِ الرجَالِ مُحَرّبُ

صَبُورٌ علَى مَا يَكْرَهُ المَرْءُ كُلّه ... سِوى الظّلْمِ، إنىّ إنْ ظُلِمْتُ سأغضبُ

(١) خزانة الأدب البغدادى ٣/١٧١،١٧٢.

فالتفت معاوية إلى مروان فقال: ما ترى؟ قال: أرى أن لا تـردّ عليه شيئا. فقال: ما أهونَ عليك أن يقطعَ عليّ عِرضِي، ثـم تَرْويـه العرب. أما والله إن كنتَ لِممن يرويه. اردد عليه كل شئ أخذتـه، ثـم أقحمته سنة، فدخل على ابن الزبير فى المسجد يستجديه ومدحه بأبيـات فأعطاه من بيت المال قلائص سبعا وفرسا رجيلا، وأوقر له الركاب بُرًّا وتمرا وثيابا.

وكان قد وفد على النبى (ص) وأنشده:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى .... القصيدة

* * * * * * * *

٨- قدوم أبى محجن على معاوية (١):

وذكروا أن عبد الله بن أبى محجن الثقفى قدم على معاوية. فقال: يا أمير المؤمنين. إنى أتيتك من عند الغبى الجبان البخيـل ابـن أبـى طالب. فقال معاوية: لله أنت ! أتدرى ما قلت؟ أما قولك الغبى. فوالله لو أنّ ألسُنَ الناس جُمعتْ فجُعِلت لساناً واحدا لكفاها لسانُ على، وأما قولـك إنه جبان، فثكلتك أمك. هل رأيت أحدًا قط بارزه إلا قتله؟ وأما قولك إنه بخيل، فوالله لو كان له بيتان أحدهما مِن تِبر، والآخر مِن تِبن، لأنفذ تبرَه قبل تِبنه.

فقال الثقفى: فعلام تقاتله إذًا؟ قال: على دم عثمان، وعلـى هـذا الخاتَم الذى مَن جعله فى يِده جادت طينتُه، وأطعمَ عياله، وادخرَ لأهلِـه. فضحك الثقفى ثم لَحِقَ بعَلِيّ، فقال: يا أمير المؤمنين، هـب لـى يـدى بجرمى، لا دنيا أصبت ولا آخرة.

فضحك ... ثم قال: أنتَ منها على رأس أمرك، وإنما يأخذ الله العبادَ بأحدِ أمرك.

---

(١) الإمامة والسياسة ـــ ابن قتيبة ١/١٠١ .

٩-وفادة سعيد بن العاصي على معاوية(١)

قدم سعيد بن العاصي على معاوية، فقال: (معاوية) كيف تركت أبا عبد الله؟ فقال (سعيد): منفذا لأمرك، ضابطا لعملك.

فقال له معاوية: إنما هو كصاحب الخبزة، كفى إنضاجها فأكلها.

فقال سعيد: كلا، إنه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاما كوقع النبل سهما لك، وسهما عليك.

قال (معاوية): فما باعد بينه وبينك؟

فقال (سعيد): خفته على شرفي، وخافني على مثله.

قال (معاوية): فأي شئ كان عندك في ذلك؟

فقال (سعيد): أسوءه حاضرا، وأسره غائبا.

قال (معاوية) يا أبا عثمان. تركتنا في هذه الحروب.

قال (سعيد): نعم، تحملت الثقل، وكفيت الحزم، وكنت قريبا لو دعيت لأجبت، ولو أمرت لأطعت.

فقال معاوية: يا أهل الشام هؤلاء قومي، وهذا كلامهم.

* * * * * * * *

١٠-وفادة الأحنف بن قيس في جماعة من أهل العراق(٢):

قال أبو عبيدة، وأبو اليقظان، وأبو الحسن: قدم وفد العراق على معاوية وفيهم الأحنف، فخرج الآذن، فقال: أمير المؤمنين يعزم عليكم ألا يتكلم أحد إلا لنفسه، فلما وصلوا إليه.

---

(١) البيان والتبين ٨٣/٢، ٨٤ (الجاحظ).
(٢) نفسه ٨٧/٢، ٨٨ وفي لسان العرب، مادة: دفف ص١٣٩٦ ط دار المعارف.

قال الأحنف: لولا عزيمة أمير المؤمنين لأخبرته أن دافة[1] دفت ونازلة نزلت، ونائبة نابت، كلهم حاجة إلى معروف أمير المؤمنين وبره.

قال (معاوية): حسبك يا أبا بحر. قد كفيت الشاهد والغائب.

* * * * * * *

١١-وفود أخرى للأحنف بن قيس على معاوية[2]:

حدثنا أبو يعقوب، وراق أبى بكر بن دريد، قال: أخبرنا أحمد بن عمرو. قال: حدثنى أبو عمرو بن محمد عن أبى عبيدة، قال:

دخل الأحنف بن قيس على معاوية (ويزيد بين يديه)، وهو ينظر إليه إعجابا به، فقال: (معاوية) يا أبا بحر. ما تقول فى وفى الولد. فعلم ما أراد فقال: يا أمير المؤمنين: هم عماد ظهورنا، وثمر قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا لمن بعدنا، فكن لهم أرضا ذليلة، وسماء ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك، فيملوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك.

فقال (معاوية): لله درك يا أبا بحر. هم كما وصفت.

* * * * * * *

---

(١) الدافة والدفافة: القوم يجدبون فيمطرون (لسان العرب) و(دفت دافة) أى أتى قوم من أهل البادية قد أقحموا (لسان العرب).

(٢) الأمالى لابن دريد ٤٧/٢ .

١٢- وفد خراسان على معاوية

يقال: إن معاوية قدم عليه وفد من خراسان، وجههم سعيد بن عثمان وطلب سحبان، فلم يوجد عامة النهار، ثم اقتُضِب (انتُزِعَ) من ناحية كان فيها اقتضابا، فدخل عليه، فقال (معاوية): تكلم. فقال (سحبان): انظروا لى عصا تقيم من أودى.

فقال له معاوية: ما تصنع بها؟

فقال (سحبان) : ما كان يصنع موسى عليه الصلاة والسلام وهو يخاطب ربه، وعصاه بيده. فجاءوه بعصا لم يرضها،فقال (سحبان): جيئونى بعصاى. فأخذها ثم قام فتكلم من صلاة الظهر إلى أن فاتت صلاة العصر، ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا تحبس، ولا ابتدأ فى معنى فخرج منه إلا حيث أتمه،ولم يبق منه شئ، ولا سأل عن جنس من الكلام يخطب فيه، فما زالت تلك حاله، وكل عين فى السماطين شاخصة إلى أن أشار له معاوية بيده أنه اسكت.

فأشار سحبان بيده أن دعنى لا تقطع على كلامى.

فقال له معاوية: الصلاة.

فقال (سحبان): هى أملك، ونحن فى صلاة يتبعها تحميد وتمجيد وعظة وتنبيه وتذكير ووعد ووعيد.

فقال له معاوية: أنت أخطب العرب.

فقال سحبان: والعجم والجن والإنس.

١٣- وفادة مسكين الدارمى على معاوية

مسكين الدارمى لما قدم على معاوية أنشده:

إليـــكَ أميـــرَ المؤمنيـــن رحلتها ... تُثِيرُ القَطَا ليلاً وهُـــنَّ هُجُـــودُ

على الطائرِ الميمونِ والجدّ صـــاعد ... لكــل أنـــاسٍ طـــائرٌ وجُـــدُودُ

إذا المنبـــرُ الغـــربى خلـّـى مكانـــه ... فـــإن أمـــيرَ المؤمنيـــنَ يَزيـــدُ

وسأله أن يفرض له، فأبى عليه، وكان لا يفرض إلا لليمن، فخرج من عنده وهو يقول:

أخاك أخاك إن من لا أخاله ....

ولم يزل معاوية كلك حتى كثرت اليمن، وعزت قحطان، وضعفت عدنان، فبلغ معاوية أن رجلا من اليمن قال: هممت أن لا أحل حبوتـــى حتى أخرج كل نزارى بالشام، فعرض من وقته لأربعة آلاف رجل مـــن قيس، فقدم لذلك على معاوية عطارد بن حاجب، فقال له: ما فعل الفتـــى الدارمى الصبيح الوجه، الفصيح اللسان ــ يعنى مسكينا ــ فقال: صـــالح يا أمير المؤمنين.

قال: أَعلِمْه أنى قد فرضتُ له، فله شرف هذا العطاء وهـــو فـــى بلاده، فإن شاء أن يقيم بها أو عندَنا فليفعل، فإن عطاءَه سيأتيه، وبَشّـــرْه بأنى قد فرضتُ لأربعةِ آلافٍ من قومه. فكان معاوية يغزى اليمن فـــى البحر، وتميما فى البر.

١٤- وفود المبايعة ليزيد على معاوية

١- وفود عمرو بن سعيد على معاوية لمبايعة يزيد(١)

لما عقد معاوية البيعة ليزيد، قام الناس يخطبون، فقال لعمرو بن سعيد: قم يا أبا أمية.

فقام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن يزيد بن معاوية أجل تؤمونه، وأمل تؤملونه، إن استضفتم إلى حلمه وسعكم، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدكم، وإن احتجتم إلى ذات يده أغناكم، جذع قارح، سوبق فسبق، وموجد فمجد، وقورع فقرع، وهو خلف أمير المؤمنين، ولا خلف عنه.

فقال معاوية: اجلس، فقد أبلغت.

* * * * * * *

٢- وفود الأحنف مع أهل العراق على معاوية(٢)

قال صاحب زهر الآداب: ومن جميل المحاورات ما رواه المدائني قال: وفد أهل العراق على معاوية رحمه الله، ومعهم زياد وفيهم الأحنف. فقال زياد: يا أمير المؤمنين، أشخَصَتْ إليك أقواماً الرغبةُ وأقعد عنك آخرين العذرُ، فقد جعل الله تعالى فى سعة فضلك ما يجبر به المتخلف، ويكافأ به الشاخص. فقال معاوية: مرحبا بكم يا معشر العرب أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة، لقد جمعتكم الرحم. إن الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم، ثم حفظ عليكم نسبكم، بأن اختار لكم بلادا تجتاز عليها المنازل، حتى صفاكم من الأمم، كما يصفى الفضة البيضاء من

---

(١) زهر الآداب ـ الحصرى ٨٥٧/٢.
(٢) نفسه ٥١/١.

خبثها، فصونوا أخلاقكم، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم، فـــإن الحســـن منكم أحسن لقربكم منه، والقبيح أقبح لبعدكم عنه.

فقال الأحنف: والله يا أمير المؤمنين، ما نعدم منكم قائلا جزيلا([1]) ورأيا أصيلا، ووعدا جميلا، وإن أخاك زيادا لمتبع آثارك فنيا فنســـتمتع الله بالأمير والمأمور، فإنكم كما قال زهير، فإنه ألقـــى علـــى المداحيـــن فصول القول:

وما يكُ مِن خيــرٍ أتَــوْه فإنّمــا تَــوَارثَهُ آبــاءُ آبائِهم قَبْــلُ

وهل يثبت الخَطّيّ([2])إلا وشيجه([3]) وتُغرَسُ إلا فى منابِتِها النّخْلُ

* * * * * *

٣- وفود محمد بن عمرو بن حزم مع بعض أهل المدينة([4]) على معاوية لمبايعة يزيد

ذكر ابن عبد ربه قال:

لما كانت سنة خمس وخمسين، كتب معاوية إلى سائر الأمصـــار أن يفدوا عليه، فوفد من كل مصر قوم، وكان فيمن وفد عليه من المدينـــة محمد بن عمرو بن حزم، فخلا به معاوية، وقال له: ما ترى فـــى بيعـــة يزيد؟

فقال (محمد بن عمرو): يا أمير المؤمنين. ما أصبح اليوم علـــى الأرض أحد هو أحب إلى رشدا من نفسك سوى نفسى، وإن يزيدا أصبح

([1]) جزيلا: عاقلا.

([2]) الخطي نسبة إلى الخط: مرفأ السفن بالبحرين. تنسب إليه الرماح لأنها تباع به لا أنه منبتها.

([3]) الوشيج: شجر الرماح.

([4]) العقد الفريد ـــ ابن عبد ربه ١١١/٤، ١١٢ تحقيق العريان.

غنيا فى المال، وسطا فى الحسب، وإن الله سائل كل راع عـــن رعيتـــه فاتق الله، وانظر من تولى أمة محمد٠

فأخذ معاوية بهر حتى تنفس الصعداء، وذلك فى يوم شات٠

ثم قال: (معاوية):

يا محمد، إنك امرؤ ناصح، قلت برأيك، ولم يكن عليك إلا فـــاك

قال (معاوية): إنه لم يبق إلا ابنى وأبناؤهم٠ فابنى أحب إلى من أبنائهم٠ اخرج عنى٠

ثم جلس معاوية فى أصحابه، وأذن للوفود، فدخلوا عليه وقد تقـدم إلى أصحابه أن يقولوا فى يزيد، فكان أول من تكلم الضحاك بن قيس٠

فقال:

يا أمير المؤمنين، إنه لابد للناس من وال بعدك، والأنفس يُغـــدَى عليها ويُرَاح، وإن الله قال: "كل يوم هو فى شأن"([1]) ولا ندرى ما يختلف به العصران، ويزيد ابن أمير المؤمنين فى حسن معدِنه، وقصدِ ســـيرتهِ من أفضلنا حلما،وأحكمِنا علما، فولّه عهدَك، واجعله لنا بعدَك، فإنـــا قـــد بلونا الجماعة والألفة، فوجدناها أحقن للدماء، وآمن للسبل، وخيرا فـــى العاقبة والآجلة٠

ثم تكلم عمرو بن سعيد فقال:

أيها الناس٠ إن يزيد أمل تأملونه، وأجل تأمنونه، طويـــل البـــاع رحب الذراع، إذا صرتم إلى عدله وسعكم، وإن طلبتم رفده أغناكم، جذع قارح، سوبق فسبق، وموجد فمجد، وقورع فقـــرع، فـــهو خلـــف أمـــير المؤمنين، ولا خلف منه٠

فقال (معاوية): اجلس أبا أمية فلقد أو سعت وأحسنت٠

{وقد سبق ذكر وفادة سعيد على معاوية}٠

([1]) سورة الرحمن ـــ الآية ٢٩ ٠

ثم قام يزيد بن المقنع، فقال:

أمير المؤمنين هذا ــ وأشار إلى معاوية ــ فإن هلــــك فــهذا ــ وأشار إلى يزيد ــ فمن أبى فهذا ــ وأشار إلى سيفه.

فقال معاوية: اجلس، فإنك سيد الخطباء.

* * * * * *

ثم تكلم الأحنف بن قيس. فقال:

يا أمير المؤمنين. أنت أعلم بيزيد فـــي ليلــه ونـــهاره، وســـره وعلانيته ومدخله ومخرجه، فإن كنت تعلمه لله رضا، ولهذه الأمة، فـــلا تشاور الناس فيه، وإن كنت تعلم منه غير ذلك، فلا تزوده الدنيا وأنـــت تذهب إلى الآخرة.

قال: فتفرق الناس، ولم يذكروا إلا كلام الأحنف.

* * * * * * *

قدوم وفد العراق على معاوية وسؤاله لدغفل عن مسائل[1]

حدثنا أبو بكر قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا العتبى قال:قدم وفـــد العــراق على معاوية رضى الله عنه وفيهم دغفل، فقال له معاوية: يا دغفل أخـــبرنى عن ابنى نزار ربيعة ومضر، أيهما كان أعز جاهلية وعالمية؟ فقال: يا أمـــير المؤمنين. مضر بن نزار كان أعز جاهلية وعالمية. قال معاوية: وأى مضـو كان أعز؟ قال: بنوا لنضر بن كنانة. كانوا أكثر العـــرب أمجـــادا، وأرفعـــهم عمادا، وأعظمهم رمادا. قال: فأى بنى كنانة كان أبعدهم عزا؟ قال: بنو مـــلك بن كنانة، كانوا يعلون من ساماهم، ويكفون من نـــاواهم، ويصدقـــون مـــن عاداهم. قال: فمن بعدهم؟ قال: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، كانوا أعز بنيه وأمنعهم، وأجودهم وأنفعهم، قال: ثم من بعدهم؟ قال: بنو بكر بن عبـــد مناة، كان بأسهم مرهوبا، وعدوهم منكوبا، وثأرهم مطلوبا. قال: فـــأخبرنى عن مالك بن عبد مناة بن كنانة، وعن مرة وعامر ابنى عبد مناة. قال: كانوا أشرافا كراما، وليس للقوم أكفاء ولا نظراء. قال: فأخبرنى عن هذيل . قـــال: كانوا قليلى اليأس أهل منعة وبأس ينتصفون من الناس قال : فأخبرنى عـــن بنى أسد. قال: كانوا يطمعون السديف، ويكرمون الضيوف، ويضرمون فـــى الزحوف. قال: فأخبرنى عن هذيل، قال: كانوا قليلا أكياس، أهل منعة وباس، ينتصفون من الناس. قال: فأخبرنى عن بنى ضبة، قال: كانوا جمـــرة مـــن جمرات العرب الأربع، لا يصطلى بنارهم، ولا يقاتون بثأرهم. قال: فـــأخبرنى عن مزينة، قال: كانوا فى الجاهلية أهل منعة. وفى الإسلام أهل دعة. قـــال: فأخبرنى عن تميم. قال: كـــانوا أعـــز العـــرب قديمـــا، وأكثرهـــا عظيمـــا، وأمنعـــها حريمـــا. قـــال: فـــأخبرنى عـــن قيـــس. قـــال: كـــانوا لا يفرحـــون إذا أديلـــوا[2]ولا يجزعـــون إذا ابتلـــوا ولا يبخلـــون إذا

---

(١) ذيل الأمالى ٢٩/٣ ، ٣٠ .

(٢) أديلوا: نصروا على عدوهم .

سئلوا. قال: فأخبرنى عن أشرافهم فى الجاهلية. قال: غطفان بن سـعد، وعامر بن صعصعة، وسليم بن منصور. فأما غطفان فكانوا كراما سادة، وللخميس قادة، وعن البيض ذادة، وأما بنو عامر فكثير سادتهم، مخشـية سطوتهم، ظاهرة نجدتهم، وأما بنو سليم فكانوا يدركون الثار، ويمنعـون الجار، ويعظمون النار. قال: فأخبرنى عن قومك بكر بن وائل واصدقنى قال: كانوا أهل عز قاهر، وشرف ظاهر، ومجد فاخر. قال: فـأخبرنى عن إخوتهم تغلب. قال: كانوا أسودا ترهب، وسماما لا تقرب، وأبطـالا لا تكذب. قال: فأخبرنى كم أديلوا عليكم فى قتلكم كليبا؟ قـال: أربعيـن سنة، لا ننتصف منهم فى موطن نلقاهم فيه حتى كان يوم التحاليق: يـوم الحارث بن عباد بعد قتله ابنه بجير، وكان أرسله فى الصلح بين القـوم فقتله مهلهل، وقال: بؤ بشسع نعل كليب، فقال الغلام: إن رضيت بهذا بنو بكر رضيت. فبلغ الحارث، فقال: نعم القتيل قتيلا إن أصلح الله به بيـن بكر وتغلب وباء بكليب. فقيل له: إنما قال مهلهل مـا قـال. الكلمـة. فتشمر الحارث للحرب، وأمرنا بحلق رءوسـنا أجمعيـن، وهـو يـوم التحاليق، وله خبر طويل. وقال:

قَرِّبا مربطَ الـنعامَة مِنـِّى ... لَقِحَت حربُ وائلٍ عن حيال
لم أكنْ مِن جُنَاتِها عَلِمَ اللـهُ وإنى بِحَرِّهَا اليومَ صَـالِى
قربا مربط النعـامة مـنى ... إن بيعَ الكرامِ بالشِّسْعِ غَالِى

* * * * * * *

فأدلنا عليهم يومئذ، فلم نزل منهم ممتنعين إلى يومنا هذا. قـال: فمن ذهب بذكر ذلك اليوم؟ قال: الحارث بن عباد أسر مهلهلا فى ذلـك اليوم، وقال له: دلنى على مهلهل بن ربيعة. قال: مالى إن دللتك عليـه؟ قال: أطلقك. قال: على الوفاء؟ {قال: نعم} قال له: أنا مهلـهل. قـال: ويحك دلنى على كفء كريم. قال:

امرؤ القيس، وأشار بيده إليه عن قرب، فأطلقه الحارث، وانطلق إلى امرئ القيس فقتله. وبكر كلها صبرت وأبلت فحسن بلاؤها، إلا ما كان من ابني لجيم: حنيفة وعجل، ويشكر بن بكر فإن سعد بن مالك بن ضبيعة جد طرفة بن العبد، هجاهم في ذلك اليوم فقال:

إنّ لجَيماً عَجَزَتْ كلُّها أن يرفِدُوني فارِساً وَاحِدًا
ويشكر العام على خترها لم يسمع الناسُ لهم حامِدًا

وقال فيهم أيضا:

يا بُؤسَ للحربِ التي وضعَتْ أراهط فاستراحوا
إنا وإخوتَنا غدا كثمود حجر يومَ طاحوا
بالمشرفيةِ لا نفر ولا نباح لهم ولن نباحوا
من صدّ عن نيرانِها فأنا ابنُ قيسٍ لا براح

فقال معاوية: أنت والله يا دغفل، أعلم الناسَ قاطبة بأخبار العرب.

وفادات النساء

ولم تقف الوفود على معاوية عند هذا الحد، ولا على الرجال فقط بل يبدو أن النساء قَرّرنَ أن تكون لهن وفود على معاوية — الذى استقبلهن بالتكريم، والجود، مدعما بذلك ملك بنى أمية، غارسا الحب فى القلوب، محاولا إزالةَ ما علِق بهذه القلوب مِن موجدة وشنآن لهذه الدولة ونظامها. فكانت وفود النساء التى تمثلت فيما يلى:

١-**وفود سودة ابنة عمارة** [١]:

عن عامر الشعبى قال:

وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية، على معاوية بن أبى سفيان، فاستأذنت عليه فأذن لها، فلما دخلت سلمت عليه.

فقال لها: كيف أنت يا ابنة الأشتر؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين.

قال لها: أنت القائلة لأخيك.

شَمِّرْ كَفِعْلِ أَبِيكَ يَا بْنَ عِمَارَة ... يَوْمَ الطِّعَانِ وَمُلْتَقَى الْأَقْرَانِ
وَانْصُرْ عَلِياً وَالحُسَيْنَ وَرَهْطَهُ ... وَاقْصِدْ لِهِنْدٍ وَابْنِهَا بِهَوَانِ
إِنَّ الإِمَامَ أَخَا النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... عَلَمُ الهُدَى وَمَنَارَةُ الإِيمَانِ
فَقُدِ الجُيُوشَ وَسِرْ أَمَامَ لِوَائِهِ ... قُدُماً بِأَبْيَضَ صَارِمٍ وَسِنَانِ

قالت: يا أمير المؤمنين. مات الرأس، وبُتر الذَّنَبُ، فدع عنك تذكار ماقد نسى.

قال: هيهات. ليس مثل مقام أخيك يُنسَى.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه.تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢٩٢،٢٩١/١ .
" " " " . تحقيق/ أحمد يسرى عدد١١ مجلد٢ ص٨٠ وما بعدها.

قالت: صدقت والله يا أمير المؤمنين، ما كان أخى خفـــى المقـــام ذليل المكان • ولكن كما قالت الخنساء

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِى رَأْسِهِ نَارُ

وبالله أَسأَلُ يا أمير المؤمنين • إنك للناس سَيِّد، ولأمورهـــم مقلَّـــد والله ُسائلك عما افترض عليك مِن حَقِّنا، ولا تزال تُقدِمُ علينا مَن ينـــهض بعِزك، ويبسط سلطانَك، فيحصدُنا حصادَ السنبل، ويدوسُنا دِياسَ البَقَـــر ويسومُنا الخسيسة، ويسألُنا الجليلة؛ هذا ابن أرطاة قَـــدِم بـــلادى، وقَتَـــل رجالى، وأَخذَ مالى، ولولا الطاعةُ لكانَ فِينا عزٌّ ومَنَعَـــة، فإمـــا عزلتَـــه فشكرناك، وإما لا َفعرفناك •

* * *

فقال معاوية: إياى تهددين بقومك؟ والله لقد هممتُ أن أَرُدَّكِ إليـــه على قتَب أشرس، فينفذ حكمَه فيكِ•

فسكنت، ثم قالت:

صَلَّى الإِلَهُ عَلَى رُوحٍ تَضَمَّنَـــهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ العَدْلُ مَدْفُونَا

قَدْ حَالَفَ الحَقَّ لاَ يَبْغِى بِهِ ثَمَنًا فَصَارَ بِالحَقِّ وَالإِيمَانِ مَقْرُونَا

قال: ومن ذلك؟

قالت: علىٌّ بن أبى طالب، رحمه الله تعالى•

قال: ما أرى عليك منه أثرا!

قالت: بلى، أتيتُه يوماً فى رجُلٍ ولاَّه صدقاتِنا، فكان بيننا وبينه مـــا بين الغَثّ والسمين، فوجدتُه قائمًا يصلِّى، فانفتل من الصلاة، ثم قال برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرْتُه خَبَرَ الرجل، فبكى، ثم رفـــع يديـــه إلـــى السماء، فقال: اللهم إنى لم آمرهم بظُلْمِ خَلقِك، ولا تَرْكِ حَقِّك• ثم أخرج من جيبه قطعة مِن جِراب، فكتب فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِن رَبِّكُمْ، فَأَوْفُوا الكَيْـلَ وَالمِيزَانَ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِـدِين. بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيـظ (١). إذا أتـاك كتابى هذا، فاحتفظ بما فى يديك حتى يأتى من يقبضه منك، والسلام".

فعَزَلَه يا أمير المؤمنين، ما خَزَمه بخزام، ولاختَمه بختام.

فقال معاوية: اكتبوا لها بالإنصاف لها، والعدل عليها.

فقالت: ألِى خاصة، أم لِقومِى عامة؟

قال: وما أنت وغيرك؟

قالت: هى والله إذاً الفحشاء واللؤم، إن لم يكن عدلا شـاملا، وإلا يسعنى ما يسع قومى.

قال: هيهات! لَمظَكُم ابنُ أبى طالب الجرأةَ على السلطان، فبطيئـا ما تُفطَمُون، وغرَّكم قوله:

فَلَوْ كُنْتُ بَوَّاباً عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهمْدَانَ ادْخُلُوا بِسَـلَامِ

وقوله:

نَاديتُ همَدان والأبوابُ مغلقةٌ وَمِثلُ همَدانَ سَنَّى فَتحةَ البَابِ
كَالهندوانِي لمْ تُفلَلْ مَضَارِبهُ وَجْهٌ جَمِيلٌ وَقَلْبٌ غَيْرُ وَجَّابِ

اكتبوا لها بحاجتها.

* * * * * * *

٢-وفود بكارة الهلالية على معاوية: (٢)

عن محمد بن عبد الله الخزاعى عن الشعبى :قال:

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبى سفيان، فأُذِن لها، وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه ـ وكانت امرأة قد أسنت وعَشِـى بصرُهـا

(١) سورة الأعراف الأيتان ٨٥،٨٦ .
(٢) العقد الفريد ت/ العريان، ت/ أحمد يسرى عـدد١٢ مجلـد٢ ص٨٢ ١/٢٩٣ ، جواهر الأدب لأحمد الهاشمى ٢٢٠/١ .

وضعفت قوتها، ترعش بين خادِمَين لها، فسلّمت وجلستْ. فـرد عليـها معاويةُ السلام.

وقال: كيف أنت يا خالة؟

قالت: بخيْر يا أمير المؤمنين.

قال: غيَّرك الدهرُ!

قالت: كذلك هو ذو غِيَرَ، مَن عاشَ كَبِر، ومن مَاتَ قُبِر.

قال عمرو بن العاص: هى والله القائلة يا أمير المؤمنين:

يَا زيدُ دونكَ فَاسْتَسر مِن دَارِنا ... سيفاً حسَاماً فِى التراب دَفِيناً

قَدْ كُنتُ أذخرُه لِيومِ كَرِيهَـــةٍ ... فَاليومَ أبرزَهُ الزَّمَانُ مَصُونا

قال مروان: وهى والله القائلة يا أمير المؤمنين:

أتَرَى ابْنَ هِنْدٍ لِلخِلافَةِ مَالِكـاً ... هَيْهَـــاتَ ذَاكَ وَإِنْ أَرَادَ بَعِيدُ

مَنَّتْكَ نفسُك فى الخَلاءِ ضَلالةً ... أغْرَاكَ عَمْـرو لِلشَّقَا وَسَعِيدُ

قال سعيد بن العاصى: هى والله القائلة:

قَدْ كُنتُ أطمَعُ أنْ أمُـوتَ وَلاَ أرَى ... فَوْقَ المَنَابِرِ مِـنْ أُمَيَّةَ خَاطِبـــا

فَاللهُ أخَّـرَ مُدَتِـــى فَتَطَـــاولَتْ ... حَتىّ رَأيتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَـــائِباً

فِى كُلِّ يَـومٍ لِلزَّمَانِ خَطِيبُهُـــمْ ... بَيْـنَ الجَمِيـعِ لآلِ أحْمَـدَ عَائِباً

ثم سكنوا.

فقالت: يا معاوية. كلامُك أعشى بصرى، وقصّر حُجتى، أنا والله قائلة ما قالوا، وما خفى عليكَ مِنىّ أكثرُ.

فضحك، وقال: ليس يمنعنا ذلك مِن بِرّك. اذكرى حاجتَك.

قالت: أما الآن، فلا.

٣-وفود الزرقاء على معاوية[١]:

حكى عبيد الله بن عمرو الغسانى عن الشعبى قال: حدثنى جماعة من بنى أمية، ممن كان يسمر مع معاوية، قالوا: بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعُتبة والوليد، إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدى بن غالب ابن قيس الهمدانية، وكانت شهدت مع قومها صفين، فقال: أيكم يحفظ كَلَامَها؟

قال بعضهم: نحن نحفظه يا أمير المؤمنين.

قال: أشيروا علىّ فى أمرها.

فقال بعضهم: نشير عليك بقتلها.

قال: بئس الرأى أشرتُم به علىّ. أيحسنُ بمِثلِى أن يُتحدث عنه أنه قتل امرأة بعدما ظفِر بها؟

فكتب إلى عامِلِه بالكوفة أن (يُوفِدَها) إليه مع ثِقَةٍ مِن ذَوِى محارِمِها، وعدة مِن فرسان قومها، وأن يمهد لها وطاءً ليِّنًا، ويسترها بستر خصيف، ويوسع لها فى النفقة.

فأرسل إليها عاملُه، فَأَقْرَأَهَا الكتاب.

فقالت: إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إلىّ، فإنى لا آتيه، وإن كان حَتم فالطاعةُ أولى، فحملها وأحسنَ جهازَها على ما أمر به.

فلما دخلت على معاوية قال: مرحباً وأهلا، قدِمتِ خيرَ مقدم قدمه وافد! كيف حالك؟

قالت: بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة.

قال: كيف كنت فى مسيرك؟

قالت: ربيبة بيت أو طفلا ممهّدا.

---

[١] العقد الفريد ابن عبد ربه ١/٢٩٤، وما بعدها، تحقيق /العريان ت/أحمد يسوى م٢ ع١٢ ص٨٥ ،، أمالى ابن دريد ٢٠١ ــ٢٠٣ .

قال: بذلك أمرناهم. أتدرين فيم بعثت إليك؟

قالت: أنى لى بعلم ما لم أعلم؟

قال: ألست الراكبة الجمل الأحمر، والواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين على القتال، وتوقدين الحرب؟ فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين. مات الرأس، وبتر الذنب، ولم يعد ما ذهب، والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

قال لها معاوية: صدقت، أتحفظين كلامك يومئذ؟

قالت: لا والله، لا أحفظه، ولقد أنسيته.

قال: لكنى أحفظه، لله أبوك حين تقولين: أيها الناس، ارعووا وارجعوا، إنكم قد أصبحتم فى فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيالها فتنة عمياء، صماء بكماء، لا تسمع لناعقها، ولا تنساق لقائدها، إن المصباح لا يضئ فى الشمس، ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشدنا استرشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيها الناس. إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبرا يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص، فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة العدل، ودمغ الحق باطله، فلا يجهلن أحد فيقول: كيف العدل وأنى؟ ليقض الله أمرا كان مفعولا. ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده:

* والصبر خير فى الأمور عواقبا*

إيها فى الحرب قدما   غير ناكصين ولا متشاكسين

ثم قال لها: والله يا زرقاء، لقد شركت عليا فى كل دم سفكه.

قالت: أحسن الله بشارتك، وأدام سلامتك، فمثلك بشر بخير، وسر جليسه.

قال: أو يَسرُّك ذلك؟

قالت: نَعم والله، لقد سُرِرْتُ بالخَبَر، فأنىَّ لى بتصديق الفعل؟

فضحك معاوية وقال: والله لَوَفاؤكم له بعد مَوته، أعجَبُ مِن حُبكم له فى حياته. اذكرى حاجتَك.

قالت: يا أمير المؤمنين. آليتُ على نفسى ألا أسألَ أميرًا أعنتُّ عليه أبدًا، ومثلُك أعطَى عن غير مسألة، وجادَ عن غير طلبة.

قال: صدقتِ! وأَمَرَ لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكسا.

* * * * * * *

٤-وفود أم سنان بنت خيثمة على معاوية(١):

عن سعيد بن حذافة قال: حَبَس مروان بن الحكم — وهو والى المدينة — غلاماً مِن بنى ليث فى جِنَاية جناها، فأتته جدة الغلام أم أبيه وهى أم سنان بنت خثيمة بن خرشة المذحجية، فكلّمته فى الغلام، فأغلظ لها مروان، فخرجت إلى معاوية، فدخلت عليه، فانتسبت، فعرفها.

فقال لها: مرحبا يابنة خيثمة، ما أقدمك أرضَنا، وقد عهدتُك تشتمييننا، وتَحُضّين علينا عدونا؟

قالت: إن لِبَنِى عبدِ مناف أخلاقاً طاهرة، وأعلاما ظاهرة، وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد عِلم، ولا يسفهون بعد حِلم، ولا ينتقمون بعد عفو وإن أولى الناس باتباع ماسن أباؤه لأنت.

قال: صدقت! نحن كذلك، فكيف قولك:

عَزبَ الرقادُ فمقلتِى لا ترقدُ … والليلُ يُصدِرُ بالهموم ويُوردُ

يا آل مَذحِج لا مُقامَ فشمّرُوا … إن العدُوّ لآل أحمدَ يَقصِدُ

هذا علىٌّ كالهلالِ تحُفُّه … وَسط السماءِ مِن الكواكبِ أسعدُ

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه ٢٩٦/١ . تحقيق/ العريان
" " تحقيق/ أحمد يسرى عدد١٢ مجلد٢ ص٨٦

خَيرُ الخَلائقِ وابنُ عمِّ محمـــدٍ إن يَهدِكُم بالنُّورِ منـــه تَهتَــدُوا
مَا زالَ مُذ شَهدَ الحُروبَ مظفَّرًا والنصرُ فوقَ لوائـــه ما يُفقَــدُ

قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين. وأرجو أن تكون لنا خَلفاً بعده.

فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين، وهى القائلة:

إمَّا هلكتَ أبا الحسين فلم تَـزَلْ بالحَـقِّ تُعرفُ هادياً مهدياً
فاذهبْ عليكَ صلاةُ ربِّكَ ما دَعَت فوقَ الغصونِ حمامةٌ قُمريَّا
قد كنتَ بعدَ محمدٍ خَلَفاً كمَـا أوصَـى إليكَ بِنَا فكنتَ وَفِيَّا
فاليوم لا خلفٌ يُؤمَّـلُ بعـدَه هيهـاتَ نأمـلُ بعده إنسيَّا

قالت: يا أمير المؤمنين، لسان نطَق، وقول صدَق؛ ولئن تحقق فيك ما ظننا، فحظُّك الأوفر، والله ما ورَّثك الشنآنُ فى قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فادحَض مقالتَهم، وأبعِدْ منزلتَهم، فإنك إن فعلتَ ذلك، تزددْ من الله قُرْبا، ومن المؤمنين حُبا.

قال: وإنك لتقولين ذلك؟

قالت: سبحان الله! والله ما مثلُك مُدِحَ بباطل، ولا اعتُذِرَ إليه بكذب، وإنك لتعلم ذلك مِن رأينا، وضميرِ قلوبنا. كان-والله-علىٌّ أحبَّ إلينا مِنك، وأنت أحبُّ إلينا مِن غيرِك.

قال: ممن؟

قالت: مِن مروان بن الحكم وسعيدِ بن العاص.

قال: وبمَ استحققتُ ذلك عندك؟

قالت: بسعةِ حِلمك، وكريم عَفوك.

قال: فإنهما يطمعان فى ذلك.

قالت: هما والله من الرأى على ما كنتُ عليه لعثمان بن عفان رحمه الله.

أيها الناس، عليكم أنفسَكُم لا يضرُّكم مَن ضـــلَّ إذا اهتديتُـم. إن الجنة لا يرحلُ عنها من أوطنَهَا، ولا يهرمُ مَنْ سكنَهَا، ولا يَمُـوتُ مـن دخلَها، فابتاعوها بِدَارٍ لا يدومُ نعيمُها، ولا تنصرِم همومُها، وكونوا قوماً مستبصِرين فى دينهم، مستظِهرين بالصبر على طلب حقهم؛ إن معاويـة دلَفَ إليكم بعجم العرب، غُلفِ القلوب، لا يفقهون الإيمان، ولا يدرون ما الحكمة؛ دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلَبّوه، فاللهَ اللهَ عبادَ الله فى دين الله؛ إياكم والتواكل؛ فإن ذلك ينقض عُرَى الإسلام، ويطفـئُ نورَ الحق، هذه بدر الصغرى، والعقبة الأخرى. يا معشـر المـهاجرين والأنصار: امضوا على بصيرتكم، واصبروا على عزيمتِكم، فكأنى بكـم غدًا، ولقد لقيتم أهلَ الشام كالحُمُر الناهقة، تصقع(١) صَقع البقر، وتَروثُ رَوثَ العتاق؛ فكأنى أراكِ على عصاكِ هذه، وقد انكفأ عليك العسـكران يقولون: هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة، فإن كدتِ لتقتُلِيـن أهـلَ الشام لولا قدر الله، وكان أمر الله قدرًا مقدورا، فما حمَلكِ على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين. قال الله تعالى: "يَأيُّهَا الذِيـنَ آمَنُـوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ"(٢) وإن اللبيب إذا كَرِهَ أمرًا لا يُحِب إعادتَه.

قال: صدقت، فاذكرى حاجتَك.

قالت: إنه كانت صدقاتُنَا تُؤخَذُ مِن أغنيائنا فتُرَدّ على فقرائنا، وإنا قد فقَدْنا ذلك، فما يُجْبَرُ لنا كسير، ولا يُنْعَشَ لنا فقير؛ فإن كان ذلك عـن رأيك، فمثلك تنَبّهَ مِن الغَفْلة، وراجَع التوبة، وإن كان عن غيرِ رأيك فمـا مثلُكَ استعان بالخَوَنة، ولا استعملَ الظَّلَمَة.

---

(١) تصقع: تصيح

(٢) الآية ١٠١ سورة المائدة.

قال معاوية: يا هذه، إنه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق وبحور تنفهق.

قالت: يا سبحان الله! والله ما فرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا على غيرنا، وهو علام الغيوب.

قال معاوية: يا أهل العراق. نبهكم على بن أبى طالب، فلم تطاقوا. ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم.

٦-قصة دارمية* الحجونية* مع معاوية *

عن سهل بن أبى سهل التميمى عن أبيه قال: حج معاوية، فسأله عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجون، يقال لها دارمية الحجونية، وكانت سوداء، كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث إليها فجئ بها. فقال: ما حالك يابنة حام؟ فقالت: لست لحام إن عبتنى: أنا امرأة من بنى كنانة. قال: صدقت. أتدرين لم بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: بعثت إليك لأسألك: علام أحببت عليا وأبغضتنى، وواليته وعاديتنى؟ قالت: أو تعفينى؟ قال: لا أعفيك. قالت: أما إذا أبيت، فإنى أحببت عليا على عدله فى الرعية، وقسمه بالسوية: وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق. وواليت عليا على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء، وحبه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك فى القضاء، وحكمك بالهوى.

قال: فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك. قالت: يا هذا. بهند والله كان يضرب المثل فى ذلك لا بى. قال

ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه، فقالت: أما أنا فغير زائغة عــن طاعة، ولا معتلة بكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج فى صدرى

فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير. إن أمير المؤمنين كتب إلى أنه مجازينى بالخير خيرا، وبالشر شرا. فما لى عندك؟ قــالت: يا هذا لا يطمعنك برك بى أن أسرك بباطل، ولا تؤيسك معرفتى بــك أن أقول فيك غير الحق.

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم، ثم أدخلها فى اليوم الرابع، وعنده جلساؤه، فقالت: السلام عليك يـــا أمــير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال لها: وعليك السلام يا أم الخير بحــق ما دعوتنى بهذا الاسم. قالت: يا أمير المؤمنين مه. فإن بديهة الســلطان مدحضة لما يحب علمه، ولكل أجل كتاب. قال: صدقت. فكيف حالك يا خالة؟ وكيف كنت فى مسيرك؟ قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين فى خــير وعافية حتى صرت إليك. فأنا فى مجلس أنيق، عند ملك رفيــق. قــال معاوية: بحسن نيتى ظفرت بكم. قالت: يا أمير المؤمنيــن. يعيــذك الله دحض المقال وما تردى عاقبته.

قال: ليس هذا أردنا. أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بــن ياسر. قالت: لم أكن زورته قبل، ولا رويته بعد، وإنما كانت كلمات نفثها لسانى عند الصدمة، فإن أحببت أن أحدث لك مقالا غير ذلــك فعلــت. فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم أنــا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين. قال: هات. قال: كأنى بها وعليها برد زبيدى كثيف بين النسج، وهى على جمل أرمك وقد أحيط حولــها، وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهى كالفحل يهدر فى شقشقته، تقول:

"يأيها الناس اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شئ عظيم! إن الله قــد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبين السبيل، ورفع العلم، ولم يدعلم فــى

عمياء، مدلهمة: فأين تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنيـــن، أم فرارا من الزحف؟ أم رغبة عن الإسلام؟ أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول:

"ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخبـــاركم"([1])

ثم رفعت رأسها إلى السماء، وهى تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعــف اليقين، وانتشرت الرغبة، وبيدك أزمة القلوب،فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى،واردد الحق إلى أهله،هلم ــ رحمكم الله ــ إلى الإمام العادل، والرضى التقى، والصديق الأكبر، إنها إحن بدريـــة وأحقاد جاهلية، وضغائن أحدية، وثب بها واثب حيـــن الغفلـــة، ليـدرك ثارات بنى عبد شمس. ثم قالت :"قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمــــان لـــهم لعلهم ينتهون"([2]) صبرا يا معشر المهاجرين والأنصار،قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم، فكأنى بكم غدا، ولقد لقيتم أهل الشام كحمــر مستنفرة، فرت من قسورة، لا تدرى أين يسلك بها مـــن فجـــاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بـــالعمى وعما قليل ليصبحن نادمين، حتى تحل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة ولات حين مناص، إنه من ضل ــ والله ــ عن الحق، وقع فى البـــاطل. ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخـــرة فســعوا لها. فالله الله أيها الناس، قبل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظـــهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان، فإلى أين تريدون ــ رحمكم الله ــ عـن ابن عم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصهره وأبى سبطيه، خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصه بسره، وجعله باب مدينته، وأعلـــم بحبه المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين ها هو ذا مفلق الـــــهام، ومكســر

([1]) سورة محمد الآية ٣١ .
([2]) سورة التوبة الآية ٢١ .

الأصنام، صلى والناس مشركون، وأطاع والناس كارهون، فلم يزل فـــي ذلك حتى قتل مبارزى بدر، وأفنى أهل أحد، وهزم الأحزاب، وقتـــل الله به أهل خيبر، وفرق به جمع هوازن، فيالها من وقائع زرعت فى قلـــوب نفاقا،وردة وشقاقا،وزادت المؤمنين إيمانا،وقد اجتهدت فى القول،وبـــالغت فى النصيحة،وبالله التوفيق،والسلام عليكم ورحمة الله

فقال معاوية: يا أم الخير. ما أردت بهذا الكلام إلا قتلـــي، ولـــو قتلتك ما حرجت فى ذلك.

قالت: والله ما يسوءنى أن يجرى قتلى على يدى من يسعدنى الله بشقائه

قال: هيهات يا كثيرة الفضول، ما تقولين فى عثمان بن عفان رحمه الله.

قالت: وما عسيت أن أقول فى عثمان، استخلفه الناس وهـــم بـــه راضون، وقتلوه وهم له كارهون.

قال معاوية: يا أم الخير، هذا أصلك الذى تبنيـــن (فـــى بعـــض الأصول :"ثناؤك الذى تثنين) .

قالت: لكن الله يشهد، وكفى بالله شهيدا، ما أردت بعثمان نقصـــا، ولكن كان سابقا إلى الخير، وإنه لرفيع الدرجة غدا.

قال: فما تقولين فى طلحة بن عبيد الله؟

قالت: وما عسى أن أقول فى طلحة؟ اغتيل فى مأمنه، وأتى مـــن حيث لم يحذر، وقد وعده رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الجنة.

قال: فما تقولين فى الزبير؟ قالت: وما أقول فى ابن عمة رســـول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وحواريه. وقد شهد له رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بالجنة، وقد كان سباقا إلى كل مكرمة فى الإسلام، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية، فإن قريشا تحدثت أنك أحلمهـــا: أن تسعنـــى

٨. وفد أروى بنت عبد المطلب على معاوية رحمه الله ([1])

حكى العباس بن بكار قال: حدثنى عبد الله بن سليمان المدنى وأبو بكر الهذلى، أن أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية، وهى عجوز كبيرة، (وكانت أغلظ الوافدات خطايا) فلما رآها معاوية قال: مرحبا بك وأهلا يا عمة، فكيف كنت بعدنا؟

فقالت: يا بن أخى، لقد كفرت يد النعمة، وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، من غير دين كان منك ولا من أبائك ولا سابقة فى الإسلام، بعد أن كفرتم برسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأتعَسَ اللهُ منكم الجدود، وأضرَعَ منكم الخدود، ورد الحقّ إلى أهله ولو كره المشركون، وكانت كلمتنا هى العليا، ونبينا — صلى الله عليه وسلم — هو المنصور، (على من ناوأه، ولو كره المشركون) فوُلّيتّم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر، فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون، (يذبحون أبناءهم ويستحون نساءهم) ٠

([1]) العقد الفريد ٣٠٣/١ ، ٣٠٤
وأعلام النساء فى عالمى العرب والإسلام — عمر رضا كحالة ٢٨/١ وما بعدها٠ مؤسسة الرسالة — بيروت ط ١٩٨٢/٤م ٠

وكان على بن أبى طالب — رحمه الله — بعد نبينا، بمنزلة هارون من موسى (حيث يقول يابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) فغايتنا الجنة وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة، وأقصرى عن قولك مع ذهاب عقلك، إذ لا تجوز شهادتك وحدك (وغضى طرفك).

قالت: ومن أنت لا أم لك؟

قال: عمرو بن العاص.

فقالت له: وأنت يا بن النابغة تكلم! وأمك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة، وآخذهن لأجرة. أربع على طلعك، واعن بشأن نفسك، فوالله ما أنت من قريش فى اللباب من حسبها، ولا كريم منصبها، ولقد ادعاك خمسة نفر من قريش (كلهم يزعم أنه أبوك) فسئلت أمك عنهم فقالت: كلهم أتانى. فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به.

فقال مروان: أيتها العجوز الضالة، ساخ بصرك مع ذهاب عقلك، فلا تجوز شهادتك، فاقصدى لما جئت له.

فقالت: وأنت أيضا يابن الزرقاء تتكلم! فوالله لأنت إلى أبى سفيان ابن الحارث بن كلدة أشبه منك بالحكم، وإنك لشبهه فى زرقة عينيك وحمرة شعرك، مع قصر قامته، وظاهر دمامته، ولقد رأيت الحكم ماد القامة، ظاهر اللامة، سبط الشعر، وما بينكما من قرابة، إلا كقرابة الفرس من الأتان المقرب، فاسأل أمك عما ذكرت لك، فإنها تخبرك بشأن أبيك إن صدقت.

ثم التفتت إلى معاوية فقالت: والله ما جرأ على هؤلاء غيرك، وإن أمك القائلة فى قتل حمزة رحمة الله عليه:

نحن جزيناكم بيَـوْمِ بـَـدْر والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لى عن عتبة مِن صبر أبى وعمـــى وأخى وصِهرِى
شَفيتَ وحشىّ غليلَ صـــدرى شفيتَ نفـسى وقَضيتَ نذرى
فشكـــرُ وحشِـــى علىّ عمرى حتى ترِمّ أعظــمِى فى قبرى
يـــا بنــت رقّاع عظيــمِ الكفر خَـــزيتِ فـــى بدرٍ وغيرِ بدر
صبـَّحــك اللهُ قبيــلَ الفجــر بالهاشميــين الطّــوالِ الزُّهرِ
بكــل قطـّـاع حســـام يفـــرِى حمـــزةُ لَيثى وعلـــىُّ صَقرِى
إذا رامَ شبيـــبُ وأبُوك غدْرِى أعطيت وحشى ضميرَ الصدرِ
هتــك وحشى حجــابَ الستــرِ مَــا لِلبغايَــا بعدَها مِن فَخْرِ

فقال معاوية لمروان وعمرو: ويلكما! أنتمـــا عرضتمـــانى لـــها وأسمعتمانى ما أكره.

ثم قال لها: يا عمة. اقصدى حاجتك، ودعـــى عنـــك أســـاطير النساء.

قالت: تأمر لى بألفى دينار، وألفى دينار، وألفى دينار.

قال: ما تصنعين يا عمة بألفى دينار؟

قالت: اشترى بها عينا خرخارة، فى أرض خوارة، تكــون لولــد الحارث بن عبد المطلب.

قال: نِعمَ الموضعُ وضعتِها. فما تصنعيـــن بـــألفى دينـــار؟ (أى الثانية).

قالت: أزوِّجُ بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم.

قال: نِعم الموضعُ وضعتِها. فما تصنعيـــن بـــألفى دينـــار؟ (أى الثالثة).

قالت: أستعين بها على عسر المدينة، وزيادة بيت الله الحرام.

قال: نِعمَ الموضعُ وضعتها، هى لك نعم وكرامة.

ثم قال: أو والله لو كان على ما أمر لك بها.

قالت: صدقت. إن عليا أدى الأمانة، وعمل بأمر الله، وأخذ به وأنت ضيعت أمانتك، وخنت الله فى ماله، فأعطيت مال الله من لا يستحقه، وقد فرض الله فى كتابه الحقوق لأهلها، وبيّنها، فلم تأخذ بها ودعانا على إلى أخذ حقنا الذى فرض الله لنا، فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها، وما سألتك مالك شيئا فتمن به، إنما سألتك من حقنا ولا نرى أخذ شئ غير حقنا، أتذكر عليا فض الله فاك، وأجهد بلاءك. ثم علا بكاؤها، وقالت:

ألاَ يَا عَيْنُ وَيْحَكِ أَسْعِدِينَا ... ألاَ وَابْكِى أميرَ المؤمنينا

رُزِينا خيرَ مَن ركبَ المطايا ... وفارسَها ومَن رَكبَ السفينا

وَمَن لبس النعالَ أو احْتَذَاهَا ... ومَنْ قَرَأَ المثانىَ والمِئِينَا

إذا استقبلْتَ وجهَ أبى حُسينٍ ... رأيتَ البدرَ راعَ الناظرينَا

وَلَا واللهِ لا أنسَى عليًّا ... وحُسنَ صلاتِه فى الرَّاكِعِينَا

أفِى الشهرِ الحرامِ فجعتُمُونَا ... بخَيرِ الناسِ طُرًّا أَجْمَعِينَا

فأمر معاوية لها بستة آلاف دينار، وقال لها: يا عمة. أنفقى هذه فيما تحبين، فإذا احتجت فاكتبى إلى ابن أخيك يُحسِن صفدك ومعونتك إن شاء الله.

وفى رواية:

فقال معاوية: عفا الله عما سلف يا خالة. هاتى حاجتك.

قالت: ما لى إليك حاجة، وخرجت عنه.

فقال معاوية لأصحابه: والله لو كلمها من فى مجلسى جميعا لأجابت كل واحد بغير ما تجيب الآخر، وإن نساء بنى هاشم لأفصح من رجال غيرهم، وبعث لها قبل رحيلها فأكرمها، وعادت إلى المدينة.

٩- وفادة ليلى الأخيلية على معاوية(١):

قال بعض الرواة: بينا معاوية، إذ رأى ركبا، فقال لبعض شرطه: ائتنى به، وإياك أن تروعه، فأتاه، فقال: أجب أمير المؤمنين.

فقال: إياه أردت. فلما دنا الركب حدر لثامه، فإذا ليلى الأخيلية. فأنشأت تقول:

مُعَــاوِىَ لم أكدْ آتيك تَهْوِى ... برَحلِى نحو سَاحتك الرِّكاب

تَجوبُ الأرضَ نحوك ما تأتى ... إذا ما الأكم قنَّعَهَا السَّــرَابُ

وكنت المُرتَجَى وبك استغاثت ... لتنعِشَهَا إذا بَخِلَ السَّحَــابُ

قال: فقال (معاوية): ما حاجتك؟

قالت: ليس مثلى بطلب إلى مثلك حاجة، فتخير أنت. فأعطاهـــا خمسين من الإبل، ثم قال: أخبرينى عن مضر.

قالت: فاخر بمضر، وحارب بقيس، وكاثر بتميم، وناظر بأسد.

فقال: ويحك يا ليلى! أكما يقول الناس كان توبة؟

قالت: يا أمير المؤمنين، ليس كل الناس يقول حقا. الناس شـــجرة بغى يحسدون النعم حيث كانت، وعلى من كانت. كان يا أمير المؤمنيـــن سبط البنان، حديد اللسان، شجى الأقران، كريم المخبر، عفيف المـــئزر، جميل المنظر: وكان كما قلت ولم أتعد الحق فيه.

بَعيدُ الثَّرَى لا يَبلغُ القرمُ قعرَه ... ألدّ(٢) ملدَ(٣) يغلبُ الحقّ بَاطِله

فقال معاوية: ويحك يا ليلى! يزعم الناس أنه كان عاهرا خاربا.

فقالت: (من ساعتها)

معاذَ إلهى قد كانَ والله تُوبَة ... جوادًا على العلاّتِ جَمًّا(٤) نَوافِلُه

---

(١) زهر الآداب (الحصرى) ٢/٩٣٢.
(٢) الألد: الخصم الشحيح الذى لا يزيغ إلى الحق.
(٣) ملد: الشباب والنعمة. والملد أيضا: الغول.
(٤) الجم والجمة: كل عين فيها ماء حار ينبع، يستشفى بها الأعلاء.

وفد أهل خراسان إلى طلحة الطلحات(١)

وقال أبو بكر بن دريد: أخبرنا البكر بن سعيد عن محمد بن عباد قال: ذكروا أن وفدا من أهل المدينة خرجوا إلى خراسان، إلى طلحة الطلحات، فلما صاروا فى بعض البوادى رفعت لهم خيمة خفية، فمضوا وقد أجنهم الليل، فإذا هم بعجوز ليس عندها من يحل لها، ولا يرحل عنها، وإلى جنب كسر خيمتها عنيزة، فقالوا لها: هل من منزل فننزل؟ فقالت: إى ها والله، على الرحب والسعة والماء السابغ فنزلوا.فإذا ليس بقربها ولد ولا أخ ولا بعل. فقالت: ليقم أحدكم إلى هذه العنيزة فليذبحها. فقالوا: إذن تهلكى، والله أيتها العجوز، إن عندنا من الطعام لبلاغا، ولا حاجة لنا إلى عنيزتك، فقالت: أنتم أضياف، وأنا المنزول بها، ولولا أنى امرأة لذبحتها، فقام أحدهم متعجبا منها فذبح العنز، فاتخذت لهم طعاما، وقربته إليهم،فلما أصبحوا غدتهم ببقيتها، ثم قالت: أين تريدون؟ قالوا: طلحة الطلحات بخراسان. فقالت: إذن والله تأتون سيدا ماجدا صهميما(٢)، غير وخش(٣) ولا كزوم(٤) هل أنتم مبلغوه كتابا إن دفعته إليكم؟ فضحكوا.

فقالوا: نفعل وكرامة. فدفعت إليهم كتابا على قطعة جراب عندها.

فلما قدموا على طلحة، جعل يسألهم عما خلفوا، وما رأوا فى طريقهم فذكروا العجوز، وقالوا: نخبر الأمير عن عجب رأيناه. وأخبروه بقصة العجوز وصنيعها وقولتها فيه، ثم قالوا: ولها عندنا كتاب إليك، ودفعوه إليه.

---

(١) أمالى ابن دريد ٧٢، ٧٣، ٧٤ تحقيق/ السيد مصطفى السنوسى.
(٢) الصهميم: السيد الشريف.
(٣) الوخش: الرذل.
(٤) الكزوم: البخيل.

فلما قرأ الكتاب ضحك، وقال: لحاها الله من عجوز، ما أحمقــها! تكتب إلى من أقصى الحجاز تسألني من جبن خراسان. ولم يدع للوفـــد حاجة إلا قضاها. فلما أرادوا الخروج، قال: هل أنتم مبلغوها الجبن الذى سألت؟ قالوا: نعم. وقد كان أمر بجنبتيـــن عظيمتيـــن، فـأمر بنقبـــهما وملأ هما دنانير وسوى عليهما، ثم قال: بلغوها الجنبين.

فلما قدموا عليها نزلوا، قالوا لها: ويحك. كتبت إلى مثـــل طلحـــة الطلحات تستطعمينه جبن خراسان؟ قالت: نعم، وقد بعث إلىّ بشئ؟ قالوا: نعم، وأخرجوا الجنبين، فكسرتهما، فتناثرت الدنانير منهما، ثـــم قـــالت: أمثلى يسأل طلحة جبنا؟ ثم قالت: اقرأ عليكم كتابى إليه؟ قالوا: نعم، فـإذا فى كتابها.

يأيها المَـــائِحُ دلْـــوى دُونَكَـــا
إنى رأيتُ النـــاسَ يَحمدونكَـــا
يُثْنـــُون خـــيرًا ويمجدونكـــــا

ثم قالت: أفأقرأ عليكم جوابه؟ قالوا: نعم، فإذا جوابه:

إنا مَلأنَاهَـــا تَفِيـــضُ فَيْضَـــا
فَلَنَ تَخَافِى مَا حَيِيتِ غَيْضَـــا
خُذِى لكِ الجُبْنَ، وعُودِى أَيْضَا

وفود ليلى الأخيلية على الحجاج بن يوسف(١):

وحدث محمد بن القاسم الأنبارى عن المدائنى عن مولى لعنبسة ابن سعيد بن العاص قال: كنت أدخل مع عنبسة إذا دخل على الحجاج. فدخل يوما ودخلت معه، وليس عند الحجاج أحد غير عنبسة فقعدت فجيء الحجاج بطبق رطب، فأخذ الخادم منه شيئا فجاءني به، ثم جيء بطبق آخر فأتانى الخادم منه بشيء، ثم جيء بطبق آخر، حتى كثرت الأطباق، وجعل لا يأتون بشئ إلا جاءنى منه بشيء، حتى ظننت أن ما بين يدى أكثر مما عندهم(٢).

ثم جاء الحاجب فقال: امرأة بالباب. فقال الحجاج: أدخلها، فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض فجاءت حتى قعدت بين يديه، فنظرت فإذا امرأة حسنة الخلق، ومعها جاريتان لها، فإذا هى ليلى الأخيلية. فسألها الحجاج عن نسبها، فانتسبت له، فقال لها: يا ليلى ما الذى أتى بك؟ قالت: إخلاف النجوم، وقلة الغيوم وكَلَب البرد، وشدة الجهد. وكنتَ لنا بعد الله الرفد. فقال لها: صفى لنا الفجاج. فقالت: الفجاج مغبرّة، والأرض مقشعرّة، والمبرك معتل، وذو العيال مختل والهالك للقل، والناس مسنتون، رحمة الله يرجون، قد أصابتنا سنون مجحفة مبلطة، لم تدع لنا هبعا ولا ربعا، ولا عافطة ولا نافطة، أذهبت الأموال، ومزقت الرجال، وأهلكت العيال، ثم قالت: إنى قلت فى الأمير قولا. قال: هاتى، فأنشأت تقول:

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان جـ٢ ٤٧ـ٥٠ .
(٢) العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ٢٩٣/١ تحقيق/ العريان.
و زهر الآداب ـ الحصرى ٩٣٢/٢

أحجاجُ لا يفلل سلاحُك إنما الـ ... منايا بكفّ اللهِ حيثُ يراهَا
أحجاجُ لا تُعطِ العداةَ مناهم ... ولا الله يعطى للعداةِ مُنَاهَا
إذا نَزلَ الحجّاجُ أرضًا مرِيضة ... تتبّعَ أقصَى دائِها فشَفَاهَا
شفاها مِن الداءِ العضالِ الذى بها ... غلامٌ إذاَ هزَّ القناةَ سقَاهَا
سقاها فروّاهَا بشربٍ سجالُه ... دماءُ رجالٍ حيث مالَ حشَاهَا
إذا سمِعَ الحجاجُ ذِكرَ كتِيبةٍ ... أعدَّ لها قبلَ النزولِ قِرَاهَا
أعدَّ لهَا مسمومةً فارسيّةً ... بأيدِى رجالٍ يحلبون صرَاهَا
فما ولدُ الأبكارِ والعون مثلَه ... ببحرٍ ولا أرضٍ يَجفُّ ثَرَاهَا

قال: فلما قالت هذا البيت قال الحجاج: قاتلها الله ما أصاب صفتى شاعر منذ دخلت العراق غيرها، ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد، فقال: والله إنى لأعد لأمر عسى أن لا يكون أبدا، ثم التفت إليها فقال: حسبك. قالت: إنى قد قلت أكثر من هذا، قال: حسبك ويحك حسبك – ثم قال: يا غلام، اذهب إلى فلان، فقل له: اقطع لسانها، فذهب بها، فقال له: يقول لك الأمير اقطع لسانها . قال: فأمر بإحضار الحجام، فالتفتت إليه فقالت: ثكلتك أمك، أما سمعت ما قال، إنما أمرك أن تقطع لسانى بالصلة، فبعث إليه يستثبته، فاستشاط الحجاج غضبا، وهم يقطع لسانه وقال له: ارددها . فلما دخلت عليه قالت: كاد (وأمانة الله) يقطع مقولى ثم أنشأت تقول:

حجّاجُ أنت الذى ما فوقَه أحَد ... إلا الخليفةُ والمستغفَرُ الصمَدُ
حجاجُ أنتَ شهابُ الحربِ إنْ لَقِحَت ... وأنتَ للناسِ نُورٌ فى الدجَى يقدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال: أتدرون مَن هذه؟ قالوا: لا والله أيها الأمير. إنا لم نرقط أفصح لسانا، ولا أحسن محـــاورة، ولا أملـــح وجها، ولا أَرْصَنَ شعرا منها، فقال: هذه ليلى الأخيلية، التى مات توبـــة الخفاجى من حبها. ثم التفت إليها، فقال أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيك توبة، قالت نعم أيها الأمير، هو الذى يقول:

وهل تبكِيَنْ ليلى إذا مِتُّ قبلَهَـــا ... وقـــامَ علَى قبرى النساءُ النَّوائِحُ

كما لو أصاب الموتُ ليلى بكيتُهـــا ... وجادَلَهـــا دمـْـعٌ مِن العَينِ سَافِحُ

وأُغبَطُ مِن ليلى بمـــا لا أنَالـُـــه ... بلــى كلّ ما قرّت به العينُ طَائِحُ

ولو أنّ ليلى الأخيليـــة سلّمَـــتْ ... علـــىَّ ودُونِى جَنْـدَلٌ وصَفَائِحُ

لَسَلَّمْتُ تسليمَ البشَـــاشَةِ أَوْزَقَـــا ... إليهَا صَدًى مِن جانبِ القَبرِ صَائِحُ

ثم قال لها: سلى يا ليلى تُعطَىْ. قالت: أَعـــطِ، فمثلُـك أعطـــى فأحسَنَ. قال: لك عشرون. قالت: زِدْ، فمثلُك زادَ فأجمَل. قـــال: لـــك أربعون. قالت: زِدْ، فمثلُكَ زادَ فأكمَل، قال: لكِ ثمـــانون. قـــالت: زِد، فمثلُك زاد فتَمّم. قال: لكِ مائة. واعلمى أنها غنم. قالت: معاذَ الله أيـــها الأمير. أنت أجودُ جودًا، وأَمْجَدُ مَجْدًا، وأَوْرَى زَنـْـدًا مِـــنْ أَنْ تجعلـــها غَنَما. قال: فما هِىَ ويحك يا ليلى؟ قالت: مائةٌ مِن الإبل برُعَاتِها، فـــأمرَ لها بها، ثم قال: ألكِ حاجةٌ بعدَها؟ قالت: يُدْفَعُ إلىّ النابغَةُ الجَعْدِىّ، قـــال: قد فعلت، وقد كانت تهجوه ويهجوها، فبلغ النابغةَ ذلك، فخــــرجَ هاربـًـا عائذًا بعبدِ الملك، فاتبعتهْ إلى الشام، فهربَ إلى قتيبةَ بنِ مسلم بخراســـان فاتبعتْه على البريد بكتاب الحجّاج إلى قتيبة بقوس.ويقال بحلوان.

وفد اليمانية يذهب إلى يزيد بن معاوية[1]

بعث ابن مفرغ رجلا من بنى الحارث بن كعب، فقام على سور حمص، فنادى بأعلى صوته الحصين بن نمير — وكان والى حمص — بهذه الأبيات، وكان عظيم الجبهة:

أَبلِغْ لَدَيكَ بنى قحطانَ قاطبةً ... عَضّتْ بأيْرِ أبيها سَادَةُ اليَمَنِ
أَمْسَى دَعِىُّ زِيَادٍ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ ... يا لَلْعَجَائِب يَلْهو بابنِ ذِى يَزَنِ!
وَالحِمْيَرِىُّ طَرِيحٌ وَسْطَ مَزْبَلَةٍ ... هَذَا لَعَمْرُكُمُ غَبْنٌ مِنَ الغَبَنِ
وَالأَجْبَهُ ابنُ نُمَيرٍ فوقَ مَفْرَشِهِ ... يَدْنو إلَى أَحْوَزِ العَيْنَيْنِ ذِى غَنَنَ
قُومُوا فَقُولُوا: أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَنَا ... حَقٌّ عَلَيْكَ وَمَنْ لَيْسَ كَالْمِنَنِ
فَاكْفُفْ دَعِىَّ زِيَادٍ عَنْ أَكَارِمِنَا ... مَاذَا يُرِيدُ عَلَى الأَحْقَادِ وَالإِحَنِ

فاجتمعت اليمانية إلى حصن، فعيروه بما قاله ابن مفرغ، فقال الحصين: ليس لى رأى دون يزيد بن أسد، ومخرمة بن شرحبيل، فأرسل إليهما، فاجتمعوا فى منزل الحصين، فقال لهما الحصين: اسمعا ما أهدى إلى شاعركم، وقاله فى أخيكم — يعنى نفسه — وأنشدهم، فقال يزيد بن أسد: قد جئتكم بأعظم من هذا، وهو قوله:

وما كنت حجاما ولكن أحلنى ... بمنزلة الحجام نأبى عن الأصل

فقال الحصين: والله لقد أساء إلينا أمير المؤمنين فى صاحبنا مرتين، إحداهما أنه هرب إليه فلم يجره، وأخرى أنه أمر بعذابه غير مراقب لنا فيه. وقال يزيد بن أسد: إنى لا أظن أن طاعتنا ستفسد ويمحوها ما فعل بابن مفرغ، ولقد تطلع من نفس الشئ، للموت أحب إلى

---

(١) الأغانى لأبى الفرج ١٨/ ٢٧٤ وما بعدها دار الكتب.

منه — وقال مخرمة بن شرحبيل: أيها الرجلان، اعقلا، فإنه لا معاوية لكما، واعرفا أن صاحبكما لا تقدح فيه الغلظة، فاقصدا التضرع، فركب القوم إلى دمشق وقدموا على يزيد بن معاوية، وقد سبقهم الرجل، فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على درج مسجد دمشق، فثارت اليمانية وتكلموا، ومشى بعضهم إلى بعض، وقدم وفد القرشيين فى أمره مع طلحة الطلحات، فسبقوا القرشيين، ودخلوا على يزيد بن معاوية، فتكلم الحصين ابن نمير، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم، وقال: يا أمير المؤمنين، إن الذى أتاه ابن زياد إلى صاحبنا، لا قرار عليه، وقد سامنا عبيد الله وعباد خطة خسف، وقلدانا قلادة عار، فأنصف كريمنا من صاحبه، فوالله لئن قدرنا لنعفون، ولئن ظلمنا لننتصرن. وقال يزيد بن أسد: يا أمير المؤمنين، إنا لو رضينا بمثلة ابن زياد بصاحبنا وعظيم ما انتهك منه، لم يرض الله عز ذكره بذلك. ولئن تقربنا إليك بما يسخط الله ليباعدننا الله منك، وإن يمانيتك قد نفرت لصاحبها نفرة طار غرابها، وما أدرى متى يقع، وكل نائرة تقدح فى الملك — وإن صغرت — لم يؤمن أن تكبر، وإطفاؤها خير من إضرامها لاسيما إذا كانت فى أنف لا يجدع، ويد لا تقطع، فأنصفنا من ابن زياد.

وقال مخرمة بن شرحبيل، وكان متألها، عظيم الطاعة فى أهل اليمن: إنه لابد تحجزك عن هواك، ولو مثلت بأخينا، وتوليت ذلك منه بنفسك، لم يقم فيه قائم، ولم يعاتبك فيه معاتب، ولكن ابنى زياد استخفانا بما يثقل عليك من حقنا. وتهاونا بما تكرمه منا، وأنت بيننا وبين الله، ونحن بينك وبين الناس، فأنصفنا من صاحبيك، ولينفعنا بلاؤنا عندك.

فقال يزيد: إن صاحبكم أتى عظيما، نفى زيادا من أبى سفيان ونفى عبادا وعبيد الله من زياد، وقلدهم طوق الحمامة، وما شجعه على

ذلك إلا نسبه فيكم، وحلفه فى قريش، فأما إذا بلغ الأمر، وأشفى بكم على ما أشفى فهو لكم وعلى رضاكم٠

قال: وانتهى القرشيون إلى الحاجب، فاستأذن لهم، وقال لليمانيين: قد أتتكم برى الذهب من أهل العراق، فدخلوا وسلموا والغضب يتبين فى وجوههم، فظن يزيد الظنون، وقال لهم: ما لكم؟ انفتق فتق، أو حدث حدث فيكم؟

قالوا: لا، فسكن٠

فقال طلحة الطلحات:

يا أمير المؤمنين، أما كفى العرب ما لقيت من زياد، حتى استعملت عليها ولده، يستكثرون لك أحقادها، ويبغضونك إليها٠ إن عبيد الله وأخاه أتيا إلى ابن مفرغ ما قد بلغك، فأنصفنا منهما إنصافا تعلم العرب أن لنا منك خلفا من أبيك، فوالله، لقد خبأ لك فعلهما خبئا عند أهل اليمن لا نحمده لك، ولا تحمده لنفسك٠ وتكلم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال:

يا أمير المؤمنين٠ إن زيادا ربى فى شر حجر، ونشأ فى أخبث نشء، فأثبتم نصابه فى قريش، وحملتموه على رقاب الناس، فوثب ابناه على أخينا وحليفنا وحليفك، ففعلا به الأفاعيل التى بلغتك، وقد غضبت له قريش والحجاز ويمن الشام، ممن لا أحب والله لك غضبه، فأنصفنا من ابنى زياد٠

وتكلم أخوه أمية بنحو مما تكلم أخوه، وقال:

والله يا أمير المؤمنين لا أحط رحلى، ولا أخلع ثياب سفرى، أو تنصفنا من ابنى زياد، أو تعلم العرب أنك قد قطعت أرحامنا، ووصلت ابنى زياد بقطعنا، وحكمت بغير الحق لهما علينا٠

وقال ابن قعمر: يا أمير المؤمنين: إن ابن مفرغ طالما ناضل عن عرضك وعرض أبيك وأعراض قومك، ورمى عن جمرة أهلك، وقد أتى بنو زياد فيه ما لو كان معاوية حيا لم يرض به، وهذا رجل له شرف فى قومه، وقد نفروا له نفرة لها ما بعدها، فأعتبهم وأنصف الرجل، ولا تؤثر مرضاة ابنى زياد على مرضاة الله عز وجل .

فقال يزيد: مرحبا بكم وأهلا، والله لو أصابه خالد ابنى بما ذكرتم لأنصفته منه، ولو رحلتم فى جميع ما تحيط به العراق لوهبته لكم، وما عندى إلا إنصاف المظلوم، ولكن صاحبكم أسرف على القوم، وكتب يزيد ببناء داره، ورد ماله، وتخلية سبيله، وألا إمرة لأحد من بنى زياد عليه، وقال:لولا أن فى القود بعدما جرى منه فسادا فى الملك، لأقدته من عباد.

وسرح يزيد رجلا من حمير يقال له خمخام، وكتب معه إلى عباد ابن زياد: نفسك نفسك، وأن تسقط من ابن مفرغ شعرة، فأقيدك والله به ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحد غيرى عليه. فجاء خمخام حتى انتزعه جهارا من الحبس بمحضر الناس وأخرجه.

قالوا: فلما دخل على يزيد قال له: يا أمير المؤمنين. اختر منى خصلة من ثلاث خصال، فى كلها لى فرج. إما أن تقيدنى من ابن زياد وإما أن تخلى بينى وبينه، وإما أن تقدمنى فتضرب عنقى.

فقال له يزيد: قبح الله ما اخترته وخيرتنيه، أما القود من ابن زياد فما كنت لأقيدك من عامل كان عليك، ظلمته وشتمت عرضه وعرضى معك، وأما التخلية بينك وبينه فلا، ولا كرامة، ما كنت لأخلى بينك وبين أهلى تقطع أعراضهم، وأما ضرب عنقك، فما كنت لأضرب عنق مسلم من غير أن يستحق ذلك، ولكنى أفعل ما هو خير لك مما اخترته لنفسك أعطيك ديتك، فإنهم قد عرضوك للقتل، واكفف عن ولد زياد، فلا يبلغنى أنك ذكرتهم، وانزل أى البلاد شئت، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وفود عبد الله بن همام السلولى
على يزيد بن معاوية(١)

لما توفى معاوية — رحمه الله — واستخلف يزيد ابنـــه، اجتمـــع الناس على بابه، ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية، حتـــى أتـــى عبدالله بن همام السلولى فدخل عليه فقال:

يا أمير المؤمنين، آجرَك اللهُ على الرَّزيّة، وباركَ لكَ فى العَطيـــة وأعانَكَ على الرعيّة، فلقد رُزِئْتَ عَظيماً، وأُعْطِيتَ جَسِيماً، فَاشـــكُرِ اللهَ على ما أُعْطِيت، واصْبِرْ له على ما رُزِئْت، فقد فَقَدتَ خليفةَ الله، ومُنِحْتَ خِلافَةَ الله، ففارقتَ جَليلاً، وذَهبتَ جَزيلاً، إذ قضَى معاويةُ نحبَه، فَغَفَـــرَ اللهُ ذنبَه.

وقد أُعطِيتَ بعدَه الرِّيَاسَة، ووُلِّيتَ السياسَة، فـــأوْرَدَك اللهُ مـــوارِدَ السرور، ووفَّقَكَ لصَالحِ الأمُور، وأنشدَه:

اصْبِرْ يزيدُ، فقدْ فارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ ... وَاشْكُرْ حبَاءَ(٢)الذى بالمُلْكِ اصْطَفَاكَا

لَارزْءَ أصبحَ فى الأقوَامِ نعلَمُهُ ... كمَـا رُزِئــتَ، وَلاَ عُقْبَــى كَعُقْبَاكَـا

أَصبَحتَ وَالِى أمّ الناس كلّهـــم ... فأنْــتَ ترعـــاهُـــم، واللهُ يـــرعَاكَـا

وَفِى مُعاوِيَةَ البَاقِى لنـــا خَلَفٌ ... إِذَا نُعِيــتَ، ولا نَسْمَـــع بِمَنْعَاكَـــا

---

(١) البيان والتبين — الجاحظ — ١٩١/٢.
و/ زهر الآداب — الحصرى — ٥٣/١، ٥٤.
(٢) حباء: عطاء.

وفود الشجاء إلى زياد

قال أبو محلم: أخبرنى معتمر بن سليمان التميمى. قال: (١)
لما جىء بالشجاء — وكانت امرأة من الخوارج — إلى زياد، قـال لها: ما تقولين فى أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه؟ قالت: ماذا أقول فى رجل أنت خطيئة من خطاياه. فقال بعض جلسـائه: أيـها الأمـير، أحرقها بالنار. وقال بعضهم: اقطع يديها ورجليها، وقال بعضهم: اسـمل عينها.

فضحكت حتى استلقت، وقالت: عليكم لعنة الله. فقال لها زياد: مم تضحكين؟ قالت: كان جلساء فرعون خيرا من هؤلاء. قال لـها: ولـم؟ قالت: استشارهم فى موسى، فقالوا: أرجه وأخاه. وهؤلاء يقولون اقطـع يديها ورجليها واقتلها. فضحك منها وخلى سبيلها.

* * * * * *

١–وفادة الهيثم بن الأسود علي عبد الملك بن مروان(٢)

قدم الهيثم بن الأسود بن العريان (وكان خطيبـا شـاعرا) علـى عبدالملك بن مروان، فقال: كيف تجدك؟

قال: أجدنى قدا بيض منى ما كنت أحب أن يسود، واسود منى ما كنت أحب أن يبيض، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين، ولان منى مـا كنت أحب أن يشتد.

ثم أنشد:

اسْمَـعْ أُنبِّئْـكَ بآيـَاتِ الكِبـَرْ نَوْمُ العشَا وسُعَـالٌ بالسَّحَـرْ
وَقِلَّةُ النومِ إذَا الليـلُ اعْتَكَـرْ وقِلَّةُ الطعْـمِ إذَا الزَّادُ حَضَـرْ

---

(١) نوادر الأمالى ١٩٤ .
(٢) البيان والتبيين — الجاحظ — ٦٩/٢، ٧٠ .

وَسُرْعَةُ الطَّرْفِ، وَتَحْمِيجُ النَّظَرْ   وَتركِى الحسناءَ فِى قُبْلِ الطُّهْرْ
وَحَــذَرًا أَزْدَادُهُ إِلَــى حَــــذَرْ   وَالنَّاسُ يَبْلَوْنَ كَمَا يُبْلَى الشَّجَرْ

* * * * * * * *

٢-وفود رجل من بني ضنة على عبد الملك (ومدحه له) (١)

قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا الرياشى، قال: حدثنا مسعود بـــن بشر، عن رجل من ولد عمرو بن مرة الجهنى — ولعمرو بن مرة صحبة قال: قال رجل من ضنة، أو قال وفد رجل من بنى ضنة — وبنو ضنـــة من سعد هذيم — وفى العرب ضنان، ضنة هذه، وضنة بن عبـــدالله بـــن نمير.

قال: فوفد هذا الضنى إلى عبد الملك بن مروان:

فقال:

وَاللهِ مَا نَدْرِى إِذَا مَــا فَاتَنَــا   طَلَــبٌ إِلَيْـكَ مَنِ الَّذِى نَتَطَلَّبُ
فَلَقَدْ ضَرَبْنَا فِى البِلَادِ فَلَمْ نَجِدْ   أَحَدًا سِوَاكَ إِلَى المَكَارِمِ يُنْسَبُ
فَاصْبِــرْ لِعَادَتِنَــا الَّتِى عَوَّدْتَنَا   أَوْ لَا فَأَرْشِــدْنَا إِلَى مَنْ نَذْهَبُ

فقال عبد الملك: إلىّ إلىّ! وأمر له بألف دينار، ثم أتاه فى العـــام المقبل، فقال:

تَرَبَّ الذِى يَأْتِى مِنَ الخَيْرِ إِنَّهُ   إِذَا فَعَلَ المَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَّمَا
وَلَيْــسَ كَبَــانٍ حِينَ تَمَّ بِنَاؤُهُ   تَتَبَّعَــهُ بِالنَّقْضِ حَتَّى تَهَدَّمَا

فأعطاه ألفى دينار، ثم أتاه فى العام الثالث، فقال:

إِذَا اسْتُمْطِرُوا كَانُوا مَغَازِيرَ فِى النَّدَى
يَجُودُونَ بِالمَعْرُوفِ عَوْداً عَلَى بَدْءِ

---

(١) الأمالى — القالى ٣١٤/٢، ٣١٥.

٣-قدوم الأعشى على عبد الملك[١]

قدم أعشى بنى ربيعة على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: ما الذى بقى منك؟

قال: أنا الذى أقول:

وَمَا أَنَا فِى أَمْرِى وَلَا فِى خُصُومَتِى ... بِمُهْتَضَمٍ حَقِّى وَلَا قَارِع سِنِّى
وَلَا مسْلِمٍ مَولَاىَ عِندَ جِنَايَةٍ ... وَلَا خَائِفٍ مَوْلَاىَ مِنْ شَرِّ مَا أَجْنِى
وَإِنَّ فُؤَادِى بَيْنَ جَنْبَىَّ عَالِمٌ ... بِمَا أَبْصَرَتْ عَيْنِى وَمَا سَمِعَتْ أُذْنِى
وَفَضَّلَنِى فِى الشِّعْرِ وَاللُّبِّ أَنَّنِى ... أَقُولُ عَلَى عِلْمٍ وَأَعْرِفُ مَنْ أَعْنِى
فَأَصْبَحْتُ إِذْ فَضَّلْتُ مَرْوَانَ وَابْنَهُ ... عَلَى النَّاسِ قَدْ فَضَّلْتُ خَيْرَ أَبٍ وَابْنِ

فقال عبد الملك: من يلومنى على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم، وعشرة تخوت ثياب، وعشر فرائض من الإبل، وأقطعه ألف جريب[٢]

وقال له: امض إلى زيد الكاتب يكتب لك بها، وأجرى له على ثلاثين عيلا[٣] فأتى زيدا، فقال له: ائتنى غدا، فأتاه فجعل يردده، فقال

يَا زَيدُ يَا فِداكَ كُلُّ كَاتِبٍ ... فِى النَّاسِ بَيْنَ حَاضِرٍ وَغَائِبِ
هَلْ لَكَ فِى حَقٍّ عَلَيكَ وَاجِبُ ... فِى مِثْلِهِ يَرْغَبُ كُلُّ رَاغِبِ
وَأَنْتَ عَفٌّ طَيِّبُ الْمَكَاسِبِ ... مُبَرَّأٌ مِنْ عَيْبِ كُلِّ عَائِبِ
وَلَسْت ــ وَإِنْ كَفَيْتَنِى وَصَاحِبِى ... طُولَ غُدُوٍّ وَرَوَاحَ دَائِبِ
وَسُدَّةَ البَابِ وعُنْفِ الحَاجِبِ ... مِنْ نِعْمَةٍ أَسْدَيْتَهَا بِخَائِبِ

فأبطأ عليه زيد، فأتى سفيان بن الأبرد الكلبى، فكلمه سفيان فأبطأ عليه، فعاد إلى سفيان، فقاله له:

عُدْ إِذْ بَدَأْتَ أَبَا يَحْيَى فَأَنْتَ لَهَا ... وَلَا تَكُنْ حِينَ هَابَ النَّاسُ هَيَّابَا

---

[١] الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ١٨/١٣٢ .

[٢] الجريب من الأرض ثلاثة آلاف وستمائة ذراع وقيل عشرة آلاف ذراع.

[٣] من يعولهم الرجل من أهل بيته ويتكفل بهم

وَاشْفَعْ شَفَاعَةَ أَنْفٍ لَمْ يَكُنْ ذَنَبًا ... فَإِنَّ مِنْ شُفَعَاءِ النَّاسِ أَذْنَابًا

فأتى سفيان زيدا الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته.

• • • • • •

٤-وفود أعشى بنى ربيعة على عبد الملك:

قال محمد بن حبيب: دخل أعشى بنى أبى ربيعة على عبد الملك وهو يتردد فى الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجدّ، فقال له: يا أمير المؤمنين، مالى أراك متلوما ينهضك الحزم، ويقعدك العزم، وتهم بالإقدام وتجنح إلى الإحجام، انْفُذْ لبصيرتك، وأَمْضِ رأيك، وتوجه إلى عدوك فجدك مقبل، وجده مدبر، وأصحابه له مقتون، ونحن لك محبون.وكلمتهم مفترقة، وكلمتنا عليك مجتمعة، والله ما يؤتى من ضعف جنان، ولا قلة أعوان، ولا يثبطك عنه ناصح، ولا يحرضك عليه غاش. وقد قلت فى ذلك أبياتا، فقال: هاتها، فإنك تنطق بلسان ودود، وقلب ناصح، فقال:

آلُ الزَّبَيْرِ مِنَ الخِلَافَةِ كَالَّتِي ... عَجِلَ النِّتَاجُ بِحَمْلِهَا فَأَحَالَهَا
أَوْ كَالضِّعَافِ مِنَ الحمُولَةِ حُمِّلَتْ ... مَالَا تُطِيقُ فَضَيَّعَتْ أَحْمَالَهَا
قُومُوا إِلَيْهِمْ لَا تَنَامُوا عَنْهُمُ ... كَمْ لِلْغُوَاةِ أَطَلْتُمُوا إِمْهَالَهَا
إِنَّ الخِلَافَةَ فِيكُمُ لَا فِيهِمُ ... مَا زِلْتُمُ أَرْكَانَهَا وثِمَالَهَا
أَمْسَوْا عَلَى الخَيْرَاتِ قُفْلًا مُغْلَقًا ... فَانْهَضْ بِيُمْنِكَ فَافْتَتِحْ أَقْفَالَهَا

فضحك عبد الملك، وقال: صدقت يا أبا عبد الله، إن أبا خبيب لقفل دون كل خير، ولا نتأخر عن مناجزته إن شاء الله، ونستعين الله عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأمر له بصلة سنية.

٥-وفود العجاج على عبد الملك بن مروان(١)

حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا أبو حاتم عن أبى زيد عن المفضل قال: دخل العجاج على عبد الملك بن مروان، فقال: يا عجاج، بلغنى أنك لا تقدر على الهجاء. فقال: يا أمير المؤمنين، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه إخراب الأخبية. قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال: إن لنا عزا يمنعنا من أن نظلم، وإن لنا حلما يمنعنا من أن نظلم. فعلام الهجاء؟

فقال: لكلماتك أشعر من شعرك، فأنى لك عز يمنعك من أن تظلم؟ قال: الأب البارع، والفهم الناصع. قال: فما الحلم الذى يمنعك من أن تظلم؟ قال: الأدب المستطرف، والطبع التالد قال: يا عجاج، لقد أصبحت حكيما. قال: وما يمنعنى وأنا نجى أمير المؤمنين؟

٦-وفادة الأجرد على عبد الملك بن مروان

قال ابن قتيبة(٢):

هو من ثقيف، وقد وفد على عبد الملك بن مروان فى نفر من الشعراء فقال له: إنه ما من شاعر إلا وقد سبق إلينا من شعره قبل رؤيته، فما قلت؟

قال: أنا القائل:

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدْرِكْ ظُلاَمَتَـه ... إنّ الذَّلِيـلَ الـذِى لَيْسَتْ لَهُ عَضُدُ

تَنْبُو يَدَاهُ إذَا مَـا قَـلّ نَاصِـرُهُ ... وَيَمْنَعُ الضَّيْـمَ إنْ أَثْـرَى لَهُ عَدَدُ

* * * * * *

---

(١) الأمالى ــ القالى ٢/٥٣ .

(٢) الشعر والشعراء ابن قتيبة ٢/٧٣٨ .

٧-وفادة كثير على عبد الملك بن مروان[١]

قال أبو إسماعيل بن القاسم البغدادي: وأخبرنا أبــو بكــر قــال: أخبرنا السكن بن سعيد، قال: أخبرنا على بن نصر الجهضمى، قال: دخل كثير على عبد الملك بن مروان ـ رحمه الله ـ فقال عبــد الملــك بــن مروان: أأنت كثير عزة؟ قال: نعم. قال: أن تسمع بالمعيدى خير مــن أن تراه. فقال: يا أمير المؤمنين: كل عند محله رحب الفناء، شامخ البنــاء، عالى السناء، ثم أنشأ يقول:

تَـرَى الرّجـلَ النّحِيفَ فَتَزْدَرِيــهِ	وَفِــى أَثْوَابِـهِ أَسَـدٌ هَصُـورُ
وَيُعْجِبكَ الطَّرِيـــرُ إذَا تَـرَاهُ	فَيُخْلِـفُ ظَنَّـكَ الرجـلُ الطَّرِيـرُ
بُغَـاثُ الطيْـرِ أَطْـوَلُهَا رِقَابـا	وَلَـمْ تَطُـل الـبُزَاةُ وَلاَ الصُّقُـورُ
خُشَاشُ الطَّـيْرِ أكثرُهَـا فِرَاخًـا	وَأُمُّ الصَّقْـرِ مِقْـلاَتٌ نَـزُورُ[٢]
ضِعَافُ الأُسْـدِ أَكْثَرُهَـا زَئِـيرًا	وَأَصْرَمُهَـا اللَّـوَاتِى لاَ تَزِيـرُ
وَقَدْ عَظُـمَ البَعِـيرُ بِغَـيْرِ لُـبٍّ	فَلَـمْ يَسْـتَغْنِ بِـالعَظْمِ البَعِـيرُ
يَنوخُ ثُـمَّ يُضْـرَبُ بِالـهَرَاوَى	فَـلاَ عَـرْفٌ لَدَيْـهِ وَلاَ نَكِـيرُ
يَقُـودُهُ الصَّبِـى بكُلِّ أَرْضٍ	وَيَنْحَـرُهُ عَلَـى الـتُّرْبِ الصَّغِـيرُ
فَمَا عِظَـمُ الرِّجَـالِ لَـهُم بِزَيْـنٍ	وَلَكِـنَّ زَيْنَـهُم كَـرَمٌ وَخَـيرُ

فقال عبد الملك: لله دره، ما أفصح لسانه، وأضبط جنانه، وأطـول عنانه، والله إنى لأظنه كما وصف نفسه.

---

[١] الأمالى للقالى ٧٢/١ .

[٢] مقلات: لا تكثر فراخها. الطرير: المحدد. ورجل طرير: ذو طرة وهيئة حسنة وجمال

١-وفادة (غيلان بن سلمة الثقفى) على الوليد(١)

ولما توفى عبد الملك وجلس ابنه الوليد، دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنئونه أم يعزونه؟ فأقبل غيلان بن سلمة الثقفى، فسلم عليه ثم قال: "يا أمير المؤمنين. أصبحت قد رزيت خير الآباء، وسميت بخير الأسماء وأعطيت أفضل الأشياء، فعظم الله لك على الرزية الصبر وأعطاك فى ذلك نوافل الأجر، وأعانك على حسن الولاية والشكر، ثم قضى لعبد الملك بخير القضية، وأنزله بأفضل المنازل المرضية، وأعانك من بعده على الرعية. فقال له الوليد: من أنت؟ فانتسب له. قال: فى كم أنت؟ قال: فى مائة دينار. فألحقه بأهل الشرف.

* * * * * *

٢-وفادة (الزهرى) على الوليد بن عبد الملك(٢)

دخل الزهرى على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدا رعية كتب له الحسنات، ولم يكتب له السيئات. قال: باطل يا أمير المؤمنين. أنبى خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبى؟ قال: بل نبى خليفة. قال: فإن الله يقول لنبيه داود: "يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض، فاحكم بين الناس بالحق، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله **"إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب"**(٣). فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبى خليفة، فما ظنك بخليفة غير نبى؟ قال: إن الناس ليغروننا عن ديننا.

---

(١) البيان والتبيين ـــ الجاحظ ٢/١٩٢ .
(٢) العقد الفريد ـــ ابن عبد ربه ١/٤٥ ت/العريان.
(٣) سورة ص الأية ٢٦ .

وفادة إسماعيل بن أبي الجهم على هشام بن عبد الملك(١)

حدثنا أبو بكر رحمه الله، قال: أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال: قدم وفد على أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك، وفيهم رجل من قريش يقال له: إسماعيل بن أبى الجهم، وكان أكبرهم سنا، وأفضلهم رأيا وحلما. فقام متوكئا على عصا، وقال: يا أمير المؤمنين إن خطباء قريش قد قالت فيك فأطنبت، وأثنت عليك فأحسنت، ووالله ما بلغ قائلهم قدرك ولا أحصى مثنيهم فضلك، أفتأذن لى فى الكلام؟ قال: تكلم. قال: أفأوجز أم أطنب؟ قال: بل أوجز. قال: تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزينك بالتقى، وجمع لك خير الآخرة والأولى. إن لى حوائج. أفأذكرها؟ قال: نعم. قال: كبرت سنى، وضعفت قواى، واشتدت حاجتى فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسرى، وينفى فقرى. قال: يا بن أبى الجهم. ما يجبر كسرك وينفى فقرك. قال: ألف دينار وألف دينار وألف دينار. قال: هيهات يا بن أبى الجهم، بيت المال لا يحتمل هذا. قال: كأنك آليت يا أمير المؤمنين أن لا تقضى لى حاجة مقامى هذا. قال: ألف دينار لماذا؟ قال: أقضى بها دينا قد فدحنى حمله، وأرهقنى أهله، قال: نعم المسلك أسلكتها. دينا قضيت، وأمانة أديت. قال: وألف دينار لماذا؟ قال: أزوج بها من أدرك من ولدى، فأشد بهم عضدى، ويكثر بهم عددى. قال: ولا بأس. أغضضت طرفا، وحصنت فرجا، وأمرت نسلا. وألف دينار لماذا؟ قال: أشترى بها أرضا فأعود بفضلها على ولدى، وبفضل فضلها على ذوى قراباتى، قال: ولا بأس. أردت ذخرا، ورجوت أجرا، ووصلت رحما، **قد أمرنا لك بها.**

فقال: الله المحمود على ذلك. وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيرا. فقال هشام: تالله ما رأيت رجلا ألطف فى سؤال، ولا أرفق فى مقال من هذا. هكذا فليكن القرشى.

---

(١) الأمالى _ لأبى على القالى ١٨٤/١.

وفادة أعرابى على سليمان بن عبد الملك(١)

دخل أعرابى على سليمان بن عبد الملك، فقال: أصابتك سماء فى وجهك يا أعرابى؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، غير أنها سحاء طخياء وطفاء، كأن هواديها الدلاء مرجحنة النواحى، موصولة بالآكام، تكاد تمس هام الرجال، كثير زجلها، قاصف رعدها، خاطف برقها، حثيث ودقها، بطئ سيرها، مثعنجر قطرها، مظلم تؤدها، قد لجأت الوحش إلى أوطانها، تبحث عن أصوله بأظلافها، متجمعة بعد شتاتها، فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بعضاة الشجر، وتعلقنا بقنن الجبال لكنا جفاء فى بعض الأودية، ولقم الطريق، فأطال الله للأمة بقاءك، ونسأ لها فى أجلك، فهذا ببركتك، وعادة الله بك على رعيتك، وصلى الله على سيدنا محمد. فقال سليمان: لعمر أبيك. لئن كانت بديهة لقد أحسنت وإن كانت محبرة لقد أجدت. قال: بل محبرة مزورة يا أمير المؤمنين قال: يا غلام اعطه. فوالله لصدقه أعجب إلينا من صفته.

* * * * * *

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤/٤٧ تحقيق العريان.

د - وفادة بعض أهل العراق على سليمان بن عبد الملك[1]

الهيثم بن عدى. قال:

قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك، بعدما استخلف. فأمرهم بشتم الحجاج، فقاموا يشتمون، فقال بعضهم: إن عدو الله الحجاج كان عبدا زبابا (جاهلا) قنورا ابن قنور (عبد) لا نسب له فى العرب فقال سليمان: أى شتم هذا؟ إن عدو الله الحجاج كتب إلى: "إنما أنت نقطة من مداد، فإن رأيت فى ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما، وإلا فأنا الحجاج وأنت النقطة، فإن شئت محوتك، وإن شئت أثبتك" فالعنوه لعنه الله. فأقبل الناس يلعنون فقام ابن أبى بردة بن أبى موسى. فقال: يا أمير المؤمنين. أخبرك عن عدو الله بعلم. قال: هات. قال: كان عدو الله يتزين تزين المومسة، ويصعد على المنبر فيتكلم بكلام الأخبار، وإذا عمل عمل الفراعنة. وأكذب فى حديثه من الرجال.

فقال سليمان لرجاء بن حيوة: هذا وأبيك الشتم، لا ما تأتى به هذه السفلة.

---

[1] البيان والتبيين ــ الجاحظ ٣٩٧/١ .

تَظلِم؟ قال: الأدب المستطرف، والطبع التالد. قـــال: يـــا عجـــاج، لقــد أصبحت حكيما. قال: وما يمنعنى وأنا نَجِىّ أمير المؤمنين.

*　*　*　*

١ ـ **وفود الكميت بن زيد على يزيد بن عبد الملك:**

قال الطلحى: أخبرنى حبيش بن الكميت، أخو المستهل بن الكميت ابن زيد قال:

وفد الكميت بن زيد على يزيد بن عبد الملك، فدخل عليه يوما وقد اشتُرِيَتْ له سلّامة القس، فأدخلها إليه والكميت حاضر، فقال له:

يا أبا المستهل: هذه جارية تباع، أَفَتَرَى أن نبتاعها؟ قال: إى والله يا أمير المؤمنين، وما أرى أن لها مثلا فى الدنيا، فـــلا تفوتنـــك، قـــال: فصفها لى فى شعر حتى أقبل رأيك.

فقال الكميت(١):

هِىَ شَمْسُ النَّهَارِ فِى الحُسْنِ إلاَّ　　أنَّهَـــا فَضلَـــتْ بقتل الظِّـــرَاف
غَضَّةٌ بَضَّـــةٌ رَخِيـــمٌ لعَـــوبٌ　　وَعْثَةُ المَتْنِ شَخْتَةُ الأطْرَافِ(٢)
زَانَهَا دلُّهَـــا وَثَغْـــرٌ نَقِـــىٌّ　　وَحَـــدِيثٌ مُرَتَّلٌ غَيْرُ جَـــافِى
خُلِقَتْ فَـــوْقَ مُنْيَةِ المُتَمَنـــى　　فَاقْبَلِ النُّصْحَ يَا بْنَ عَبْدِ منَـــافِ

فضحك يزيد، وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهل، وأمـــر لـــه بجائزة سنية.

---

(١) الأغانى للأصفهانى ٢٣/١٧ .
(٢) وعثة: سمينة　شختة: دقيقة ضامرة.

الوفادات على عمر بن عبد العزيز

١ –وفادة أهل العراق عليه(١)

حدث العتبى عن سفيان بن عيينة، قال: قدم على عمر بن عبدالعزيز ناس من أهل العراق، فنظر إلى شاب منهم يتحرش للكلام.

فقال عمر: أكبروا . أكبروا. فقال الشاب: يا أمير المؤمنين. لو كان الأمر بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك.

فقال عمر: صدقت – رحمك الله – تكلم .

فقال: يا أمير المؤمنين. إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة. أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا، وقدمت علينا بلادنا. وأما الرهبة، فقد أمننا الله بعدلك من جورك.

قال (عمر): فما أنتم؟ قال: وفد الشكر.

قال (الراوى): فنظر محمد بن كعب القرظى إلى وجه عمر

فقال: يا أمير المؤمنين، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فإن ناسا خدعهم الثناء، وغرهم شكر الناس فهلكوا، وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم.

فألقى عمر رأسه على صدره.

٢ –وفادة شوذب الخارجى وأصحابه(٢) على عمر بن عبد العزيز

عن الهيثم بن عدى، قال: أخبرنى عوانة بن الحكم عن محمد بن الزبير، قال: بعثنى عمر بن عبد العزيز، مع عون بن عبد الله بن

(١) العقد الفريد – ابن عبد ربه مجلد ٢ ص١٣، ١٤ تحقيق/ محمد سعيد العريان و زهر الآداب – الحصرى ص ٧ .

(٢) نفسه ص٢١٥ وما بعدها.

مسعود، إلى شوذب الخارجي وأصحابه، إذ خرجوا بالجزيرة، وكتب معنا كتابا إليهم، فقدمنا عليهم، ودفعنا كتابه إليهم، فبعثوا معنا رجلا من بني شيبان، ورجلا فيه حبشية يقال له شوذب، فقدما معنا على عمر، وهو بخناصرة[١] فصعدنا إليه، وكان في غرفة ومعه ابنه عبد الملك وحاجبه مزاحم، فأخبرناه بمكان الخارجيين، فقال عمر: [illegible] لا يكن معهما حديد، وأدخلوهما، فلما دخلا قالا: السلام عليكم، ثم جلسا. فقال لهما عمر: أخبراني. ما الذى أخرجكم عن حكمى هذا وما نقمتم؟.

فتكلم الأسود منهما فقال: إنا والله ما نقمنا عليك في سيرتك وتحريك العدل والإحسان إلى من وليت، ولكن بيننا وبينك أمر، إن أعطيتناه فنحن منك وأنت منا، وإن منعتناه فلست منا ولسنا منك. قال عمر: ما هو؟ قال: رأيناك خالفت أهل بيتك وسميتها مظالم، وسلكت غير طريقهم، فإن زعمت أنك على هدى، وهم على ضلال، فالعنهم وابرأ منهم ، فهذا الذى يجمع بيننا أو يفرق.

فتكلم عمر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنى قد علمت أو ظننت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب الدنيا ومتاعها، ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها، وإنى سائلكما عن أمر، فبالله اصدقانى فيه مبلغ علمكما. قالا: نعم. قال: أخبرانى عن أبى بكر وعمر: أليسا من أسلافكما ومن تتوليان وتشهدان لهما بالنجاة ؟ قالا: اللهم نعم. قال: فهل علمتما أن أبا بكر حين قبض رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فارتدت العرب قاتلهم، فسفك الدماء، وأخذ الأموال — وسبى الذرارى؟ قالا: نعم. قال: فهل علمتم أن عمر قام بعد أبى بكر فرد السبايا إلى

(١) خناصرة: بلدة من أعمال حلب. بالشام.

عشائرها ؟ قالا: نعم قال : فهل برئ عمر من أبى بكر، أو تبرءون أنتم من واحد منهما؟ قالا:لا. قال: فأخبراني عن أهل النهروان. أليسوا من صالحى أسلافكم وممن تشهدون لهم بالنجاة؟ قالا: نعم. قال: فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم فلم يسفكوا دما، ولم يخيفوا آمنا، ولم يأخذوا مالا؟ قالا: نعم. قال: فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن فديك استعرضوا الناس يقتلونهم، ولقوا عبد الله — بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقتلوه وقتلوا جاريته، ثم قتلوا النساء والأطفال، حتى جعلوا يلقونهم في قدور الأقط وهى تفور؟ قالا: قد كان ذلك. قال: فهل برئ أهل الكوفة من أهل البصرة؟ قالا: لا. قال: فهل تبرءون من إحدى الفئتين؟ قالا: لا. قال: أفرأيتم الدين. أليس هو واحدا أم الدين اثنان؟ قالا: بل واحد. قال: فهل يسعكم منه شئ يعجزنى؟ قالا: لا. قال: فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر، وتولى كل واحد منهما صاحبه، وتوليتم أهل الكوفة والبصرة، وتولى بعضهم بعضا، وقد اختلفوا فى أعظم الأشياء. فى الدماء والفروج والأموال. ولا يسعنى إلا لعن أهل بيتى والتبرؤ منهم؟ أو رأيت لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لابد منها؟ فإن كان ذلك فمتى عهدك بلعن فرعون وقد قال: أنا ربكم الأعلى؟ قال: ما أذكر أنى لعنة. قال ويحك! أيسعك ألا تلعن فرعون — وهو أخبث الخلق — ولا يسعنى إلا أن ألعن أهل بيتى والبراءة منهم؟ ويحكم! إنكم قوم جهال، أردتم أمرا فأخطأتموه، فأنتم تردون على الناس ما قبل منهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعثه الله إليهم، وهم عبدة أوثان، فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان، وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله. وأن محمدا عبده ورسوله، فمن قال ذلك حقن بذلك دمه، وأحرز ماله، ووجبت حرمته،وأمن به عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان أسوة

المسلمين، وكان حسابه على الله. أفلستم تلقون من خلع الأوثان، ورفض الأديان، وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، تستحلون دمه وماله، ويلعن عندكم، ومن ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وأهل الأديان فتحرموه دمه وماله ويأمن عندكم؟ فقال الأسود: ما سمعت كاليوم أحدا أبين حجة، ولا أقرب مأخذا، أما أنا فأشهد أنك على الحق، وأنى برئ مما برئ منك. فقال عمر لصاحبه: يا أخا بنى شيبان، ما تقول أنت؟ قال: ما أحسن ما قلت ووصفت، غير أنى لا أفتات على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرت وأنظر ما حجتهم. قال: أنت وذاك، فأقام الحبشى مع عمر، وأمر له بالعطاء، فلم يلبث أن مات، ولحق الشيبانى بأصحابه، فقتل معهم بعد وفاة عمر.

* * * * * * *

٣-وفادة عبد الله بن عبد الله بن الأهتم[١] على عمر بن عبد العزيز

حكى أبو الحسن، عن يحيى بن سعيد، عن ابن خربوذ البكرى عن خالد بن صفوان قال: دخل عبد الله بن عبد الله بن الأهتم {هو عم خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم} على عمر بن عبد العزيز مع العامة، فلم يفجأ عمر إلا وهو ماثل بين يديه يتكلم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد. فإن الله خلق الخلق غنيا عن طاعتهم، آمنا والناس يومئذ فى المنازل، والرأى مختلفون، والعرب بشر تلك المنازل أهل الوبر وأهل المدر، تختار دونهم طيبات الدنيا. ورفاغة عيشها: ميتهم فى النار، وحيهم أعمى. مع ما لا يحصى من المرغوب عنه، والمزهود فيه. فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته، ويسبغ عليهم نعمته، بعث إليهم رسولا

(١) البيان والتبيين ٢/١١٧ ـ ١٢٠.

منهم عزيزا عليه ما عنتوا، حريصا عليهم بالمؤمنين رءوفا رحيما، فلم يمنعهم ذلك من أن جرحوه فى جسمه، ولقبوه فى اسمه، ومعه كتاب من الله ناطق، وبرهان من الله صادق، لا يرحل إلا بأمره ولا ينزل إلا بإذنه. واضطروه إلى بطن غار، فلما أمر بالعزم أسفر لأمر الله لونه، فأفلج الله حجته، وأعلى كلمته، وأظهر دعوته، ففارق الدنيا نقيا تقيا مباركا مرضيا صلى الله عليه وسلم.

ثم قام بعده أبو بكر رحمه الله، فسلك سنته، وأخذ بسبيله، وارتدت العرب، فلم يقبل منهم بعد رسول الله إلا الذى كان قابلا منهم فانتضى السيوف من أغمادها، وأوقد النيران من شعلها، ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل، فلم يبرح يفصل أوصالهم، ويسقى الأرض دماءهم حتى أدخلهم فى الذى خرجوا عنه، وقررهم بالذى نفروا منه، وقد كان أصاب من مال الله بكرا يرتوى عليه، وحبشية ترضع ولدا له، فرأى ذلك غصة عند موته فى حلقه، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده، وبرئ إليه منهم ، وفارق الدنيا نقيا تقيا، على منهاج صاحبه رحمه الله.

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رحمه الله، فمصر الأمصار، وخلط الشدة باللين، فحسر عن ذراعيه، وشمر عن ساقيه، وأعد للأمور أقرانها، وللحرب آلتها، فلما أصابه فتى المغيرة بن شعبة أمر ابن عباس أن يسأل الناس هل يثبتون قاتله، فلما قيل له: فتى المغيرة، استهل بحمد الله ألا يكون أصابه ذو حق فى الفىء، فيستحل دمه بما استحل من هذه، وقد كان أصاب من مال الله بضعا وثمانين ألفا. فكسر رباعه وكره بها كفالة أهله وولده، فأدى ذلك إلى الخليفة من بعده، وفارق الدنيا نقيا تقيا، على منهاج صاحبيه، رحمه الله.

ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ظـــلع ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا، ولدتك ملوكها، وألقمتك ثديها، وليتك وضعتـــها حيـــث وضعـــها، فالحمد لله الذى جلا بك حوبتها، وكشف بك كربتها. امـــض ولا تلتفـــت فإنه لا يغنى من الحق شيئا. أقول قولى هذا وأســـــتغفر الله لـــى ولكـــم وللمؤمنين والمؤمنات.

٤-وفود جرير عن أهل الحجاز [١]

على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

قدم جرير بن الخطفى على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنـه، عن أهل الحجاز، فاستأذنه فى الشعر، فقال: مالى وللشعر يا جرير؟ إنـى لفى شغل عنه! قال يا أمير المؤمنين، إنها رسالة عن أهل الحجاز. قال: فهاتها إذًا. فقال:

كَم مِن ضَرِيرٍ أميرَ المُؤمنينَ لَدى ... أَهْلِ الحِجَازِ دَهَاهُ البُؤسُ وَالضَّرَرُ
أَصَابَت السنَةُ الشهبَاءُ مَا مَلكَـت ... يَمِينُه فَحَنَّاه الجهْـدُ والـكِبَرُ [٢]
وَمِنْ قَطِيعِ الحشَا عَاشَـتْ مخبَّأَةَ ... مَا كانَت الشمسُ تَلْقَاهَا ولاَ القَمَرُ
لَمَّا اجْتَلَتَهَا صُروفُ الدَّهرِ كَارهةً ... قَامتْ تُنَادِى بِأَعلَى الصوْتِ: يَا عُمَرُ!

* * * * *

٥-وفود دُكين الراجز [٣]

على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

قال دكين بن رجاء الفقيمى الراجز: مدحت عمر بن عبدالعزيـز وهو والى المدينة، فأمر لى بخمس عشرة ناقة كرائم صعابا، فكرهـت أن أرمى بها الفجاج [٤] فتنتشر على، ولم تطب نفسى ببيعها، فقدمت علينـا

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق العريان ٢٧٩/١ تحيـق/ أحمـد يسـرى م٢ العدد١١ ص٦٨ .

(٢) السنة الشهباء: المجدبة.

(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمى (٠٠٠ ــ ١٠٥ هـ)، اشتهر فى العصر الأمـوى. مدح عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة. وله رجز فى مـدح مصعـب بـن الزبير، بدل على أنه زاره فى العراق، ورجز آخر فى وصف فرس له، يسـتفاد منه أنه وفد على الوليد بن عبد الملك فى الشام، أوردهما ياقوت فى معجم الأدباء. والفقيمى: نسبه إلى الفقيم بن دارم (أو ابن جرير بن دارم) مـن تميـم. {راجـع الأعلام للزركلى}. العقد الفريد/ ت العريان ٢٨٠/١ ت/ أحمد يسرى م٢ عـدد ١ ص ٦٨ .

(٤) الفجاج: جمع الفج: الطريق الواسع البعيد .

رفقة من مضر، فسألتهم الصحبة، فقالوا: إن خرجت الليلة. فقلت: إنى لم أودع الأمير ولابد من وداعه. قالوا: فإن الأمير لا يحجب عن طـــارق ليل. فاستأذنتُ عليه، فأذن لى وعنده شيخان لا أعرفهما. فقال لى: يـــا دكين، إن لى نفسا تواقة، فإن أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه فبعثن مـــا أرينك. قلت له: أشهد لى بذلك أيها الأمير. قال: إنى أشـــهد الله. قلـــت ومن خلقه! قال: هذين الشيخين. قلت لأحدهما: من أنـــت يرحمـــك الله أعرفك؟ قال: سالم بن عبد الله. فقلت: لقد استسمنت[١] الشاهد. وقلـــت للآخر: من أنت يرحمك الله؟ قال: أبو يحيى مولى الأمير. وكان مزاحـم يكنى أبا يحيى. قال دكين: فخرجت بهن إلى بلدى، فرمى الله فى أذنابهن بالبركة، حتى اتخذت منهن الضياع والرباع[٢] والغلمان. فإنى لبصحراء فلج[٣]، إذا بريد يركض إلى الشام، فقلت له: هل من مغربة خبر[٤]؟ قال: مات سليمان بن عبد الملك. قلت: فمن القائم بعـــده؟ قـــال: عمـــر بـــن عبدالعزيز قال: فأنخت قلوصى فألقيت عليها أداتى وتوجهت عنده؛ فلقيت جريرا فى الطريق جائيا من عنده، فقلت: من أين أبا حزرة؟ قال: مـــن عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء. قلت: فما ترى فـــإنى خرجـــت إليه؟ قال: عول عليه فى مال ابن السبيل كما فعلت. فانطلقت فوجدتـــه قاعدا على كرسى فى عرصة[٥] داره، قد أحاط الناس به فلم أجـــد إليـــه سبيلا للوصول، فناديت بأعلى صوتى:

يَـا عُمَـرَ الخَـيرَاتِ وَالمَكَـارِمِ ... وَعُمَـرَ الدَّسَـائِعِ العَظَـائِمِ[٦]
إِنىّ امرُؤٌ مِـنْ قَطَـنِ بـنِ دَارِمِ ... أَطلبُ حَاجِى مِـن أَخِـى مَكَـارِمِ

---

(١) يريد: لقد ظفرت بشاهد له خطره.
(٢) الرباع: الدور وما حولها والمواضع ينزل فيها زمن الربيع.
(٣) الفلج: النصف.
(٤) هل من مغربة خبر: هل من خبر جديد جاء من بلد بعيد.
(٥) عرصة داره: ساحتها.
(٦) الدسائع: العطايا والمكارم والأخلاق.

إذْ نَنْتَجِي والليلُ غَيرُ نائِمٍ ... فِي ظُلمَةِ اللّيلِ وَلَيلِي عاتِمُ
عِنْدَ أبِي يَحيَى وَعِندَ سَالِمِ

فقام أبو يحيى ففرج لى، وقال: يا أمير المؤمنين، إن لهذا البدوى عندى شهادة عليك. قال: أعرفها، ادن منى يادكين، أنا كما ذكرت لك أن لى نفسا تواقة، وأن نفسى تاقت إلى أشرف منازل الدنيا، فلما أدركتها وجدتها تتوق إلى الآخرة؛ والله ما رزأت من أمور الناس شيئا فأعطيك منه، وما عندى إلا ألفا درهم، أعطيك أحدهما. فأمر لى بألف درهم. فوالله ما رأيت ألفا كانت أعظم بركة منها.

* * * * * * *

٦-وفود كثير والأحوص ونصيب على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

حماد الراوية قال:

قال لى كثير عزه[١] ألا أخبرك عما دعانى إلى ترك الشعر؟ قلت نعم. قال: شخصت أنا والأحوص[٢] ونصيب إلى عمر بن عبد العزيز

---

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعى، أبو صخر (٠٠٠-١٠٥) من فحول شعراء الإسلام، وجعله ابن سلام فى الطبقة الأولى منهم، وقرن به جديرا والفرزدق والأخطل والراعى، وكان غاليا فى التشيع، يذهب مذهب الكيسانية. أكثر إقامته بمصر. كان مفرد القصر دميما. فى نفسه شمم وترفع. يقال له "ابن أبى جمعة" و"كثير عزة" و"الملحى" نسبة إلى بنى مليح، وهم قبيلته. كان عفيفا فى حبه لعزة. وفد على عبد الملك بن مروان فازدرى منظره، ولما عرف أدبه رفع مجلسه، فاختص به وببنى مروان يعظمونه ويكرمونه. توفى بالمدينة {انظر الأعلام للزركلى ومن الأدب الأموى والعباسى صـ٥٠ للمعلق}.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصارى (٠٠٠ -١٠٥هـ) شاعر هجاء، صافى الديباجة. جعله ابن سلام وابن قيس الرقيات ونصيبا وجميل بن معمر طبقة سادسة من شعراء الإسلام. حذا حذو عمر بن أبى ربيعة فى غزله. وكان قليل المروءة والدين. وفد على الوليد بن عبد الملك (فى الشام) فأكرمه الوليد، ثم بلغه عنه ما ساءه من سيرته فرده إلى المدينة، وأمر بجلده فجلد، ونفى إلى "دهلك" وهى جزيرة بين اليمن والحبشة، كان بنو أمية ينفون إليها من=

رضى الله عنه، وكل واحد منا يدل عليه بسابقة وإخاء قديـم، ونحـن لا نشك أن سيشركنا فى خلافته، فلما رفعت لنا أعلام خناصرة[١]، لقينا مسلمة بن عبد الملك، وهو يومئذ فتى العرب، فسلمنا فرد، ثم قال: أما بلغكم أن إمامكم لا يقبل الشعر؟ قلنا: ما توضح إلينا خبر حتى انتهينا إليك. ووجمنا وجمة عرف ذلك فينا. فقال: إن يك ذو دين بنى مروان قد ولى وخشيتم حرمانه، فإن ذا دنيانا قد بقى، ولكم عندى ما تحبون، وما ألبث حتى أرجع إليكم وأمنحكم ما أنتم أهله.

فلما قدم كانت رحالنا عنده بأكرم منزل وأكرم منزول عليه؛ فأقمنا عنده؛ أربعة أشهر يطلب لنا الإذن هو وغيره، فلا يؤذن لنا؛ إلى أن قلت فى جمعة من تلك الجمع لو أنى دنوت من عمر فسمعت كلامه فحفظته كان ذلك رأيا. ففعلت، فكان مما حفظت من كلامه: "لكل سفر زاد لا محالة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه أو عقابه، فترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فى كلام كثير لا أحفظه. ثم قال: "أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسى، فتخسر صفقتى، وتظهر عيلتى، وتبدو مسكنتى، فى يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق"! ثم بكى حتى ظننت أنه قاض نحبه، وارتج المسجد وما حوله بالبكاء، وانصرفت إلى صاحبى فقلت لهما: خذا فى شرج[٢] من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه؛ فإن الرجل آخرى وليس بدنيوى.

إلى أن استأذن لنا مسلمة فى يوم جمعة بعد ما أذن للعامة. فلما دخلت سلمت ثم قلت: يا أمير المؤمنين، طال الثواء وقلت الفائدة وتحدثت

=يسخطون عليه. لقب بالأحوص لضيق فى مؤخر عينيه أخباره كثيرة {انظر المرجعين السابقين}.

(١) خناصرة: بليدة من أعمال حلب تحاذى قنسرين نو البادي.

(٢) الشرج: الضرب واللون.

بجفائك إيانا وفود العرب. قال: يا كثير، (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ)[1] أفى واحد من هؤلاء أنت؟ قلت: بلى، ابن سبيل منقطع به، وأنا ضاحك. قال: ألست ضيف أبى سعيد؟ قلت: بلى، قال: ما أرى ضيف أبى سعيد منقطعا به. قلت: يا أمير المؤمنين، أتأذن لى فى الإنشاد؟ قال: نعم، ولا تقل إلا حقا. فقلت:

وُلِيِّتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِياًّ وَلَمْ تُخِفْ ... بَرِيّاً وَلَمْ تَقْبَلْ إِشَارَةَ مُجْرِمِ

وَصَدَّقْتَ بِالفِعْلِ المقَالَ مَعَ الَّذِى ... أَتَيْتَ فَأَمْسَى رَاضِياً كُلُّ مُسْلِمِ

أَلاَ إِنَّمَا يَكْفِى الفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ ... مِنَ الأَوَدِ البَادِى ثِقَافُ المُقَوِّمِ[2]

وَقَد لَبِستَ لُبْسَ الهَلُوكِ ثِيَابَهَا ... تَرَاءَى لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ[3]

وَتُومِضُ أَحْيَاناً بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ ... وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الجُمَانِ المُنَظَّمِ

فَأَعرَضْتَ عَنْهَا مُشْمَئِزًّا كَأَنَّمَا ... سَقَتْكَ مَدُوفاً مِنْ سِمَامٍ وَعَلْقَمِ[4]

وَقَد كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِى مُمَنَّعٍ ... وَمِن بَحرِهَا فِى مُزْبِدِ المَوْجِ مُفْعَمِ

وَمَا زِلْتَ تَوَّاقاً إِلَى كُلِّ غَايَةٍ ... بَلَغْتَ بِهَا أَعْلَى البِنَاءِ المُقَوَّمِ

فَلَمَّا أَتَاكَ المُلْكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ ... لِطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمِ

تَرَكْتَ الذِى يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُونِقاً ... وَآثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْىٍ مُصَمِّمِ

وَأَضْرَرْتَ بِالفَانِى وَشَمَّرْتَ لِلَّذِى ... أَمَامَكَ فِى يَوْمٍ مِنَ الهَوْلِ مُظْلِمِ

وَمَالَكَ إِذْ كُنْتَ الخَلِيفَةَ مَانِعٌ ... سِوَى اللهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلاَ دَمِ

سَمَا لَكَ هَمٌّ فِى الفُؤَادِ مُؤَرِّقٌ ... بَلَغْتَ بِهِ أَعلَى المَعَالِى بِسُلَّمِ

فَمَا بَيْنَ شَرقِ الأَرْضِ وَالغَرْبِ كُلِّهَا ... مُنَادٍ يُنَادِى مِنْ فَصِيحٍ وَأَعجَمِ

---

(١) سورة التوبة الآية : ٦٠ .

(٢) الزيغ: الضلال. الأود: الاعوجاج. الثقاف: المجالدة بالسلاح. المقوم: اسم فاعل من قوم المعوج: عدله وأزال عوجه.

(٣) الهلوك من النساء: الفاجرة المتساقطة على الرجال.

(٤) المدوف: الممزوج. السمام: السم .

يَقُولُ: أَمِيرُ المُؤمِنِينَ ظَلَمتَنِى ... بِأَخْذٍ لِدِينَارٍ وَلَا أَخذَ دِرْهَمِ

وَلَا بَسْطِ كَفٍّ لِامرِئٍ غَيرِ مُجرِمٍ ... وَلَا السفك منه ظالمًا مِلْءَ مِحْجَمِ

وَلَوْ يَسْتَطِيعُ المُسْلِمُونَ لَقَسَّمُوا ... لَكَ الشَّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدَّمِ

فَأَرْبِحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايِعٍ ... وَأَعْظِمْ بِهَا أَعْظِمْ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمِ

* * * * * * *

قال: فأقبل علىَّ وقال: إنك مسئول عما قلت. ثم تقدم الأحوص فاستأذنه فى الإنشاد، فقال: قل، ولا تقل إلا حقا. فقال:

وَمَا الشِّعْرُ إلاَّ حِكْمَةٌ مِنْ مُؤَلِّفٍ ... بِمَنْطِقِ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقِ بَاطِلِ

فَلَا تَقْبَلَنَّ إلاَّ الَّذِى وَافَقَ الرِّضَا ... وَلَا تُرْجِعَنَّا كَالنِّسَاءِ الأَرَامِلِ

رَأَيْنَاكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ الحَقِّ يَمْنَةً ... وَلَاشَأْمَةً فِعْلَ الظَّلُومِ المُخَاتِلِ(١)

وَلَكِنْ أَخَذْتَ الحَقَّ جَهْدَكَ كُلَّهُ ... وَتَقْفُو مِثَالَ الصَّالِحِينَ الأَوَائِلِ

فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَا لَنَا ... وَمَنْ ذَا يَرُدُّ الحَقَّ مِنْ قَوْلِ قَائِلِ

وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مَضَائِهِ ... عَلَى فَوْقِهِ إِذْ عَارَ مِن نَزْعِ نَابِلِ(٢)

وَلَوْلَا الَّذِى قَدْ عَوَّدَتْنَا خَلَائِفٌ ... غَطَارِيفُ كَانُوا كَاللُّيُوثِ البَوَاسِلِ

لَمَّا وَخَدَتْ شَهْراً بِرَحْلِى مَلَّةٌ ... تَقُدُّ مِتَانَ البِيدِ بَيْنَ الرَّوَاحِلِ(٣)

وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِى بِهِ ... حُبِينَا زَمَاناً مِن ذَوِيكَ الأَوَائِلِ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ ... وَإِنْ كَانَ مِثْلَ الدُّرِّ فِى نَظْمِ قَائِلِ

وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقاً لَا يَعِيبُهُ ... سِوَى أَنَّهُ يَبْنِى بِنَاءَ المَنَازِلِ

فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَمَحضُ مَوَدَّةٍ ... وَمِيرَاثُ آبَاءٍ مَشَوْا بِالمَنَاصِلِ

فَذَادُوا عَدُوَّ السِّلْمِ عَنْ عُقْرِ دَارِهِمِ ... وَأَرْسَوْا عَمُودَ الدِّينِ بَعدَ التَّمَايُلِ

---

(١) شأمة: يسرة عكس يمنة. المخاتل: الغادر.

(٢) عار السهم: لم يعرف راميه ومن أين أتى.

(٣) وخدت: أسرعت، وملة: الناقة السريعة.

وَقَبلكَ مَا أَعْطَى الهُنَيدَةَ جلَّـةَ ... عَلَى الشعْرِ كَعباً مِن سديس وبَـازِلِ[1]

رَسُولُ الإلهِ المُسْتَضَاءُ بِنُورِهِ ... عَلَيْـهِ سَـلاَمٌ بِـالضُّحَى وَالأَصَـائِلِ

فقال: إنك مسئول عما قلت. ثم تقدم نصيب فاستأذنه فى الإنشاد فلم يأذن له، وأمره بالغزو إلى دابق[2]. فخرج إليها وهو محموم. وأمر لى بثلثمائة، وللأحوص بمثلها، ولنصيب بمائة وخمسين.

* * * * * *

٧-وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه

ابن الكلبى:

لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد إلى الخلفاء قبله؛ فأقاموا ببابه أياما لا يأذن لهم بالدخول، حتى قدم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود[3] على عمر بن عبد العزيز، وعليه عمامة قد أرخى طرفيها، وكانت له منه مكانة، فصاح به جرير:

---

(١) الهنيدة: اسم للمائة من الإبل، وقيل: اسم لها ولغيرها. ويريد بكعب: كعب بن زهير. السديس من الإبل: ما دخل فى السنة الثامنة. والبازل: الذى فطرنا به، أى انشق، ويكون ذلك فى السنة التاسعة.

(٢) دابق: قرية قرب حلب بينهما أربعة فراسخ.

(٣) هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى (٠٠٠- ١١٥هـ) خطيب راوية ناسب، شاعر كان من آدب أهل المدينة. وسكن الكوفة، واشتهر فيها بالعبادة والقراءة وكان يقول بالإرجاء (المرجئة: فرقة إسلامية لا يحكمون على أحد من المسلمين بشئ بل يرجئون الحكم إلى يوم القيامة. ومن أقوالهم: "إنه لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة")، ثم رجع خرج مع ابن الأشعث ثم هرب وصحب عمر بن عبد العزيز فى خلافته (راجع الأعلام للزركلى والمعجم الوسيط مادة: رجأ).

يَأيهَا الرَجُلُ المُرَخِّى عِمامَتَهُ هَذَا زمانك إنِّى قَدْ مَضَى زَمَنِى
أَبلِغْ خَلِيفَتَنَا إنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ أَنِّى لَدَى البابِ كَالمَصْفُودِ فى قَرَنِ(١)
وَحش المَكانةِ مِنْ أَهلِى وَمِن وَلَدِى نَائِى المَحلّةِ عَنَ دَارِى وَعَن وَطَنِى

قال: نعم أبا حزرة ونعمى عين. فلما دخل على عمر قال: ياأمير المؤمنين، إن الشعراء ببابك؛ وأقوالهم باقية؛ وسنانهم مسنونة. قال: ياعون ما لى وللشعراء؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن النبى صلى الله عليه وسلم قد مُدِح وأَعْطَى، وفيه أسوة لكل مسلم. قال: ومن مدحه؟ قلت: عباس بن مرداس؛ فكساه حلة قطع بها لسانه. قال: وتروى قوله؟ قلت نعم:

رَأَيتُكَ يا خَيرَ البَرِيَّة كُلّهَا نَشرتَ كِتاباً جَاءَ بِالحَقِّ معلمَا
وَنَوَّرْتَ بِالبُرْهَانِ أَمْرًا مُدَمَّسًا وَأَطفأتَ بِالبُرْهَانِ نَارًا مُضَرَّمَا(٢)
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى النَّبِىَّ مُحَمَّدًا وَكُلّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا قَدْ تَكَلَّمَا
تَعالَى عُلُوًّا فَوْقَ عَرضِ إلِهِنَا وَكَانَ مَكانُ اللهِ أَعلَى وَأعظَمَا

* * * * * *

قال: صدقت؛ فمَن بالباب منهم؟ قال: ابنُ عمك عمر بن أبى ربيعة. قال: لا قرّب الله قرابته، ولا حيّا وجهه! أليس هو القائل:

أَلَا لَيْتَ أَنّى يَوَمَ حَانَتْ مَنِيَّتِى شَمَمْتُ الَّذِى مَا بَيْنَ عَيْنَيْكِ وَالفَمِ
وَلَيْتَ طَهُورِى كَانَ رِيقَكِ كُلّه وَلَيْتَ حَنُوطِى مِنْ مُشَاشِكِ وَالدَّمِ(٣)
وَيَا لَيْتَ سَلْمَى فِى القُبُورِ ضَجِيعَتِى هُنَالِكَ أَوْ فِى جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمِ

---

(١) المصفود فى قرن: المقيد بالقيود.
(٢) مدمسا: مظلما. ومضرما: موقدا.
(٣) الحنوط: ما يحنط به الميت والمشاشة: رأس العظم اللين الذى يمكن مضغه.

فليته والله تمنى لقاءها فى الدنيا، ويعمل عملا صالحا.والله لا دَخَلَ علىَّ أبدا، فمَن بالباب غير مَن ذكرت؟ قلت: جميل بن معمر العــذرى[١] قال: هو الذى يقول:

أَلاَ لَيْتَنَاَ نَحْيَاَ جَمِيعاً وَإِنْ نَمُـتْ   يُوَافِى لَدَى الْمَوْتَى ضَرِيحِى ضَرِيحُـهَا
فَمَا أَنَاَ فِى طُولِ الحَيَاةِ بِرَاغِبٍ   إِذَاَ قِيلَ قَدْ سَــوّى عَلَيْـهَا صَفِيحُـــهَا
أَظَلُّ نَهَارِى لاَ أَرَاَهَــا وَيَلْتَقِـى   مَعَ اللَّيْلِ رُوحِى فِى المَنَام وَرُوحُــــهَا

اعزب به؛ فو الله لا دَخلَ علىَّ أبدا. فمَن غير من ذكرت؟ قلــت: كثير عزة. قال: هو الذى يقول:

رُهْبَـانُ مَدْيَنَ وَالَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ   يَبْكُونَ مِـــنْ حَـذَرِ العَـذَابِ قُعُــودَا
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَاَ سَمِعْتُ حَدِيثَهَا   خَـــــرُّوا لِعَــزَّةَ رَاكِعِيــنَ سُــجُودَا

اعزب به. فمَن بالباب غــير مــن ذكــرت؟ قلــت: الأحــوص الأنصارى. قال: أبعدَه الله ومحقَه، أليس هو القائل وقد أفسدَ علَى رجــلٍ من أهل المدينة جارية هرب بها منه:

اللهُ بَيْنِـــى وَبَيْـــنَ سَـــيِّدِهَا   يَفِــرُّ عَنِّـــى بِـــهَا وَأَتْبَـــعُ

اعزب به. فمن بالباب غير من ذكرت؟ قلت: همام بــن غــالب الفرزدق. قال: أليس هو القائل يفخر بالزنا:

---

(١) هو جميل بن عبد الله بن معمر العذرى (٠٠٠- ٨٢هـ) شــاعر مــن عشــاق العرب المشهورين بعذريتهم. افتتن ببينته من فتيات قومه فتناقل الناس أخبارهمــا، فصار يعرف بجميل بثينة. شعره يذوب رقة وأكثره يدول حول النسيب والغــزل العذرى والفخر. وأقل ما فيه فى المدح. قصد جميل مصر وافدا على عبد العزيز ابن مروان فأكرمه، وأمر له. بمنزل فأقام قليلا ومــات فيــه (انظــر الأعــلام للزركلى).

هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً   كَمَا انْقَضَّ بَازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كَاسِرُهْ
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ قَالَتَا   أَحَيٌّ يُرَجَّى أَمْ قَتِيلٌ نُحَاذِرُهْ
وَأَصْبَحْتُ فِي الْقَوْمِ الجُلُوسِ وَأَصْبَحَتْ   مُغَلَّقَةً دُونِي عَلَيْهَا دَسَاكِرُهْ[1]
فَقُلْتُ ارْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا   وَوَلَّيْتُ فِي أَعْقَابِ لَيْلٍ أُبَادِرُهْ

اعزب به. فوالله لا دَخلَ عليَّ أبدا، فمَن بالباب غير مَن ذكرت؟ قلت: الأخطل التغلبي. قال: أليس هو القائل:

فَلَسْتُ بِصَائِمٍ رَمَضَانَ عُمْرِي   وَلَسْتُ بِآكِلٍ لَحْمَ الْأَضَاحِي
وَلَسْتُ بِزَاجِرٍ عَنْسًا بُكُورًا   إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ لِلنَّجَاحِ
وَلَسْتُ بِقَائِمٍ كَالْعِيرِ يَدْعُو   قُبَيْلَ الصُّبْحِ حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ
وَلَكِنِّي سَأَشْرَبُهَا شَمُولاً   وَأَسْجُدُ عِنْدَ مُنْبَلِجِ الصَّبَاحِ

اعزب به. فوالله لا وَطِيء لي بساطا أبَدا وهو كافر؛ فمن بالباب غير من ذكرت؟ قلت: جرير بن الخطفى. قال: أليس هو القائل:

لَوْلَا مُرَاقَبَةُ العُيُونِ أَرَيْنَنَا   مُقَلَ المَهَا وَسَوَالِفَ الآرَامِ[2]
هَلْ يَنْهَيَنَّكَ أَنَّ قَتَلْنَ مُرَقِّشاً   أَوْ مَا فَعَلْنَ بِعُرْوَةَ بْنِ حِزَامِ
ذُمَّ المَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى   وَالعَيْشَ بَعْدَ أُولَئِكَ الأَقْوَامِ
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا   حِينَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامِ

فإن كان ولابد فهذا. فأذن له؛ فخرجت إليه فقلت: ادخل أبا حزرة. فدخل وهو يقول:

---

(١) الدساكر: القرى، أو أبنية يتخذها الملوك يكون فيها الشراب واللهو.
(٢) الآرام: الغزان.

إنَّ الَّذِى بَعَثَ النَّبِىَّ مُحَمَّدًا ... جَعَلَ الخِلَافَةَ فِى إِمَامٍ عَادِلِ
وَسِعَ الخَلَائِقَ عَدْلُهُ وَوَفَاؤُهُ ... حَتَّى ارْعَوَى وَأَقَامَ مَيْلَ المَائِلِ
وَاللهُ أَنْزَلَ فِى القُرانِ فَرِيضَةً ... لِابْنِ السَّبِيلِ وَلِلْفَقِيرِ العَائِلِ
إِنِّى لَأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا ... وَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العَاجِلِ

فلما مثل بين يديه قال: اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقا. فأنشأ يقول:

كَمْ بِاليَمَامَةِ مِنْ شَعْثَاءَ أَرْمَلَةٍ ... وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفِ الصَّوْتِ وَالنَّظَرِ
مِمَّنْ يَعُدُّكَ تَكْفِى فَقْدَ وَالِدِهِ ... كَالفَرْخِ فِى العُشِّ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِرِ
يَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَلْهُوفٍ كَأَنَّ بِهِ ... خَبْلاً مِنَ الجِنِّ أَوْ مَسًّا مِنَ البَشَرِ[1]
خَلِيفَةَ اللهِ مَاذَا تَأْمُرَنَّ بِنَا ... لَسْنَا إِليكم وَلَا فِى دَارِ مُنْتَظَرِ[2]
مَا زِلتُ بعدك فِى هَمٍّ يُؤَرِّقنِى ... قَدْ طَالَ فِى الحَىِّ إِصْعَادِى وَمُنْحَدَرِى
لَا يَنْفَعُ الحَاضِرَ المَجهودَ بَادِينَا ... وَلَا يعودُ لَنَا بَادٍ عَلَى حَضَرِ
إِنَّا لَنَرْجُو إِذَا مَا الغيثُ أَخْلَفَنَا ... مِنَ الخليفةِ مَا نرْجُو مِنَ المَطَرِ
نَالَ الخلافةَ إِذْ كانتْ لَهُ قَدَرًا ... كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرِ
هَذِى الأَرَامِلُ قَدْ قَضَّيْتَ حَاجَتَهَا ... فَمَنْ لِحَاجَةِ هَذَا الأَرْمَلِ الذَّكَرِ

فقال: يا جرير، والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثمائة، فمائة أخذها عبد الله، ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام أعطه المائة الباقية.

---

(١) الخبل: الفساد والجنون، والمس: الجنون.
(٢) دار منتظر: دار إقامة.

فقال: والله يا أمير المؤمنين، إنها لأحب مال إلى كسبته. ثم خرج، فقالوا له: ما وراءك؟ قال: ما يسوءكم! خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء، وإنى عنه لراض. ثم أنشأ يقول:

رَأيتُ رُقَى الشيطانِ لا تَستفِزّه   وقدْ كانَ شَيْطانى مِن الجِنّ رَاقِيَا[1]

٨–وفد أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز[2]

ذكر بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — قدم عليه وفود أهل كل بلد، فتقدم إليه وفد أهل الحجاز فاشرأب[3] منهم غلام للكلام.

فقال عمر: يا غلام ليتكلم من هو أسن منك.

فقال الغلام: يا أمير المؤمنين. إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فإذا منح الله عبده لسانا لافظا، وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار، ولو أن الأمور بالسن لكان ها هنا من هو أحق بمجلسك منك.

فقال عمر: صدقت. تكلم فهذا السحر الحلال.

فقال (الغلام): يا أمير المؤمنين. نحن وفد التهنئة، لا وفد المرزئة[4]، ولم تقدمنا إليك رغبة ولا رهبة، لأنا قد أمنا فى أيامك ما خفنا، وأدركنا ما طلبنا.

فسأل عمر عن سن الغلام، فقيل: عشر سنين.

---

(١) الرقى: كناية عن الشعر، أى ينظمه الشعراء من أجل حث الممدوح على العطاء، والرقى: جمع رقية: العودة التى يرقى بها المريض ونحو.

(٢) زهر الأداب وثمر الألباب، الحصرى ص٧ دار الفكر العربى ط٢ / دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى.

(٣) اشرأب: تطلع .

(٤) المرزئة: طلب العطاء .

ثالثا: الوفادة فى عصر الدولة العباسية

١- وفود أشجع السلمى على الرشيد:

قال: حدثنى أشجع السلمى: قال:

شخصتُ من البصرة إلى الرقة، فوجدت الرشيد غازيا، ونالتنى خَلّة، فخرجت حتى لقيتُه منصرفا من الغزو. وكنتُ قد اتصلتُ ببعض أهل داره، فصاح صائح ببابه، من كان ها هنا من الشعراء، فليحضر يوم الخميس، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم، وأُمِرْنا بالبكور فى يوم الجمعة فبكرنا وأُدخِلنا، وقُدّم واحد واحد منا يُنشد على الأسنان، وكُنتُ أحدث القوم سنا، وأرثّهم حالا، فما بُلغ إلىّ حتى كادت الصلاة أن تجب، فقُدّمت والرشيدُ على كرسى، وأصحاب الأعمدة بين يديه سماطان، فقال لى: أنشدنى. فخِفتُ أن أبتدئَ من أول قصيدتى بالتشبيب، فتجب الصلاة ويفوتنى ما أردت، فتركتُ التشبيب وأنشدتُه من موضع المديح فى قصيدتى التى أولها(١):

تذكّرَ عهدَ البيضِ وهو لها تِرْبُ ... وأيامَ يُصبِى الغانياتِ ولا يَصبُو

فابتدأت قولى فى المديح:

إلى مَلِكٍ يستغرقُ المالَ جودُه ... مكارمُه نَثْرٌ ومعروفُه سَكْبُ

وما زال هارونُ الرضا بنُ محمد ... له مِن مياه النصر مشربُها العَذْبُ

متى تبلغ العِيسُ المراسيلُ بابَه ... بنا فهناك الرحبُ والمنزلُ الرحبُ

لقد جُمِعت فيك الظنونُ ولم يكن ... بغيرِك ظنٌّ يستريحُ له القَلبُ

جمعتَ ذوى الأهواءِ حتى كأنهم ... على مَنهجٍ بعد افتراقِهم رَكْبُ

بَثَثْتَ على الأعداءِ أبناءَ دَرْبةٍ ... فلم يفهم منهم حُصُونٌ ولا دَرْبُ

وما زِلتَ ترميهم بهم مُتفرِّدًا ... أنيساكَ حَزْمُ الرأيِ والصارمُ العَضْبُ

جَهدتَ فلم أبلغْ عُلاكَ بمِدحةٍ ... وليس على مَن كانَ مُجْتَهِدًا عَتْبُ

---

(١) الأغانى - لأبى الفرج الأصفهانى ١٨/٢١٢/٢١٣ .

فضحك الرشيد، وقال لي: خِفتَ أن يفوتَ وقتُ الصلاة فينقطع المديحُ عليك، فبدأتَ به وتركتَ التشبيب، وأمرني بأن أنشده التشبيب فأنشدتُه إياه، فأمر لكل واحدٍ مِن الشعراء بعشرة آلاف درهم، وأمر لي بضعفها.

* * * * * * *

٢-وفادة العتابي على المأمون :

قال ابن قتيبة ([١]):

هو كلثوم بن عمرو من بني تغلب من بني عتّاب، من ولد عمرو ابن كلثوم التغلبي، ويُكنَى أبا عمرو، وكان شاعرًا محسنا، وكاتبا في الرسائل مجيدا، ولم يجتمع هذان لغيره، ولما أشخصه المأمون إليه، فدخل عليه، قال له المأمون: بلغتني وفاتك فساءتني، ثم بلغتني وفادتك فسرتني.

فقال العتابي: يا أمير المؤمنين. لو قسمت هذه الكلمات على أهل الأرض لوسعتهم، وذلك لأنه لا دينَ إلا بك، ولا دنيا إلا معك.

قال: سلني.

قال: يدُك بالعطاء أطلقُ مِن لساني.

* * * * * * *

٣-وفود امرأة على المأمون:

قال ابن عبد ربه([٢]):

الشيباني قال: حدثنا محمد بن زكريا عن عباس بن الفضل الهاشمي، عن قحطبة بن حميد قال:

([١]) الشعر والشعراء ابن قتيبة ٨٦٧/٢ .& نقلا عن: الأغاني ٢/١٢-٩ ، تاريخ بغداد ٤٨٨/١٢، معجم الأدباء ٢٦/١٧_٣١ .

([٢]) العقد الفريد تحقيق/ محمد سعيد العريان ٢١/٢٠/١ .

إنى لواقف على رأس المأمون يوما، وقد جلس للمظالم، فكان آخر مَن تقدم إليه ــ وقد هم بالقيام ــ امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفتْ بين يديه، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم، فقال لها يحيى: وعليكِ السلام يا أمة الله، تكلمى فى حاجتك. فقالت:

يا خيرَ منتصِفٍ يُهدَى لـه الرشَـدُ ... ويـا إماماً به قد أشرقَ البلَدُ

تشكو إليك عميدَ القـوم أرملـةٌ ... عُدِى عليها فلم يُترَكْ لها سَبَد(١)

وابتُزّ منى ضِياعى بعدَ مَنعَتِهـا ... ظُلمـاً وفُرّقَ منى الأهلُ والوَلدُ

فأطرق المأمون حينا، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

فى دُونِ ما قلتِ زالَ الصبـرُ والجَلَدُ ... عَنـى وأَقْـرَحَ مِنى القلبُ والكَبِدُ

هذا أذانُ صلاةِ العصـرِ فانصرِفـى ... وأَحضِرِى الخصمَ فى اليوم الذى أَعِدُ

والمجلسُ السبتُ إن يُقضَ الجلوسُ لنا ... نُنْصِفْكِ مِنْهُ وإلا المَجلِـسُ الأَحَـدُ

فلما كان يوم الأحد جلس، فكان أول من تقدم إليـه تلـك المـرأة فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليكِ السلام. أين الخصم؟ فقالت: الواقف على رأسِـك يـا أمـير المؤمنيـن وأومأت إلى العباس ابنه. فقال: يا أحمد بن أبى خالد. خذ بيده فأَجْلِسْـه معها مجلسَ الخصوم، فجعل كلامُها يعلو كلامَ العباس، فقال لها أحمد بن أبى خالد: يا أَمةَ الله، إنك بين يدى أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمـير فاخفِضِى من صوتك، فقال المأمون: دعها يا أحمد. فإنّ الحـقّ أنطقَـها

(١) سبد: قليل.

وأخرسه. ثم قضى لها بردّ ضيعتِها إليها، وظُلم العبّاس بظلمِه لها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذى ببلدها أن يوغر[1] لها صنيعتها، ويُحسن معاونتها، وأمر لها بنفقة.

٤- وفود إبراهيم بن المهدى على المأمون[2]:

حدثنا الأخفش قال: بلغنى أن إبراهيم بن المهدى دخل على المأمون قبل رضاه عنه، فقال: يا أمير المؤمنين. وَلىُّ الثأر مُحكَّم فى القصاص، ومن تناوله الاغترار بما مُدّ له من أسباب الرخاء أمِنَ عاديةَ الدهر، وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب، كما جعل كل ذى ذنب دونك فإن تأخذ فبحقّك، وإن تعفُ فبفَضْلِك، ثم قال:

ذَنْبى إليكَ عظيم وأنتَ أعظمُ مِنْه
فخُذ بحقّكَ أَوْلا فاصفَحْ بفضلِكَ عنْه
إنْ لَم أكُنْ فى فعَالى مِن الكرام فكُنْه

فقال: القُدرةُ تُذْهِبُ الحَفيظة، والندمُ توبة، وعَفْوُ الله بينهما، وهو أكبر ما يحاول. يا إبراهيم، لقد حَبَّبْتَ إلىّ العفوَ حتى خِفت ألا أوجَرَ عليه. لا تثريبَ عليك، يغفرُ الله لك، وعفا عنه، وأمر بردّ مالِه وضياعه فقال:

رددتَ مالى ولم تبخلْ علىَّ به وقبلَ رَدِّك مالى قد حَقَنْتَ دَمِى
فأُبتُ مِنك وما كافأتُها بيَدٍ هما الحياتان مِن وَفر ومِن عَدَم
وقام علمُك بى فاحتجَّ عندَك لِى فقام شاهِدَ عدل غيرَ مُتهَم
فلو بَذَلْتُ دَمِى أبغِى رضَاكَ بهِ والمالَ حتى أسُلَّ النعلَ مِن قَدَمِى
ما كان ذاك سوى عَاريةٍ رجعَتْ إليكَ لو لم تَهَبْهَا كنتَ لم تُلَم

---

(١) يوغر - يسقط الخراج عليها.
(٢) الأمالى - لأبى على القالى ٢٤٣/١ .

من الوفادات على أبى جعفر المنصور[1]

أبو الحسن المدائنى قال: لما حج المنصور مر بالمدينـــة، فقـــال للربيع الحاجب: على بجعفر بن محمد. قتلنى الله إن لم أقتله.

فمطل به، ثم ألح عليه فحضر، فلما كشف الستر بينه وبينه، ومثل بين يديه، همس جعفر بشفتيه: ثم تقرب وسلم. فقال (المنصور): لا سلم الله عليك يا عدو الله، تعمل على الغوائل فى ملكـــى؟ قتلنـــى الله إن لـــم أقتلك.

قال: يا أمير المؤمنين. إن سلمان - صلى الله على محمد وعليه - أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنـــت على إرث منهم، وأحق من تأسى بهم، فنكس أبو جعفـــر رأســـه مليـــا، وجعفر واقف، ثم رفع رأسه فقال: إلى أبا عبيـــد الله. فـــأنت القريـــب القرابة، وذو الرحم الواشجة، السليم الناحية، القليل الغائلة. ثم صافحـــه بيمينه، وعانقه بشماله، وأجلسه معه على فراشة، وانحرف له عن بعضه وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسائله.

ثم قال: يا ربيع، عجل لأبى عبد الله كسوته وجائزته وإذنه.

قال الربيع: فلما حال الستر بينى وبينه أمسكت بثوبه، فقال: مـــا أرانا يا ربيع إلا وقد حبسنا. فقلت: لا عليك. هذه منى لا منه. فقـــال: هذه أيسر، سل حاجتك. فقلت له: إنى منذ ثلاث أدفـــع عنـــك، وأدارى عليك، ورأيتك إذ دخلت همست بشفتيك، ثم رأيت الأمر انجلى عنك، وأنا خادم سلطان ولا غنى لى عنه، فأحب أن تعلمنيه.

قال: نعم. قلت: "اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام، واكفنى بحفظك الذى لا يرام، ولا أهلك وأنت رجائى، فكم من نعمة أنعمتها على، قل لك

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه مجلد ٢ ص٢٨، ٢٩ تحقيق/ العريان.

عندها شكرى فلم تحرمنى، وكم من بلية ابتليت بها قل عندها صبرى فلم تخذلنى، بك أدرأ فى نحره، وأستعيذ بخيرك من شره، فإنك على كل شئ قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم".

حديث أبى جعفر المنصور مع وافد من أهل الشام(١)

وحدثنا عمر بن شبة قال: حدثنى يحيى قال: حدثنى رجل من ولد خزيمة بن يحيى قال: قدم رجل من أهل الشام من بنى مرة علـــى أبـــى جعفر المنصور، فتكلم معه كلاما حسنا فقال له أبو جعفر: حاجتك؟ فقال: يبقيك الله يا أمير المؤمنين. قال: حاجتك فإنه ليس كل ساعة يمكنك هـذا ولا تؤمر به؟

فقال: والله ما أستقصر عمرك، ولا أخاف بخلك، ولا أغتنم مالك، وإن سؤلك لشرف، وإن عطاءك لزين، وما بامرئ بذل وجهه إليك نقص ولا شين.

فقال أبو جعفر: يا ربيع. لا ينصرف من مقامه إلا بمائـــة ألـــف درهم. فحملت معه.

وفادة ابن عتبة على المهدى(٢)

ولما توفى المنصور، دخل ابن عتبة مع الخطباء على المـــهدى، فسلم ثم قال: آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبلـــه، وبـــارك لأمير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده، فلا مصيبة أعظم مـــن فقد أمير المؤمنين، ولا عقبى أفضل من وراثه مقام أمير المؤمنين، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية، واحتسب عند الله أعظم الرزية.

---

(١) النوادر ٢٤٧ .
(٢) الأمالى ١/١٩٢ .

وفد الشام إلى المنصور(١)

قدم على أبى جعفر المنصور وفد من أهل الشام بعد انهزام عبدالله ابن على،وفيهم: الحارث بن عبد الرحمن الغفارى، فتكلم جماعة منهم، ثم قام الحارث فقال: يا أمير المؤمنين. إنا لسنا وفد مباهاة، ولكنا وفد توبة استخفت حليمنا فنحن بما قدمنا معترفون، وبما سلف منا معتذرون، فإن تعاقبنا فبما أجرمنا، وإن تعف عنا فطالما أحسنت إلى من أساء.

فقال المنصور: أنت خطيب القوم، ورد عليه ضياعه بالغوطة.

وقال رجل من أهل الشام للمنصور: يا أمير المؤمنين. من انتقم فقد شفى غيظه وانتصف، ومن عفا تفضل، ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله، وكظم الغيظ حلم، والتشفى طرف من الجزع ولم يمدح أهل التقى والنهى من كان حليما بشدة العقاب، ولكن بحسن الصفح والاغتفار وشدة التغافل.

وبعد، فالمعاقب مستدع لعداوة أولياء المذنب والعافى مسترع لشكرهم آمن من مكافأتهم، ولأن يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن توصف بضيقه، على أن إقالتك عثرات عباد الله موجب لإقالة عثرتك من ربهم، وموصول بعفوه، وعقابك إياهم موصول بعقابه. قال الله عز وجل :"خُذ العَفْوَ، وَأْمُرْ بِالعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِين"(٢).

---

(١) زهر الآداب — الحصرى ٧٨٣/٢ ، و/العقد الفريد — ابن عبد ربه ٢٦/١ .
(٢) سورة الأعراف ، الآية رقم ١٩٩ .

الفصل الثالث

نماذج من الرسائل التى حملها سفراء النبى (ص)

سبق أن استعرضت سفراء النبى — صلى الله عليه وسلم — الذين بعثهم إلى الملوك والزعماء، وكما أوردت ما ذكـــره صـــاحب (نهايـــة الأرب) من أنه — صلى الله عليه وسلم — أرسل ستة من هؤلاء الرسـل إلى ستة من الملوك " [١] وكان ذلك فى شهر المحرم من السنة الســابعة لمهاجره الشريف. ونتناول هنا — الرسائل التى حملها كل سفير.

١- **عمرو بن أميّة الضمرى**: (عمرو بن أمية بـن خويلـد بـن عبدالله بن إياس بن عبدالله ناشرة بن كعب) [٢] .

"كان أول سفرائه عليه الصــلاة والســلام.... وأرسـله إلـى النجاشى ملك الحبشة الذى استجاب لدعوة الإسلام، كتب معـــه كتـــابين يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن، فأخذ النجاشى كتـــاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — فوضعه على عينيـــه، ونـــزل عـــن سريره، فجلس على الأرض ثم أسلم، وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنـــت أستطيع أن آتيه لأتيته، وكتب إلى رسول الله — صلى الله عليه وســلم — بإجابته وتصديقه وإسلامه على يدى جعفر بن أبى طالب"[٣].

وجاء فى رسالته الأولى صلى الله عليه وسلم التى يدعوه فيها إلى الإسلام:

بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله. إلى النجاشى ملك الحبشة .

([١]) نهاية الأرب ١٥٧/١٨ ، وسفراء النبى ٣٧، زاد المعاد ٢٤٣ ، السيرة النبويـــة ٤٤٩/٤ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

([٢]) زاد المعاد ٢٣٧، الطبقات الكبرى ابن سعد ٢٩٩/٤ السيرة النبويـــة ط بـــيروت ٦٠٧ .

([٣]) نهاية الأرب ١٥٧/١٨، سفراء النبى ٣٣،٤١، السيرة النبوية ٤٤٩/٤ .

أما بعد، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن· وأشهد أن عيسى بن مريم· روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما نفخ آدم بيده، وإنى أدعوك إلى الله وحده، لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعنى، وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله، وإنى أدعوك وجنودَك إلى الله تعالى، وقد بلّغتُ ونصحت، فاقبلوا نصيحتى· وقد بعثت فيكم ابن عمى جعفرا، ومعه نفر من المسلمين والسلام على من اتبع الهدى"(١) ·

وهذا المكتوب "قد ظفر المستشرق الإنجليزى (دنلوب) بأصله المكتوب،ونشر صورته الشمسية فى مجلة (الجمعية الملكية الأسبانية){JRAS}الإنجليزية فى شهر يناير سنة ١٩٤٠م(٢)·

وفى الكتاب الثانى يأمره أن يزوّجه أمَّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب، وكانت قد هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها عبدالله بن جحش الأسدى، فتنصر هناك ومات· وأمره رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يبعث إليه مَن قِبَلَه مِن أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة،وأن يحملهم، ففعل، وزوّج رسولَ الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمَّ حبيبة وأصدَقَها أربعمائة دينار، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم، وحملهم فى سفينتين مع عمرو بن أمية· وجعل كتابَىْ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حُقّ من عاج(٣)·

والملاحظ أن النجاشى، كان يتبع قيصر الروم، أو تحت سيطرته ولكنّ قيصرَ رفض دعوة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ له إلى الإسلام، وأبى الإجابة، ورد دعوته، وكذلك فعل كسرى، وهذا ما دعا

---

(١) سفراء النبى عليه السلام ٣٣ د· مختار الوكيل ·
(٢) الكتابة والكتاب فى عهد الرسول (ص) ٣٧ د· محمد جمعه ·
(٣) نهاية الأرب ١٥٧/١٨، ١٥٨ ·

النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى مكاتبة مَن تحتهما من الحكام كنجاشى الحبشة([1])، الذى أنار الله بصيرته، وهَدَاه إلى الإسلام.

وكان النجاشى قد استقبل المهاجرين الأوائل من المسلمين الذين فَرُّوا من ظلم وتعسف أهل مكة، فأحسَنَ وفَادَتهم وأكرَمَهم، وسمِعَ منهم القرآنَ الكريم،حين واجهوا وفد قريش الذين ذهبوا إلى الحبشة، لإيغار صدر النجاشى على المسلمين وإعادتهم إلى مكة. فاقتنع النجاشى بما جاء فى القرآن الكريم، وقال قولته المشهورة: إن ما جاء به هذاالقرآن ـ وما جاء به عيسى، ليخرجان مِن مِشكَاةٍ واحدة.

وأرى أن هذه البذرة الإيمانية عند النجاشى أينعت وأثمرت وآتت أكلها يوم وصلته رسالة النبى — صلى الله عليه وسلم — يدعوه إلى الإسلام، فسارع ملبيا دعوة التوحيد، وقال:" أشهد بالله أنه النبى الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل "([2]).

٢- **السفير دحية الكلبى:** ([3]) {دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة ابن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج "([4]) .

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى قيصر ملك الروم وكتب إليه:

"بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم.

سلام على من اتبع الهدى.

([1]) الكتابة والكتاب فى عهد الرسول (ص) ٣١ د. محمد جمعة .

([2]) سفراء النبى (ص) ٣٤ .

([3]) نهاية الأرب ١٥٨/١٨، البداية والنهاية /١٥ ، سفراء النبى ١٧،١٨ .

([4]) زاد المعاد ٢٣٩ وانظر زاد المعاد ١١٣، السيرة النبوية ط بيروت سنة ٦٠٧ .

أما بعد — فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم البريسيين([1]) و" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"([2])٠

وقد حاول هرقل أن يتثبت من صحة نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — فطلب من أبى سفيان بن حرب وركب من قريش — وكانوا فى تجارة بالشام — أن يوافوه فى قصره، فحضروا إليه،ودار بينهم نقاش توصل هرقل من خلاله إلى صحة رسالة محمد، وحاول أن يختبر مدى قبول أساقفته ورهبانه للإسلام، ولكنه وجد منهم نفورا وعنادا، فمالأهم على كفرهم، حتى مات٠

ووردت كتابات بأن (هرقل) قيصر الروم وضع كتاب النبى (ص) فى قصبة ذهب تعظيما له، وأنهم لا يزالون يتوارثونه كابرا عن كابر فى أرفع محراب وأعز مكان، حتى كان عند (ادفونش) الذى تغلب على طليطلة وما أخذ من بلاد الأندلس، ثم كان عند ابن بنته المعروف بابن (السليطنة) ٠

٣- **عبد الله بن حذافة السهمى** (عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم بن عمرو بن حصيص ([3]) ٠

([1]) البريسيين: المقصود: الفلاحون والزارعون (أى: جميع الرعية) ٠
([2]) سورة آل عمران الآية ٦٤ ٠
([3]) زاد المعاد ٢٤١ ٠

بعثه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى كسرى ملك الفرس[١] يدعوه إلى الإسلام، وأرسل معه كتابا هذا نصه: [٢]

"بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس.

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له. وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله ـ عزوجل ـ فإني رسول الله إلى الناس كلهم، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم، فإن توليت، فعليك إثم المجوس" .

وقد حمل هذا الكتاب العظيم إلى كسرى، السفير النبوى الكريم عبد الله بن حذافة السهمى. فلما قرئ على كسرى، أخذته العزة بالإثم وغره سلطانه وجبروته، وأمسك بالرسالة النبوية الشريفة ومزقها.

فلما بلغ ذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال كلمته الخالدة: "مُزِّقَ مُلْكُه" . وقد صدق قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.

قال عليه الصلاة تعليقا على ذلك :"أما هؤلاء (يعنى الفرس) فيمزقون...."[٣]

وقد زعم د/ محمد جمعه فى كتابه[٤] أن هذا الكتاب "موجود الآن فى خزانة كتب خاصة ملك السيد/ هنرى فرعون، وفضل الاكتشاف يعود إلى الدكتور/ صلاح الدين المنجد" وأرى عدم صحة هذا الزعم؛ لمخالفته

---

[١] سفراء النبى (ص) ٢٦ .
[٢] سفراء النبى ٣١ ونهاية الأرب ١٦٣/١٨ .
[٣] سفراء النبى (ص) ٣١، زاد المعاد ١١٥ .
[٤] الكتابة والكتاب فى عهد الرسول ٣٧ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

لما جاء فى المراجع التاريخية وكتب الحديث، ومنافاة الجمع بين تمزيق الرسالة، ووجودها لدى السيد/ هنرى فرعون ٠

٤- حاطب ابن أبى بلتعة:

بعثه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى المقوقس: صاحب الإسكندرية، وعظيم أقباط مصر ٠ وأرسل معه كتاباً جاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم ٠

من محمد عبد الله ورسوله، إلى المقوقس عظيم القبط

سلام على من اتبع الهدى٠

أما بعد، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فعليك إثم القبط(١) "يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"(٢)٠

ولما وصل حاطب إلى المقوقس، سلمه الرسالة، فأخذ المقوقس كتاب النبى ــ صلى الله عليه وسلم، فوضعه فى حُقٍّ من عاج ودفعه لجارية له، ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبى ــ صلى الله عليه وسلم:

"لمحمد بن عبد الله

من مقوقس عظيم القبط٠

أما بعد٠ فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرته، وما تدعو إليه، وقد علمتُ أنَّ نَبياً بقى، وقد كنتُ أظن أن يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك"٠

(١) سفراء النبى (ص) ٣٧ ٠
(٢) سورة آل عمران ــ الآية ٦٤ ٠

وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام" (١)٠

ولم يَرُدّ المقوقس بأكثر من ذلك ولم يُسلم٠

وقد اكتشف المستشرق الفرنسى (بار تيميلى) فى كنيسة قرب أخميم بصعيد مصر، الأصلَ المكتوب لهذه الرسالة،وهو موجود الآن بمتحف (توب فابى) باستنبول (٢)٠

٥- **العلاء بن الحضرمى:**

كان سفير رسول الله — صلى الله عليه وسلم إلى: المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين، بعثه معه بكتابه الشريف إلى المنذر(٣)٠

وكان المنذر قد أرسل إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — كتابا جاء فيه:

(أما بعد يا رسول الله، فإنى قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجب به، ودخل فيه٠ ومنهم من كرهه وبأرضى يهود ومجوس، فأحدث إلى فى ذلك أمرك) (٤)٠

حكى ابن سعد:"واسم الحضرمى: عبد الله بن ضماد بن سلمى بن أكبر — من حضرموت من اليمن٠ عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمى: أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعثه منصرفه من الجعرانة، إلى المنذر بن ساوى العبدى بالبحرين

(١) سفراء النبى (ص) ٣٨ ٠
(٢) عن: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة ١٠٠ ، ١٠٧ د/ محمد حميدالله الوثيقة /٤٩ دار الإرشاد بيروت ٠
(٣) زاد المعاد ١١٦ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ ٠
(٤) سفراء النبى (ص) ٣٩،٤٠ ٠

وكتب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ معــه كتابــا يدعــوه فيــه الإسلام(١) كان نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

"من محمد رسول الله.

إلى المنذر بن ساوى.

سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وأشــهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله.

أما بعد، فإنى أذكّرك الله عزوجل، فإنه من ينصح فإنمــا ينصــح لنفسه، ومن يُطع رسلى، ويتبع أمرهم فقد أطاعنى، ومن يَنصحْ لهم فقــد نصح لى.

وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرا، وإنى قد شفعتك فى قومك فــاترك للمسلمين ما أسلموا عليه.

وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تُصلــــح فلــن نعزلك من عملك، ومن أقام على يهوديته أو مسيحيته فعليه الجزية".

ونتوقف قليلا مع هذه الرسالة، لاحتوائها على غير مــا احتوتــه الرسائل الأخرى.

فقد اختلف مضمونها عما عداها من الرسائل؛ لأنها:

١-موجهة إلى أحد الحكام الذين سبق أن كاتبوا الرسول موضحين حالة مجتمعهم وتكوينه.

٢-أن هذا الحاكم طلب رأىَ الرسول ــ صلى الله عليه وســلم ــ فى منهج التعامل مع الفئات المتعددة فى شعبه، من مسلمين وغيرهم مــن اليهود والنصارى فلكل حكمه، وأسلوب التعامل معه.

---

(١) الطبقات الكبرى ابن سعد ٣٥٩/٤، ٣٦٠.

٣-نجد حكمة الرسول — صلى الله عليه وسلم — تتجلى بوضوح فى رده على هذا الحاكم: حيث حدد له كيف يتعامل مع كل فئة من هذه الفئات.

٤- الرسائل الأخرى التى حملها سفراء النبى — صلى الله عليه وسلم — كانت تحمل الدعوة إلى الانضواء تحت مظلة الإسلام، والإقرار بوحدانية الله تعالى، وتطبيق تعاليم الإسلام.

٥-نلاحظ فى هذه الرسالة، أن تحيتها (سلام عليك) ، أما الرسائل الأخرى، فتحيتها: (سلام على من اتبع الهدى) . ولا شك فى أن هذا الاختلاف فى صيغة التحية، فيه ما يشعر بتعليق التحية فى نصها الثانى على من سيدخل فى إطار الإسلام، والاهتداء إلى التوحيد والإيمان بالإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، أما التحية الأولى فتشعرنا بإقرار المنذر بن ساوى، ودخوله فى الإسلام.

٦-فى الرسالة ما يشير إلى أَنَّ رسلاً لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — سبق أن قابلوا المنذر بن ساوى — وتعرفوا عليه وعلى أخلاقه، وهذا من قوله صلى الله عليه وسلم فى هذه الرسالة:
"وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرا".

٧- فيها — أيضا — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — يشفع المنذر فى قومه وهذا يدل على رضاء النبى — صلى الله عليه وسلم — عليه.

٨- وفيها — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — يقره على عمله. ويعطى الحرية لأصحاب الأديان الأخرى، فى البقاء على دينهم ودفع الجزية، أو الدخول فى الإسلام، مما يوضح بجلاء سماحة الدين والنبى.

٦-عمرو بن العاص:

سفير النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى: جيفر وعبــــد ابنــى الجُلُنْدى، وكان ذلك "فى ذى القعدة سنة ثمان "(١) وحمَّله كتابَه إليـــهما وقد جاء فى هذا الكتاب:

"بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد عبد الله ورسوله.

إلى جيفر وعبد ابنى الجُلندى.

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام.

أسلما تسلما؛ فإنى رسول الله إلى الناس كافة،لأنذر من كان حيـــا ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإســـلام وَلَّيتُكمـــا، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن مُلْكَكما زائل عنكما، وخيلى تحل بســـاحتكما وتظهر نبوتى على مُلْكِكما"(٢).

وقد أجابا بالإسلام "وخليا بين عمرو والصدقة والحكم بينهم، فلــم يزل بينهم حتى بلغته وفاة الرسول"(٣).

٧- سليط بن عمرو العامرى: (٤)

أرسله النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى هوذة بـــن علــى ــ صاحب اليمامة، وبعث معه رسالة إليه. وهى كالآتى:

"بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد رسول الله .

---

(١) زاد المعاد ١١٦ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

(٢) سفراء النبى (ص) ٤١ .

(٣) زاد المعاد ١١٦ .

(٤) السيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ .

إلى هوذة بن على٠

سلام على من اتبع الهدى٠

واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخُفّ والحَافِر

فأسلم تسلم

أجعل لك ما تحت يدك " (١)٠

فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مختوما أنزله منزلا كريما، وحياه وقرأ عليه الكتاب٠

فكتب هوذة إلى النبى — صلى الله عليه وسلم ٠ يقول:

"ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله! والعرب تهاب مكانى، فاجعل لى بعض الأمر أتبعك" فلما عاد سليط إلى النبى — صلى الله عليه وسلم — وعلم بما طلب ٠ قال عليه السلام:

"لو سألنى قطعة من الأرض ما فعلت٠ بادَ وبادَ ما فِى يدِه" ثم علم النبى بموت هوذة٠

أما هذه الرسالة — فإلى جانب ما هو متبع فى بقية الرسائل من افتتاحية وتوجيه وتحية — نجد أنها حوت عبارات قوية، تشير إلى مدى عظمة النبى صلى الله عليه وسلم — ومنعته وعزه، وسلطانه الذى أيده الله تعالى به، ونرى أن الدعوة إلى الإسلام سبقت بتقرير النبى — صلى الله عليه وسلم — وإخباره بانتشار الإسلام وانتصاره وبلوغه كل جزء من الأرض، وكنى بذلك عن كل ما يصل إليه خف جمل أو حافر حصان٠

ثم إن الإسلام يعز أنصاره، ويمد أتباعه بكل مظاهر القوة والسيادة، فهوذة — إن أسلم — سيبقى فى مكانه سيدا عظيما مطاعا ولكنه اشترط أن يجعل له الرسول مقابلا لإسلامه، وهذا ما رفضه

(١) سفراء النبى (ص) ٤٢ ٠

الرسول — صلى الله عليه وسلم — وكان مدعاة لدعائه عليه بالهلاك، وقد تحققت فيه دعوة النبى — صلى الله عليه وسلم — فهلك · كما تحققت نبوءة المصطفى بظهور مسيلمة الكذاب فى أرض اليمامة وهلاكه·

٨- شجاع بن وهب الأسدى : (شجاع بن وهب بن ربيعة بن أسد ابن صهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن رودان بن أسد بن خزيمة([1]) أرسله النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى الحارث بن أبى شمر ملك البلقاء،وقيل إنما توجه لجبلة بن الأيهم، وقيل توجه لهما معا([2]) بعثه النبى — صلى الله عليه وسلم — إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى، وكان بغوطة دمشق، وكتب له بهذه الرسالة معه:

"بسم الله الرحمن الرحيم·

من محمد رسول الله ·

إلى الحارث بن أبى شمر

وسلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق·

وإنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده، لا شريك له، يبقى لك ملكك"([3])

ولكن الحارث لم يسلم، فدعا عليه النبى وقال: باد، وباد ملكه — وقد كان

٩- معاذ بن جبل :

بعثه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى اليمن · وأوصاه بوصية رائعة مجيدة، حكى ابن إسحاق عنها بقوله:

([1]) زاد المعاد ٢٤٤ ، طبقات ابن سعد ٢/٦٦١ والسيرة النبوية ط بيروت ٦٠٧ ·
([2]) زاد المعاد ١١٦ ·
([3]) سفراء النبى (ص) ٤٤ ·

"حدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدِّثَ: أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين بَعث معاذًا أوصاه، وعهد إليه، ثم قال له:

"يَسِّر ولا تُعَسِّر، وبَشِّر ولا تُنَفِّر، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب، يسألونك ما مفتاح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له" ٠

قال: فخرج معاذ، حتى إذا قَدِم اليمن، قام بما أمره رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم(١)٠

وهناك روايات تخبرنا أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعث مع معاذ أبا موسى الأشعرى، كما تخبرنا بعض الروايات عن بعثه ــ صلى الله عليه وسلم ــ عليا بن أبى طالب، معهما فهؤلاء السفراء الثلاثة رضوان الله عليهم٠ سفراؤه إلى اليمن٠

---

١٠ – عياش بن ربيعة:

بعثه رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى بنى عبد كلال(٢) وقال له: خذ كتابى بيمينك، وادفعه بيمينك فى أيمانهم، فهم قائلون لك: اقرأ ٠ فاقرأ "لَمْ يَكُن الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ"(٣) فإذا فرغت منها ، فقل: آمن محمد، وأنا أول المؤمنين، فلن تأتيك حجة إلا وقد دُحِضَت، ولا كتاب زخرف إلا وذَهَبَ نوره، ومحّ لونه(٤)، وهم قارئون،فإذا رطنوا(٥) فقد ترجموا، فقل: حسن ٠ آمنتُ بالله وبما أنَزَل

---

(١) السيرة النبوية/ ابن هشام ٥٩٠/٤ ، صحيح البخارى ٨١/٣ ط إسكندرية ٠
(٢) العقد الفريد ابن عبد ربه ت/ محمد سعيد العريان ٢٥٧/١ ، ت/ أحمد يسرى ع١٠ ص٤٤ ٠
(٣) البينة الآية : ١ ٠
(٤) مح لونه: درس وبلى ٠
(٥) رطنوا: تكلموا بالأعجمية ٠

من كتاب الله، فإذا أسلموا فسلهم قضبهم الثلاثة التى إذا تخصروا[1] بها سُجِد لهم، وهل الأثل[2] قضيب ملمع ببياض، وقضيب ذو عجر[3] كأنه من خيزران[4]، والأسود البهيم، كأنه من سماسم[5]، ثم اخرج بها فحرّقها فى سُوقِهم".

سفراء من أعضاء الوفود :

هؤلاء السفراء كانوا — فى الأصل — أعضاء وفود قَدِمَتْ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وبعد إعلانهم إسلامهم، وحان موعد رحيلهم،كَلَّف رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعضَهم بتكاليف معينة، وحمَّلهم رسائل إلى قومهم. فقد "قَدِمَ على النبى — صلى الله عليه وسلم — تميم بن أوس الدارى" فى ستة نفر من الداريين، فأسلموا جميعا وسألوه أن يعطيهم أرضا من أرض الشام فأعطاهم إياها، وكتب لهم فى ذلك كتابا شريفا، فحواه كما يلى:

"بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد — صلى الله عليه وسلم — للداريين إذا أعطاه الله الأرض، وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطون، وبيت إبراهيم، ومن فيهم إلى أبد الأبد"[6].

---

[1] تخصروا: أخذوا بأيديهم ما يتوكأ عليها كالعصا ونحوها .

[2] الأثل: شجر من الفصيلة الطرقاوية، طويل، مستقيم، يعمر: جيد الخشب ، كثير الأغصان متعقدها، دقيق الورق.

[3] العجر: جمع عجرة: العقدة فى الخشب .

[4] الخيزران: جنس نبات من الفصيلة النجيلية لين القضبان أملس العيدان.

[5] سماسم : شجر أسود أو هو الأبنوس .

[6] سفراء النبى ٤٥ .

وشهد على هذه الرسالة الجليلة عباس بن عبد المطلب، عم النبى وخزيمة بن قيس، وشرحبيل بن حسنة، وهو الذى تولى كتابة الرسالة.

كما أن (يوحنا بن رؤية) صاحب أيلة (بيت المقدس) ، أتى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بتبوك، وأعلن إسلامه، وصالح رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأعطاه الجزية، فكتب له رسول الله خطابا، يقول فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أَمَنَة (أى أمان) من الله، ومن النبى رسول الله ليوحنا بن رؤية، وأهل أيلة، أساقفتهم وسيارتهم، فى البر والبحر — لهم ذمة الله وذمة النبى، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثا، فإنه لا يحول ما له دون نفسه، وأنه طيب لمن أخذه من الناس، وأنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه، وطريقا يريدونه من بر أو بحر"([1]).

كما كتب النبى (ص) لأهل جرباء وأذرح لما أتوه بتبوك وأعطوه الجزية "بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب من محمد النبى، رسول الله، لأهل جرباء وأذرح إنهم آمنون بأمان الله، وأمان محمد.

([1]) نفسه ٤٧ .

وإن عليهم مائة دينار فى كل رجب، وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين فى المخافة"([١]).

كما كتب — صلى الله عليه وسلم — إلى ابن ضميرة:

"من محمد رسول الله، لابن ضميرة وأهل بيته .

إن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أعتقهم، وإنهم أهل بيت من العرب، إن أحبوا أقاموا عند رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإن أحبوا رجعوا إلى قومهم، فلا يعرض لهم إلا بحق، ومن لقيهم من المسلمين فليستوص بهم خيراً"([٢]).

ومن الرسائل التى كتبها رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رسالته إلى أكيدر دومة([٣])، وقد كتب فيها:

"من محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم، لأكيدر دومة، حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد — سيف الله — فى دومة الجندل وأكنافها: إن لنا الضاحية([٤]) من الضحل([٥]) والبور([٦]) والمعامى([٧]) وأغفال([٨]) الأرض، والحلقة([٩]) والسلاح والحافر

([١]) سفراء النبى ٤٨ .
([٢]) نفسه ٤٩ .
([٣]) العقد الفريد ١/٢٥٥،١٥٦ .
([٤]) الضاحية: الغنامى — الظاهر من الأرض .
([٥]) الضحل: الماء القليل على الأرض .
([٦]) البور: الأرض التى لا تزرع .
([٧]) المعامى : الأرض المجهولة .
([٨]) أغفال :ج غفل ما لا أثر فيه من عمارة .
([٩]) الحلقة: الدرع. الحبل : الدروع .

والحصن([1])، ولكم الضامنة([2]) من النخل،والمعين([3]) مـن المعمـور، لا تعدل سارحتكم([4]) ولا تعد فاردتكم([5])، ولا يحظـر عليكـم النبـات([6]) تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة لحقها، عليكـم بذلـك عـهد الله والميثاق، ولكم به الصدق والوفاء شهد الله ومَن حضر مِن المسلمين "٠

([1]) الحصن: كل موضع حصين لا يوصل إلى جوفه والمقصود دومة الجندل ٠
([2]) الضامنة: ما يكون في القرية من النخيل أو ما أطاق به ٠
([3]) المعين: الظاهر الجارى على وجه الأرض من الماء منها سور المدينة ٠
([4]) سارحتكم: السارحة : الماشية٠
([5]) فاردتكم : الذى لا تجب فيه صدقة ٠
([6]) لا يحظر عليكم النبات: لا يمنع عنكم الرعى حيث شئتم ٠

الباب الثالث

التحليل والدراسة للوفادة والسفارة

الفصل الأول

حول الوفادة والسفارة

أهمية أدب الوفادة والسفارة:

أدب الوفادة والسفارة ، يمثل ركيزة من أهم وسائل الاتصال بين شعوب الأمم — وبخاصة الأمة العربية — منذ القدم ، وخصوصا بين المسئولين بعضهم بعضا ، أو بين الزعماء والحكام والأفراد من جهة أخرى ، وقد يكون عاملا من عوامل إرساء قواعد الأمن والسلام والاستقرار .

ولقد دفع إلى هذا اللون الأدبى حاجة الزعماء أو شيوخ القبائل إلى استطلاع حقائق وأحداث عصورهم ، أو الإبلاغ عن آرائهم ووجهات نظرهم فى تلك الأحداث ، وتحقق ذلك من خلال قيام أفراد ذوى صفات ومزايا خاصة ، بالقيام بتلك الوفادات ، متحدثين بما يجول بخواطرهم من أفكار، وما يعتمل فى نفوسهم من مشاعر وأحاسيس .

وكانت الوفادة تجرى مشافهة بين الوفود وذوى الشأن الذين أتوا إليهم ، وربما حملت بعض الوفود رسالة تضم ما يجرى فى ضمير مرسلها .

ألوانها ووسائل تعبيرها:

واتخذت الوفاة صورا متعددة من ألوان التعبير ، فجاءت نثرا خالصا ، كما جاءت شعرا خالصا ، وقد تجمع بين اللونين فى ثناياها: شعرا ونثرا .

فكانت تعبيرا راقيا ، وأسلوبا عاليا ، يدل على ما يتميز به أصحابها من مقدرة بيانية ، وملكة بلاغية ، كما عبرت عن شجاعة ذاتية، وجـرأة شخصية ، وثقة نفسية عالية ، وأصالة معتزة بعروبتها مفتخرة بأرومتها ·

دلالتها:

والوفادة تدل على أسلوب متحضر فى التعـامل ، لأنـها محاولـة للوصول إلى الحقائق، بما يشبه فى عصرنا التفاوض فى حل المشـكلات بعيدا عن ميادين الحرب ، واستخدام القوة والسلاح ، وقد تكون بعـد أو أثناء المعارك ·

تطورها:

وقد عرفت الوفادة منذ العصر الجاهلى ، ورأينا لها نماذج مما كان بين كسرى والنعمان ، وما دار فى اللقاء بين هذين العاهلين الكبيرين من مفاخرة، حاول فيها كسرى الحط من قدر العرب ، وتفضيل غيرهم مـن الأمم عليهم ، وتناول بعض عاداتهم بالتشويه ، وبعض أعمالهم بالتسـفيه مما حدا بالملك العربى إلى التصدى لكـل مـا قالـه كسـرى بـالتفنيد والدحض، وكشف ما ران على بصره من حقيقة ما وصم به العـرب ، ولم يكتف النعمان بذلك النصر المعنوى ، فكلف بعض رجال العـرب ، ممن يجيدون الكلم ، ويتحلون بالحلم ، فى التصدى لهذا الملك ، وقيام كل منهم محاميا عن أمة العرب ، كاشفا ما نزل بها من ظلم كسـرى مـن وصف لهذه الأمة ، رافعا من شأنها مثبتا لها عظمتها وأصالتها ، معليـا قدرها ، محققا لها فخرها وعزها ، مصورا لعاداتها وتقاليدها فى أصـدق صورة ، وأشرف هيئة ·

وكانت الوفادة مجالا لإظهار براعة أعضاء الوفود ، وقدرتهم على المحاجة ، ورد دعاوى الخصوم وإبطالها ، وإبراز الملكة البيانية لدى أفراد الوفد ، وذكائهم ، وحصافتهم فى تناول هذه الدعاوى وتفنيد ما جاء فيها ، وسبق ذلك دربتهم ومهارتهم التى اكتسبوها فى قبائلهم.

يقول الدكتور شوقى ضيف: "وقد اتخذوا (أى العرب) من مجالسهم فى مضارب خيامهم ، ومن أسواقهم ، ومن ساحات الأمراء، ووفاداتهم عليهم ميادين لإظهار براعتهم وتفننهم فى المقال وحوك الكلام. وأسعفتهم فى ذلك ملكاتهم البيانية ، وما فطروا عليه من خلابة ولسن ، وبيان وفصاحة وحضور بديهة"(١).

منزلة أعضاء الوفود والسفراء:

وكان أعضاء الوفود بمثابة السفراء عن قومهم ، يتحدثون بلسانهم ويعرضون عنهم ما يعن من آراء ، أو ما يكون من مشاكل .

ولذا كان من المهم — بل والمتعارف عليه بينهم — أن يكون أعضاء الوفد ممن عرف عنهم — بين قومهم — القدرة على إقناع الخصوم ، أو إلهاب الحماسة، أو الإصلاح بين المتخاصمين ، أو الحث على مكرمة ، أو النهى عن مذمة. يقول ابن عبد ربه عن هؤلاء الرجال — أعضاء الوفود — عند مثولهم بين أيدى الأمراء: "كانوا يخطبون فى وفادتهم على الأمراء ، إذ يقف رئيس الوفد بين يدى الأمير من الغساسنة أو المناذرة أو غيرهما، فيحييه بلسان قومه ، ويذكر لنا التاريخ أن قريشا أرسلت إلى سيف بن ذى يزن وفدا من شيوخها ، لتهنئته بالنصر ، وخطب أمامه عبد المطلب بن هاشم — جد النبى صلى الله عليه وسلم —

---

(١) تاريخ الأدب العربى (الأدب الجاهلى) د. شوقى ضيف صـ(٤١٠) دار المعارف.

وأعجب به سيف بن ذى يزن، ولم يعجب بغيره مـــن خطبـــاء الوفـــود الأخرى؛ لأنهم جميعا أتوه طالبين أما عبد المطلب ، فقد أخلص خطبتـــه للتهنئة"(١).

ما يشترط فى أعضائها:

واشترطوا فى عضو الوفد أن يكون نابها فى قومه ، متمكنـــا مـــن لغته ، ذا بيان وفصاحة ، متمكنا من الكلام الرقيق الذى يصيد به قلـــوب مخاطبيه ، فيبلغ هدفه ، وينال مأربه ، فيستل سخائم النفـــوس الغاضبـــة ويطفئ أوار أحقادها ، ويخمد نيران غيظها ، ويقضـــــى علـــى دفـــائن أشرارها.

ولقد سجل الشعراء ذلك فى أشعارهم ، وهذا زهير بن أبى ســـلمى فى قصيدته الميمية التى يستهلها بقوله:

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما ∴ تبزل مـــا بيـــن العشـــيرة بـــالدم

يصور لنا أثر الوفادة فى القضاء على الإحن والمحن بين القبـــائل والقضاء على وتر الموتورين منهم ، ومطالبة كل قبيلة بالكف عن الثـــأر لقتلاها ، وتحمل الساعيين الكريمين لديات القتلى ، والتزامـــهما بحســـن الوفادة بين القبيلتين ، حتى تضع الحرب أوزارها ، ويعم بينهما السلام.

أهمية الوافد والسفير:

ويحدد لنا صاحب (العقد الفريد) أهمية الوافـــد ، ومنزلتـــه فيقـــول "الوفود مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكـــلام ، وتســـتهذب

---

(١) العقد الفريد ٣٤٢/١ .

الألفاظ ، وتستجزل المعانى" ولذا يلزم حسن اختيار الوافد لهذه المهمة وفضلوا فى الوافد عن قومه .

أن يكون عميدهم وزعميهم ، الذى عن قوته ينزعون ، وعن رأيه يصدرون ، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن ألسنة ، وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى النبى — صلى الله عليه وسلم — أو خليفته أو بين يدى ملك جبار ، فى رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة، ويتحفظ ممن أمامه أخرى ، أتراه مدخرا من نتائج الحكمة ، أو مستبقيا غريبة من غرائب الفتنة ، أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة ، إلا وهو عندهم فى غاية الحذلقة واللسن ، ومجمع الشعر والخطابة.

ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقرى لما وفد على النبى — صلى الله عليه وسلم — بسط له رداءه ، وقال: هذا سيد الوبر .

ولما توفى قيس بن عاصم قال فيه الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم ∴ ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أوليته منك نعمة ∴ إذا زار عن شحط بلادك سلما

وما كان قيس هلكه هلك واحد ∴ ولكنه بنيان قوم تهدما[1]

* * * * * * *

على أننا رأينا غلاما يتحفز للكلام أمام الخليفة عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — فلما قال الخليفة : أسنوا ، وقال للغلام ليتقدم من هو أسن منك ، رد عليه الغلام قائلا : لو كان الأمر بالسن ، لكان فى الأمة من هو أحق بالأمر منك . فلما أحس الخليفة منه حسن بيانه أذن له فى

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق/ أحمد يسرى م ١٠ ص ٥، ٦ ط دار الإمام على بمصر.

الكلام ٠ وما كان ليأذن له بالحديث — مع صغر سنه — لو لم تكن لـــه هذه المقدرة٠

وقد حكى لنا الجاحظ قصة أخرى عن (إياس بن معاوية) أنه: دخل الشام وهو غلام ، فتقدم خصما له ، وكان الخصم شيخا كبـــيرا ، إلـــى بعض قضاة عبد الملك بن مروان ، فقال له القاضى: أتقدم شيخا كبيرا؟

قال (إياس): الحق أكبر منه ٠

قال (القاضى): اسكت٠

قال (إياس): فمن ينطق بحجتى؟

قال (القاضى): لا أظنك تقول حقا حتى تقوم ٠

قال (إياس): لا إله إلا الله {أحقا هذا أم باطلا؟}٠

فقام القاضى، فدخل على عبد الله من ساعته ، فخبره الخبر٠

فقال عبد الملك: اقض حاجته الساعة، وأخرجه من الشام لا يفســـد على الناس"[1]٠

ومن الواضح أن هذا الوافد الصغير ، كان ذا بيان قوى ، وحجـــة بالغة ، واستعداد شخصى ، واعتداد ذاتى ، وشجاعة وجرأة ، مما دفعـــه إلى محاجة القاضى ، والتصدى لما يقول ، ودفاعة عن رأيـــه وحاجتـــه مما دفع الخليفة إلى توجيه القاضى بسرعة الفصل بينه وبيـــن خصمـــه وإخراجه من بلاد الشام ، حتى لا يؤثر فى الناس وينشر بينهم الجـــرأة على ذوى الأمر ، مما قد يحدث فتنة فى النـــاس ، يستشـــرى خطرهـــا ويتفشى نذيرها ٠

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٠١/١ ٠

مدى تأثير الوافد والسفير:

ويسوق لنا ابن عبد ربه أمثلة لما يحققه بيان الوافد فيمن يخاطبه ومدى تأثيره فيه — وهى كثيرة — نستشهد ببعضها ، فقد حكى قوله:

"أرسل بعض الملوك فى رجل أراد عقوبته ، فلما مثل بين يديه قال (أى الرجل): أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك وهو على عقابك أقدر منك على عقابى ، إلا نظرت فى أمرى نظر من برئى أحب إليه من سقمى ، وبراءتى أحب إليه من جرمى"(١) فعفا عنه.

ويقول فى موطن آخر: "بعث بعض الملوك إلى رجل وجد عليه — فقال له لما مثل بين يديه: أيها الأمير (يقصد من بيده الأمر — وهو الملك): إن الغضب شيطان ، فاستعذ بالله منه ، وإنما خلق العفو للمذنب والتجاوز للمسيء، فلا تضق عما وسع الرعية من حلمك وعفوك ، فعفا عنه ، وأطلق سبيله"(٢).

وعلى ذلك ، ينبغى أن يكون الوافد على خبر — بطرق الكلام ومعرفة بأساليبه ، وأن يكون ذا بديهة حاضرة تمكنه من الإمساك بتلابيب المعانى ، وحسن إدارة الحديث ، حتى يتمكن من إصابة هدفه ومرماه ، والوصول إلى غرضه ومبتغاه ، ولذا قالوا: (أنفذ من الرمية كلمة فصيحة).

وقد سئل النبى — صلى الله عليه وسلم : فيم الجمال؟

فقال: اللسان (يريد البيان)، وقال — صلى الله عليه وسلم "إن من البيان لسحرا".

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه تحقيق العريان — مجلد/ ٢ ص(٢٥) .
(٢) نفسه والصفحة نفسها .

ومن المعروف أن البيان ترجمان العلم ، والعلم رائد العقل ، والعقل رائد الروح ، كما يقول سهل بن هارون•

يقول ابن عبد ربه:

"البيان بصر ، والعى عمى ، كما أن العلم بصر ، والجهل عمى والبيان من نتاج العلم ، والعى من نتاج الجهل"[١]•

وعلى قدر سمو مكانة الوافد بيانيا ، كان يرتفع قدره ، وترقى منزلته في قومه ، مما يجعله مؤهلا لهذه الوفادات ، بل المقدم والمفضل فيها ، ولا يعتد — إلى حد بعيد — بشكله وحجمه وتكوينه الجسدى ، فإذا حدث ، وكان الوافد ممن تعكس هيئته إحساسا بالزراية أو الاحتقار رد ذلك على من ازدراه ، كما حدث فيما رواه الجاحظ من أنه: "لما دخل ضمرة بن ضمرة (وكان يقال له شقة) على النعمان بن المنذر ، زرى عليه للذى رأى من دمامته وقصره وقلته ، فقال النعمان: (تسمع بالمعيدى لا أن تراه)•

فقال (ضمرة): أبيت اللعن • إن الرجال لا تكال بالقفزان ، ولا توزن بالميزان ، وليست بمسوك يستقى بها ، وإنما المرء بأصغريه: بقلبه ولسانه ، إن صال صال بجنان ، وإن قال قال ببيان" •

وبهذا القول لضمرة ، نصل إلى ما كان ينبغى أن يتحلى به الوافد من صفات: فهو شجاع جرىء في الحق بقلبه ، وهو متحدث بارع ، مبين للحق مدحض للباطل بلسانه ، وروعة بيانه[٢]•

ويسوقنا هذا إلى ما كانت العرب تحرص عليه من مدح للقدرة على الكلام والجلد والصرامة ، وقوة القلب والجرأة والشجاعة ، وكثرة الريق،

---

(١) العقد الفريد ت/ العريان مجلد/ ٢ ص(٣٠٢) •
(٢) البيان والتبيين الجاحظ ١/١٧١ •

والعلو على الخصم ، أو للحديث أمام جمع من الناس خطيبا أو وافدا فقد قال موضحا هذا الحرص من العرب: "...وكانوا يمدحون شدة العارضة ، وقوة المنة ، وظهور الحجة ، وثبات الجنان ، وكثرة الريق ، والعلو على الخصم ، ويهجون بخلاف ذلك"[١].

* * * * * * *

وسجل الشعراء هذه الصفات العالية التى يتحلى بها الوافد أو الخطيب ، وحكى الجاحظ فى ذلك قول الأسلع بن قصاف الطهوى[٢]:

هم أفحموا الخصم الذى يستقيدنى ∴ وهم فصموا حجلى وهم حقنوا دمى

بأيد يفرجن المضيق وألسن ∴ سلاط وجمع ذى زهاء عرمرم

إذا شئت لم تعدم لدى الباب منهم ∴ جميل المحيا واضحا غير توأم

* * * * *

ولا يشترط فى الوافد أن يكون خطيبا ، فقد يكون شاعرا ، أو محاورا ، وقد تحل قدرته البيانية محل الخطابة أو الشاعرية ، فقد "كان ثابت بن عبد الله بن الزبير ، من أبين الناس ، ولم يكن خطيبا"[٣] كما أخبر بذلك الجاحظ.

والوافد مرآة قومه ؛ فإذا كان نابها رفع من قدر ذويه ، وكان عامل اقتناع وكفاءة لمن يفد عليه . ولذا يلزم الوافد أن يكون حكيما أريبا لبقا عارفا بجوانب القضية التى كلف القيام بالوفادة من أجلها .

---

(١) البيان والتبيين الجاحظ ١٧٦/١ .
(٢) نفسه الجاحظ ١٧٧/١ .
(٣) نفسه الجاحظ ٣٢٧/١ .

الإسلام والوفادة والسفارة:

وبظهور الإسلام اهتز كيان المجتمعات القبلية والحضرية في الجزيرة العربية بما جاء به من عقيدة جديدة ، ودعوة مجيدة ، ونظر العرب فإذا الإسلام ينتصر وينتشر ، ويمثل قوة عظيمة أخذت تنشر مبادئ الدين الجديد ، وتدعو زعماء وشيوخ الجزيرة والقوى العظمى المحيطة بها إلى الانضواء تحت لواء الإسلام والإيمان، بما جاء به القرآن الكريم من دعوة لتوحيد الخالق ، والتحلى بالمناقب والمحامد ، وترك ضلالات الكفر وعبادة الأوثان ، ونبذ الرذائل والأثام، فتوافدت الوفود من كل صوب وحدب صوب مكة ، ثم المدينة ، تسعى كلها إلى هدف واحد، هو لقاء حامل لواء الدعوة ، محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتواترت هذه الوفود بكثرة ، حتى أطلق على ذلك العام التاسع الهجرى: (عام الوفود) وقد سجل القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: "**إذا جاء نصر الله والفتح ٠ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ٠ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا**"[١].

وقد وجدت هذه الوفود من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما من أجله توافدت: وجدت فيه شهامة العروبة المتمثلة فى حسن الاستقبال وكرم الضيافة، وسعة الصدر للمناقشة وحسن الاستماع ، وروعة الهداية والشرح والإقناع ونور البيان الموصل إلى الإيمان ، وانكشاف القناع عن المعنى الذى كان مستترا على قلوب وأفهام هؤلاء القوم ، فوصلوا بعقولهم وقلوبهم إلى حقيقة الإسلام وصدق هذا النبى العظيم فيما يدعو إليه من توحيد لخالق الكون ومدبره ، ويقين بما جاء به الكتاب الكريم من

---

(١) سورة النصر ٠ الأيات ١ ـ ٣ ٠

آيات بينات ، وصدق ما بشر الله تعالى به نبيه عليه الصلاة والسلام من توافد الناس عليه ، ودخولهم فى دين الله.

وقد كان المصطفى — صلى الله عليه وسلم — حريصا على لقاء الوفود ، وشرح تعاليم ما جاء به من عند ربه ، كما كان حريصا على أن ينقل أعضاء هذه الوفود ما يعلمهم إياه إلى أقوامهم ، وبيان ما تلقوه من الرسول الكريم إلى ذويهم ، حتى تنتشر تعاليم الإسلام ، وتتسع دائرة الإيمان فى قلوب أهل الجزيرة.

ويعد عام الوفود أكبر دليل على أهمية هذه الوفود فى نقل مبادئ الإسلام إلى الأماكن البعيدة ، والأفراد العديدة ، ممن بعدت عنهم الشقة وصعبت عليهم الرحلة ، فلم ييسر لهم الانتقال إلى مكة أو المدينة فحملت عنهم هذه الوفود مؤونة الانتقال ، وشرفوا بلقاء سيد الأنام — صلى الله عليه وسلم — وتلقى أنوار الهداية على يديه ، ثم عادوا إليهم وقد استضاءت أرواحهم بالإسلام، وعمرت قلوبهم بالإيمان ، فأخذوا بأيدى ذويهم إلى رياض الهدى ، وأنوار التقى ، وصدق الله تعالى إذ يقول: "**وما كان المؤمنون لينفروا كافة . فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين . ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**"(١).

وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — فى بيانه لهذه الوفود — يستخدم الخطابة أو الحوار ، ولم يثبت مطلقا أنه رد عليهم أو حاورهم بالشعر ، وإنما كان يستعين بالشعراء المسلمين فى الرد على الشعراء من أعضاء الوفود. فقد استعان بحسان بن ثابت — وكعب — رضى الله عنهما — فى الرد على شعراء الوفود — كما عرفناه من رد حسان على الزبرقان وغيره من وفد تميم .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢ .

فكان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ تجيئـــه وفــود العــرب ، فيخطب فى كل وفد يدعوهم إلى الدين ، أو يبين لهم الأحكام الشــرعية ، والآداب الدينية ، كما أمر رب العالمين بقوله تعالى: "**وأنزلنا إليك الذكــر لتبين للناس ما نزل إليهم**" وكما كان يقول لهم (صلى الله عليه وســـلم): "ألا أخبركم بأحبكم إلى ، وأقربكم من مجلسا يــوم القيامـــة ؟ أحاســنكم أخلاقا ، الموطأون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون"(١).

وكان المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخاطب أعضاء هـــذه الوفود ، بما لديهم من أساليب فى العربية لم تنتشر فى أنحاء الجزيـــرة ، مما أثار دهشة الصحابة من معرفته عليه السلام بهذه الأساليب ، فـــاندفع بعضهم يسأل النبى: (نراك تكلم العرب بما لا نعرف . فمـــن علمـــك ؟ فيجيبهم: علمنى ربى فأحسن تعليمى) أو: (أدبنى ربى فأحسن تأديبى).

وكانت الخطابة إحدى وسائل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فـــى مخاطبة الوفود التى شرفت بالاستماع إليه ، والأخـــذ عنـــه ، فتـــأثرت أساليبهم بما وجدوا من نصاعة بيانه ، وجمال لسانه ، وروعـــة بيانـــه فانعكس ذلك على لغتهم ، مما أثرى وشرف اللغة العربية ، وقضى علـــى ما كان سائدا أيام الجاهلية بين العرب من أغراض خطابتهم ، وأســـاليب تعبيرهم ، فقضى على المفاخرة والمنافرة ، حيث كان من عادة الوفـــود الجاهلية أن يكون معها شعراؤها وخطباؤها ليفاخروا بأحسابهم وأنســابهم وليتحدثوا بلسان أقوامهم ، فلما جاء الإسلام نهى عن التفـــاخر والتنـــافر ونهى عن الهجاء بالأعراض والأنساب ، والفحش من القـــول ، وجعـــل الفخر بالإسلام وقيمه وأخلاقياته ، والهجاء بالكفر والبذاءة وسوء العمـــل

---

(١) فصول من تاريخ الأدب العربى فى عصر صدر الإسلام وعصـــر بنـــى أميـــة ص(٢٠٦) أ.د/ محمد عبد السلام صقر ، د/ ناجى فؤاد .

"وقد استجاب المسلمون لهذه المبادئ الكريمة ، وقد أثر عن بـــلال بـــن رباح الحبشي قوله:

أبى الإسلام لا أبـــا لـــى ســـواه .·. إذا افتخـــروا بقيـــس أو تميـــم[١]

وهكذا نلحظ أن هذه الخطابة ــ التى كانت إحدى وسائل مخاطبـــة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لهذه الوفود ، نلحظ أنها قضت علـــى ما كان فى الجاهلية من اعتداد أو ازدراء للأحساب والأنساب من خـــلال المفاخرات والمنافرات. يقول الدكتور شوقى ضيف: "وطبيعى أن تقضى هذه الخطابة على كل لون قديم من الخطابـــة الجاهليـــة لا يتفـــق وروح الإسلام ، ولا نقصد سجع الكهان الذى كان يرتبط بدينهم الوثنى فحســـب بل نقصد أيضا خطابة المنافرات ، فقد نهى الإسلام عن التكاثر بالآبـــاء والأنساب والأحساب ، وإن ظلت لذلك بقية فى حياة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين كانت تفد عليه وفود العرب ، على نحو ما نعرف عن وفد تميم ، وقيام خطيبهم عطارد بن حاجب بن زرارة بين يديه مفـــاخرا بقومه ، وقد ندب له الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثابت بن قيس بن الشماس ، فرد عليه مستوحيا هدى الإسلام ، ولم يلبثوا أن اســـتجابوا لله ولرسوله"[٢].

وكان الحوار الذى يدور بين الرسول ــ صلى الله عليه وســـلم ــ وأعضاء الوفود يحمل من الفكـــر الإســـلامى ــ والأســـلوب الإيمـــانى والوضوح البيانى ، ما يؤدى الغرض من استعماله والتأثير بالإقناع لـــدى هؤلاء الأعضاء ، والخضوع لما جاء به الإسلام مـــن دعـــوة للتوحيـــد

(١) نصوص مختارة من العصرين الجاهلى والإسلام (١٢٧) د/ محمد عبد الســـلام صقر ، د/ السيد عويضة ط ١٩٨٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربى (العصر الإسلامى) ١٠٧ د/ شوقى ضيف دار المعارف.

والإيمان بصدق رسالة محمد — صلى الله عليه وسلم — كما عكس الحوار مظهر حرية إبداء الرأى ، وسماحة الإسلام ونبيه فى الاستماع لأعضاء هذه الوفود ، ثم تفنيد ودحض دعاوى أعداء الإسلام ، مما يمهد للإيمان سبيلا إلى القلوب ، فتدخل طائعة مقتنعة فى هذا الدين العظيم ٠

وكان لسماحة النبى — عليه الصلاة والسلام — وسعة صدره وحسن استماعه ، وجلاء بيانه ، وروعة رده فى حسن الاقتناع ، وصدق الإيمان ، الأثر الواضح فى هذه الوفود٠

وتسامعت القبائل على اتساع جزيرة العرب ، بما كانت الوفود تلقاه من تكريم الرسول والمسلمين ، وما كانت تتمتع به من حرية الحوار والمناقشة ، ثم ما يكون من اقتناعهم بالعقيدة السمحة ومبادئها ، ودخولها طائعة غير مجبرة أو مكرهة فى هذا الدين ، فتكاثرت الوفود ، حتى تخطى عددها السبعين فى هذا العام — المسمى باسمها ، على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا٠

* * * * * *

ثم كان عهد الخلفاء الراشدين ، وفيه ارتبطت الوفادة بالأحداث التى كانت من حروب ردة ، ومن فتوح واتساع دولة ، ثم ما كان من صراع بين طوائف المسلمين من علويين وأمويين ، أو مذاهب كالشيعة والخوارج وغيرهما ٠ ولكن الوفادة هنا لم تكن بالكثرة التى كانت عليها فى عام الوفود — فوجدناها أقل فى عهد أبى بكر — رضى الله عنه — نتيجة انشغاله بحروب الردة ، وتثبيت أركان الدعوة ، والمضى قدما فى نشر الإسلام وفتح الممالك المجاورة، لإنقاذ أبنائها من ضلالات الشرك وملء قلوبهم بنور الإيمان ٠ ولعل أشهر وفادة كانت فى عهد أبى بكر — رضى الله عنه — هى وفادة أهل اليمامة، التى حدثت بعد انتصار سرية

المسلمين على عدو الله مسيلمة ، والقضاء على فتنته ، فلما أتوه وسألهم كان رده عليهم بفساد المقولة التى فتنهم بها الكذاب ، وخدعهم بادعائه الزائف .

ثم تنشط الوفادة نوعا ما فى عصر عمر ــ رضى الله عنه ــ إذ يأتيه جبلة بن الأيهم مع قومه ، ولكن إسلامه كان رقيقا ، فلم تتغلغل روح الإسلام فيه ، فلما يخطئ يأتى دور الخليفة معلما ، ولكن الرجل يفر إلى دار الشرك ليعود إلى حزب الشيطان حتى يموت على كبريائه وغطرسته .

وتتعدد وفادات الأحنف بن قيس على عمر رضى الله عنه فى أهل البصرة والكوفة ومصر .

وهنا نجد الوفادة تنحو منحى جديدا ، غير ما كانت عليه فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ــ فالدولة استقرت ، والأرض فتحت ، والفيء يشكل عنصرا مهما من مصادر أموال الدولة المسلمة ، وهناك قوم يعيشون فى الصحراء ، وهم فى حاجة إلى أن تمد لهم الدولة يد العون بالمشاريع ، والمواد الغذائية التى يجدون فيها ما يمسكون به رمقهم ويصلحون به أحوالهم ، وليس ما يطلبونه استجداء ، بل هو حق المسلم على الدولة فى رعاية مصالح الشعب ، والنهوض بحاجاته .

فالوفادة هنا وفادة مطالب الحاجة ، ورئيس الوفد عظيم قوم ، يطلب للناس ، لا لنفسه .

والخليفة لا يضيق صدره بمطالب الوفود ، بل يفتح قلبه لمزيد من مطالبهم واحتياجاتهم ، حتى يحقق لهم ما يرغبون فيه .

ومن الاتجاهات الجديدة للوفادة فى عهد عمر — رضى الله عنــه — استخدام الوفود فى معرفة مدى بلاء المجاهدين فى سبيل الله لإجازتـــهم وتكريمهم٠

ومنها أيضا معرفة أقدار الرجال ، لتولـــى الأصلــح منـــهم إدارة الولايات الإسلامية ٠

فالأغراض من الوفادة هنا تعددت واستحدث بعضها ، والملاحـــظ استقرار الأسلوب ناصعا جليا متأثرا بمنهج الإسلام ، والمعانى ليس فيـها غموض ولا التواء ، بل تتجه مستوية إلى الأغراض والأهداف التى مـــن أجلها أنشئت ، وقد "فسح عمر لخطابة الوفود فـــى مجالســه ، تســتمع لأقوامها ، وتذكر حاجتها ، واشتهر الأحنف بن قيس سيد تميم وأحد قواد الفتوح بغير خطبة ألقاها بين يديه"[١]٠

وينتهى عهد عثمان — رضى الله عنه — باستشهاده علـــى أيـدى الثائرين الذين استحلوا دمه الشريف ، وأزهقوا روحه الطاهرة ، وهـــو ساجد بين يدى الله تعالى ٠

وبمقتله — رضى الله عنه — تطل الفتنة برأســـها ، لتشــعل نــار الخلاف بين المسلمين ، ويقع الانقسام بين أبناء الأمة الواحدة فيتفرقـــون إلى شيعة وخوارج وأمويين٠ ويحمل كل فريق سلاحه يرفعه فى وجـــه أخيه المسلم ، يزهق روحه ، ويريق دمه ، متهما إياه بتبعـــة جريمـــة لا يعلم إلا الله من ارتكبها ٠

وباشتعال الصراع تنشط الوفادة من جديد ، بعضها لإصـــلاح ذات البين ، ولم شعث المتفرقين ، وحقن الدماء ، وبعضها لإذكاء نار الفتنـــة وتحريك عوامل الإثارة والاضطراب٠

(١) تاريخ الأدب العربى (العصر الإسلامى) ١٠٩ د٠شوقى ضيف ٠

ومن أشهر الوفادات التى تمثل هذه المرحلة ، وتعكس لنا بصـــدق مظاهر هذه الأحداث ، وتعبر عنها أصدق تعبـــير ، وفـــادة الصحـــابين الجليلين: أبى هريرة وأبى الدرداء ٠ رضى الله عنهما على معاوية وعلى رضى الله عنهما ، وهى وفادة ذات غرض نبيل ، وهدف إسلامى كريم وهو محاولة القضاء على الفتنة وحقن دماء المسلمين وهى وفادة فريـــدة لأنها تجئ فى مرحلة فاصلة بين عصرين : عصر الخلفـــاء الراشـــدين وعصر الدولة الأموية ، كما أنها تمثل بداية الأدب السياسى بما يحـــوى من خصائص فكرية ولغوية واتجاهات عقدية معينة "وقيل اندلاع الحرب كان يتبادل على ومعاوية الوفود ، وكان يخطب غير واحد بين أيديـــهما وعبثا تحاول الوفود لم الشعث"[١].

وأسلوب هذه الوفادة يتسم بالقوة ، وعنف العبارة ، والتعبير بجـــرأة وشجاعة فى مواجهة الولاة ، والتصدى لهم بالوعظ والتخويف من عقاب الله تعالى ، والدعوة إلى التحلى بالعدل وإنصاف ذوى الحقوق كما اســتند الأسلوب إلى الحوار الفكرى الذى يعتمد على الجدل المنطقى الذى يقــور حق الحاكم طبقا لما أقره المجتمع الإسلامى ، استنادا إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم٠

وكان هذا نتيجة لما أضفاه الإسلام من صراحة ، وما غرسه فـــى أفراد المجتمع من حرية فى جميع المجالات ، يستطيع بها الفرد المســلم من الرد والتصدى وإبداء الرأى ، لا يخشى فى الحق لومة لائم٠

رأينا هذا فى الوفود التى وفدت من الرجال أو النساء فـــى عصـــر بنى أمية ، وبخاصة فى خلافة معاوية بن أبى ســـفيان ، الـــذى حفلـــت

---

(١) نفسه ص ١١١ ٠

خلافته بالكثير من الأحداث والمواقف ، التى أشعلت وزادت من الوفـــادة وفاعليتها ، ونوعت أغراضها ومراميها٠

كان معاوية أكثر الخلفاء الأمويين حظا من هذه الوفـــادات ، فقـد توافد عليه الرجال والنساء ٠

وقد تعددت أغراض هذه الوفادات ، فكان منها (وفد المصالحة) بين الحسن بن على ـــ رضى الله عنه ، ومعاوية بن أبى سفيان ٠

وكان أكثرها وفودا تلك التى حرص أصحابها على الإفادة من كـرم معاوية الذى كان حريصا على أن يؤلـــف القلـوب ، ويكســب حبــها ورضاها، والحصول على انضوائها تحت لواء بنى أمية ، والتأييد لمـــا استحدث من مظاهر سياسية تمثلت فى تغيير نظام الحكم من شورى إلــى وراثى ، والقسوة والشدة فى معاملة الخارجين على الدولة من زبـــيريين وشيعة٠

كما نجح الوافدون فى هز أريحية وكرم الخليفة، واستمنحوه فنـــالوا من نداه ما أضاء لهم طريق الحياة فى رغد وبلهنية العيش٠

وقد لجأ خطباء الوفود إلى العوامل التأثيرية فـــى أســـاليبهم التـــى يستمطرون بها كرم الأمويين ذوى الأصول العربية ، والنحوة الأصيلـــة البدوية ، فاستخدموا ـــ أحيانا ـــ السجع الذى كان قد انحســـر بانحســـار الجاهلية ، يقول الدكتور شوقى ضيف : "...نلاحظ فى هذا العصر أنـــه (أى السجع) كاد ينحسر تماما عن الخطابة ، إلا بقايا ظلت فى خطابـــة الوفود حين كانت تقدم على الخلفاء"(١)٠

وأرى أن ظهور السجع فى أساليب أعضاء الوفود فى هذا العصـــر أمر عادى وذلك لأمرين:

---

(١) تاريخ الأدب العربى (العصر الإسلامى) ١١٣ ٠

أولهما: أن معظم أفراد الوفود كانوا يــأتون مــن بيئــات بدويــة وبداوتهم هذه قد تكون متأثرة — إلى حد ما — بما كان سائدا فى بيئاتــهم من أساليب ، لا يزال السجع مؤثرا فيها ، لما نعلم له من أثر موسيقى فى نفوس العرب.

ثانيهما: حرص الدولة الأموية على إثارة الكثير مما كان سائدا فــى الجاهلية من عصبية وعادات وتقاليد ، قد يكون السجع أحد ملامحها فــى أساليبهم ، كما أن من طبيعة أسلوب الخطابة فى ذلك العصر كان أسـلوبا فطريا يساوق الطبع ، ويوائم السليقة ، فهو لين هادئ أو ثائر عـاصف ، حسب مقتضيات الأحوال ، وكانت الوفود تقوم بدور مؤثر فى الصلح بين العشائر أو المنافرة أو الحث على الحرب أو السلام ، وعن زيادة اهتمــام معاوية بالوفود ، والحرص على استقدامها ، يحدثنا د/ شــوقى ضيــف قائلا: "وندخل فى عصر بنى أمية ، فتتحول هذه الوفود إلى سيول تقصـد قصور الخلفاء ، وقصور الولاة ، متحدثة فى شئون قومــها . واشــتهر معاوية باستقدامه الوفود من الأمصار ، حين تعن له فكــرة سياســية ، كفكرة تولية ابنه يزيد الخلافة من بعده . وكانت هذه الوفود تنوب عــن أقوامها فى بيعة الخليفة الجديد ، وفى بث شكواها حين يلم بها ما يوجـب الشكوى"[1].

كما نلحظ أن هذا الاهتمام باستقدام الوفود ، وفتح خلفاء بنى أمية — وبخاصة معاوية — أبواب قصره لهم ، شجع هؤلاء الوافدين على الورود إلى ساحته ، طمعا فى عطائه ، وتطلعا إلى كرمه وســخائه ، فجــاءوا مهنئين مظهرين طاعتهم معلنين عن ولائهم ، أو عارضين ظلامتــهم ، طالبين رفع ما يعانون ، أو عزل من لظلمه يتعرضون .

---

(١) تاريخ الأدب العربى (العصر الإسلامى)٤٠٧، ٤٠٨ .

وكان الخلفاء الأمويون حراصا على الاطمئنان إلـــى ولاء هـؤلاء الوافدين وانضوائهم تحت اللواء الأموى — إضافة إلى ما جبـــل عليــه الأمويون من كرم وذكاء ، وثراء نتيجة قعودهم علــــى عيــون المـــال واستقرار الثروة بين أيديهم بعد الجلوس على كرسى الخلافة ، وحرصهم على أن يظل هذا العرش من نصيبهم وحدهم دون غيرهم.

"وكان معاوية أول من فتح أبوابه على مصاريعـــها لتلــك الوفــود فكانت ترد تباعا إلى ساحته ، تعلن تارة تعرض ظلامة لها ، وهو دائـــم الحفاوة بها ، يضفى عليها من نواله الغمر ، وتبعه الخلفاء الأمويون مــن بعده ، يستنون سنته"[١].

ولقد حرص معاوية على لقاء الكثيرين من أتباع على وابن الزبــير والاستماع إليهم ، ومناقشة أفكارهم ، ومنحهم الأمن والسلام والطمأنينــة على أرواحهم ليتكلموا بحرية وصراحة ، ويعـــبروا بحريـــة وشـــجاعة حتى يستطيع أن يعرف ما فى داخلة نفوسهم فيراجعهم ويناقشـــهم ، ثـــم يعلن لهم عفوه ، ويقدم لهم عطاءه ورفده .

ولم يقتصر موقفه هذا على الرجال ، وإنما امتـــد ليشـــمل النســـاء وربما امتدت مظلة كرمه ليوفر لهن كل مظاهر الراحة والرفاهية أثنـــاء سفرهن إليه ، كما فعل مع الزرقاء ابنة عدى بن غالب الهمذانية ، التـــى وصفت له رحلتها إليه بقولها: إنها كانت ربيبة بيت أو طفلا ممهدا.

---

(١) نفسه ٤٢٨ .

وكان من مظاهر بره بهن ، وسعة صدره لما يبدر منهن ، وربما أساءه — أن يتقبل ما يقلن ، ويعفو عنه ، ويصلهن بعطائه بعد انتهاء لقائهن ، كما حدث مع الكثيرات منهن ، نظرا لكبر سن بعضهن ، أو انكسار وذلة بعضهن.

فها هى سودة بنت عمارة . تظهر له ذلها وانكسارها بقولها (ملت الرأس . (بتر الذنب) وهما كنايتان عن فقد الناصر والمعين ، وذهاب مظهر العز والذب عن الحريم.

وقولها له أيضا: (إنك للناس سيد ، ولأمورهم مقلد) مما يبدى خضوعها واستسلامها ، واعترافها بصيرورة مقاليد الأمور إليه .

ثم طلبها أن يرفع عن قومها ظلم ابن أرطاة ، الذى بسط سلطان الخليفة بحصادهم حصاد السنبل ، ودوسهم دياس البقر ويسومهم الخسيسة . ويسألهم الجليلة ، مما أذاقهم الهوان ، وسامهم الخسف والذل بقتل الرجال ، وأخذ الأموال . فيستجيب لمظلمتها ، ويكتب بالعدل لها ولقومها .

وهو أيضا يحسن معاملة بكارة الهلالية ، لكبر سنها ، وذهاب بصرها وضعف قوتها ، وهوان عظامها ، فيعاملها بالرقة وحسن المعاملة ، ويناديها بالخالة تكريما وتعظيما ، ويرد عنها ألسنة الحاضرين ممن لم يرعوا فيها العوامل السابقة . ويسمع لها ، ويكرمها وهو يقدر فى هؤلاء الوافدات وفاؤهن لعلى ، ويجله فيهن ولا يحنق عليهن ، بل يكافئهن ويجزل لهن العطاء.

ونجد فى اعتراف إحدى الوافدات على معاوية ، وهى أم سنان بنت خيثمة ما يؤكد ما ذهبنا إليه من سمات معاوية الطيبة وحسن معاملته

للوافدات ، حيث تعجب من مدحها له فقالت: (سبحان الله ! والله ما مثلك مدح بباطل ، ولا اعتذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا) إشارة إلى استحقاقه المدح ، وذكائه وسعة خبرته وعلمه وإحاطته بصدق مخاطبه أو كذبه·

وكان معاوية يجيد المحاورة مع مخاطبيه ، وربما ساقه الحماس وسخونة الموقف إلى الإتيان بعبارة تجرح من يحاوره ، فتلهمه أريحته إلى استدراك ما قد يكون اعترى حواره· من ذلك ما وقع بينه وبين دارمية الجحونية حين قال لها: (فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك) فغضبت ، وتناولت سيرة أمه ، فأسرع إلى شرح وإيضاح عبارته بقوله: (إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضيعها ، وإذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها) فهدأت وسكنت·

وكان معاوية بهذا الحلم والكرم مثلا يحتذى لأبنائه وأحفاده ونموذجا يقتدى ، فساروا مسيرته ، ونهجوا نهجه ، واستقبلوا الوفود ، وأفسحوا لهم ، وسمعوا منهم ، وحققوا لهم طلباتهم ، وأعادوهم إلى ذويهم وقد ابيضت وجوههم وتهللت أساريرهم بما نالوا من تكريم — ثم ظهر الجمع بين أكثر من غرض فى عصر يزيد بن معاوية ، حيث وفد عليه عبد الله السلولى فجمع بين التهنئة بالخلافة والتعزية ·

وقال له: "...آجرك الله على الرزية ، وبارك لك فى العطية وأعانك على الرعية ، فلقد رزئت عظيما ، وأعطيت جسما ، فاشكر الله على ما أعطيت ، واصبر على ما رزئت..."[1]·

---

(١) زهر الآداب الحصرى ١/٤٩ ·

والعمل على إرضائهم ، وبخاصة النساء ، وقد كانت ليلى الأخيلية ذات شأن يذكر — كما بينا — فى وفادتها على الحجاج وسؤاله لها عما استقدمها عليه ، فوصفت له سوء الحال ، وقلة الرزق ، وفساد الجو وأن الفجاج مغبرة ، والأرض مقشعرة ، والمبرك معتل ، وذو العيال مختل ... والناس مسنتون ... أصابتهم سنون مجحفة لم تترك لهم عافطة ولا نافطة ، وقد أذهبت الأموال ، وأهلكت العيال . ثم أنشدت له شعرا تستميحه به ، وتمدحه ، وتصف كرمه وشهامته وشجاعته . فأكرم وفادتها وبالغ فى إكرامها ، وزودها بما يرد عن قومها ما هم فيه من حاجة ومسألة.

واستن الحلفاء الأمويون بعد سنة سابقيهم ، وزادوا فأصلحوا بين القبائل المتناحرة ، ودفعوا عنهم الديات ، وجلس بعضهم يستمع ويحاور من يفدون عليه .

ويأتى عبد الملك بن مروان بعد معاوية فى كثرة الوافدين عليه ويبدو أن حبه للشعراء والأدباء كان وراء هذه الكثرة ، وأنه كان يستمع لشعرهم ويستحسنه ، ويطرب له ، ويتمايل إعجابا وتأثرا ، ويستجيب لمطالبهم ، ويزيد فى عطائهم . وفى وفادة الأعشى عليه ما يصور بصدق كرم هذا الخليفة ، واستجابته للشعراء الذين يمدحونه فينالون ويستزيدونه فيحصلون .

ولم تقف الوفادة عند الاستجداء ، أو طلب العون ، بل تعدته إلى الحث والتحريض على قتال أعداء الدولة ، كما حدث بين أعشى بنى ربيعة وعبد الملك ، فقد حرحنه ودفعه إلى الخروج لقتال ابن الزبير والنيل منه ، حيث قال:

قوموا إليـــهم لا تنـــاموا عنـــهم ∴ كـــم للغـــواة أطلتمـــوا إمهالـــها
إن الخـــــلافة فيكمـــو لا فيـــهمو ∴ مـــا زلتمـــو أركانـــها وثمالـــها
أمســـوا على الخيرات قفلا مغلقا ∴ فانهض بيمنك فـــافتتح أقفالـــها

وممن وفد عليه من الشعراء أيضا الشاعر الأجرد فى جماعة مـــن الشعراء واستمع إليه وأجازه ٠

كما وفد عليه كثير ، وأنشده ، مما جعله يتعجب من فصاحة لســانه وقوة جنانه ، وطول عنانه ، مع قلة بنيانه٠

وكان الكميت بن زيد من أشهر الشعراء الذين وفدوا على يزيد بـــن عبد الملك ، وقد نصحه ـــ شعرا ـــ فى إحدى وفاداته بشـــراء جاريـــة وصفها له بشعره فقال:

هى شمس النهار فى الحســـن إلا ∴ أنـــها فضلـــت بقتـــل الظـــراف
غضـــــة بضـــة رخيـــم لعـــوب ∴ وعثة المتن شـــختة الأطـــراف
زانـــها دلهــــا وثغــــر نقـــــى ∴ وحديـــث مرتـــل غـــير جـــافى
خلقـــت فـــوق منيـــة المتمنـــى ∴ فاقبل النصح يا بن عبد منـــاف

فضحك يزيد ، وقبل نصحه واشترى الجارية ، وأجـــاز الكميـــت بجائزة سنية٠

ونصل إلى عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز فنجد أكثر الخلفـــاء الأمويين شبها بمعاوية فى كثرة الوفود ٠ التى وجدت فى إسلامه الغزير وأدبه الوفير ، وخلقه السامى ، وتواضعه العالى ، ما حقق لأدب الوفـــادة التقدم والتطور والرقى ٠

أدب الوفادة فى عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز

لأدب الوفادة فى عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز مذاق خاص نظرا لما كان يتمتع به هذا الخليفة من سمات ، أفردته ومازته عن بقية الخلفاء الأمويين ، مما دفع كثيرا من المؤرخين ، والمهتمين بالحضارة الإسلامية العربية ، أن يلحقوه بعصر الخلفاء الراشدين ، فلقبوه بالخليفة الخامس ؛ نظرا لما تحلى به هذا الخليفة المسلم العربى من عدل واتزان فى تصريف الأمور ، وخشية لله تعالى ، أفرزتها فيه عوامل الوراثة عن جده العظيم ، الخليفة العادل عمر بن الخطاب. رضى الله عنه٠

ولشد ما تشابه عصره بعصر جده العظيم ، من سير على خطته وانتهاج لمنهجه ، وحرص على إحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، وإقامة لشرع الله تعالى ، وتطبيق لما يدعو إليه كتاب الله ، وما تحتويه سنة رسوله صلى الله عليه وسلم . مما يرقى بالمجتمع الإسلامى ، ويسمو بأخلاق الفرد المسلم ، ومما جعل عصره بحق عصر العدالة الاجتماعية بكل أبعادها٠

أضف إلى ذلك ، حب هذا الخليفة العظيم للأدب العربى ، وحفظ ما جرى على ألسنة الشعراء العرب من أبيات ، تغنوا بها فى ساحات الشعر العربى ، فى مناسبات مختلفة ، وما تحويه دواوينهم من عيون البيان العربى ، وحكمته البالغة ، وسحره الحلال ٠

من هذه التركيبة الرائعة لهذا الخليفة العظيم ، كان لأدب الوفادة فى عصره لون متميز ، ومذاق خاص ٠

فها هو يستقبل الوافدين عليه ، مع اختلاف مشاربهم العقدية، وتعدد ألوانهم السياسية والمذهبية ، التى قد تختلف معه فى اتجاهاته ، فيهش للجميع ، ويرحب بهم ، ويسمع عنهم ، ويناقش مطالبهم ، فما رآه حقا أجازه ، وما أحس فيه شبهة تخلط بين الحق والباطل رفضه ، وبرئ إلى الله منه ومن أصحابه

وكم كانت حكمته واعترافه بالحق ، حين يفد عليه أهل العراق وفيهم شاب صغير السن، يتطلع إلى الحديث دون شيوخه ، فيلفت الخليفة نظر هذا الشاب إلى أن فى الوفد من هو أسن منه ، وأحق بالحديث عنه وهو خلق إسلامى عربى ، يؤخذ منه توقير الكبير ، ولكن الشاب يرد بحكمة وأدب ، مقررا أن الله تعالى قد يؤتى صغير السن ما يؤهله للتصدى لمثل هذا الموقف ، مستشهدا بالخليفة نفسه ، فيأذن له عمر بالتحدث ، داعيا له بالرحمة من الله ، فيعرض الشاب فى بلاغة هدف الوفد من زيارتهم للخليفة ، فهم قد جاءوا ليقدموا لخليفتهم الشكر على ما حققه لهم من أمن وأمان .

وتتجلى حكمة هذا الخليفة العادل ، وحرصه على إزالة أسباب التوتر فى دولته فيما حدث مع وفد الخوارج ، فنراه يسألهم عن سبب خروجهم على حكمه، ونقمتهم عليه ، فيجيبون بأنهم ما خرجوا عليه لعيب فيه أو فى أخلاقه ، ولكنهم حاروا فى أمر خالف فيه من قبله من أهل بيته ، وطالبوه بلعنهم والتبرؤ منهم. فيرد عليهم بأنه يعلم صلاح أمرهم غير أنهم أخطأوا الوسيلة ، وناقشهم مستدلا بمواقف السلف الصالح من الخلفاء الراشدين وغيرهم، وأن الاختلاف من طبيعة البشر لا يوجب التبرؤ منهم ،أو الخروج عليهم، كما أن تمسك

عمر بن عبد العزيز بحب الآخرة ، والزهد فى الدنيـــا، جعـــل الوعـــاظ يكثرون الوفادة عليه ، يقول الحصرى: "ولم يكثر الوعاظ علـــى بـــاب كثرتهم على باب عمر بن عبد العزيز"(١) ومنهم خالد بن صفوان وعبدالله بن الأهتم(٢) ومحمد بن كعب القرظى(٣) .

وكان ابن عبد العزيز أديبا ، يحفظ الكثير من شعر الشعراء ،ويفهم أسرار عبارته ، وعمق معانيه ، ودلالته على مدى إيمان صاحبه ، كمـــا كان — فى الوقت نفسه — حريصا على بيت مال المسلمين ، وعدم منـــح الشعراء منه دون حاجة ، وكم شاعر أنشده وخرج دون عطاء ، لا لبخل منه ، ولكن حرصا على مال المسلمين، وعدم إنفاقه فى غـــير محلـــه. ويدل على كرمه وعدم بخله قصة دكين الراجز الذى وفد عليه وهـو وال فى المدينة ، فأمر له بخمس عشرة ناقة كراما صعابـــا — فلمـــا مـــات سليمان بن عبد الملك ،وولى عمر بن عبد العزيز التقى دكيـــن بجريـــر الشاعر ، فلما سأله من أين أتيت؟ قال: من عند أمـــير يعطـــى الفقـــراء ويمنع الشعراء.

ثم يفد عليه جمع من الشعراءفيهم كثير والأحوص ونصيب فيقيمون عنده أربعة أشهر، لا يسمح لهم باللقاء . فلما دخلوا عليه ما كان يســـمع لأى منهم ،إلا بعد أن يطلب منه أن يكون صادقا فيما يقول، ثم نجده يلـــم إلماما دقيقا واعيا ، فهو يرد ابن أبى ربيعة لغزله بالمرأة ، كذا يرد جميل بن معمر ، ويرفض دخوله عليه أبدا ، كذا يرفض دخول كثير عزة لقوله عن رهبان مدين ، واصفا إياهم فى نصف بيت — عند سماعهم حديـــث

---

(١) زهر الآداب الحصرى ١/٧ .
(٢) البيان والتبيين الجاحـــظ ٢/١١٧ .
(٣) البيان والتبيين الجاحظ ٢/٣٤ وعيون الأخبار ٢/٣٤٣ ، ٣٧٠ .

عزة (خروا لعزة راكعين سجودا) ويطلب إبعاد الأحوص الأنصارى داعيا عليه بأن يبعده الله ويمحقه ، ويرفض دخول همام بن غالب، لفخره بالزنا، كما يرفض دخول الأخطل التغلبى لرفضه صيام رمضان ،وعدم التزامه بمبادئ الإسلام — وأخيرا يسمح لجرير بن الخطفى ، فلما مثل بين يديه طلب منه أن يتقى الله ولا يقول إلا حقا ويمنحه مائة هى ثلث ما بقى له مما يملك — وخرج من عنده وهو يقول لمن وراءه لا يسوءكم خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء٠

وهكذا سيطرت هذه النزعة الإيمانية الصادقة على هذا الخليفة المؤمن العادل ، فحرص على مال المسلمين ، ولم يبعثره كما فعل من سبقوه ، بل ذهب إلى مراجعة مخصصات أمراء بنى أمية من هذا المال مما أثار حفيظتهم ضده ، واتهام بعضهم له ، ولذا نراه يمحص مواقفه تجاه التصرف فى مال المسلمين ، ويدقق فى الانفاق منه ، والتصرف فيه ؛ خوفا من الله عز وجل ، فهو يوجه هذا المال إلى مصلحة المسلمين ولا يخرج منه درهما إلا لمن يستحقه ، فهو يعطى الفقراء ، ويضن على الشعراء ، الذين تجرءوا على أخلاق الإسلام ، وتمردوا على مبادئه وجاء فى أقوالهم ما دفع هذا الخليفة المسلم إلى أن يرفض دخولهم عليه مبررا موقفه بما جاء فى أشعارهم مما يرفضه دينه وخلقه ٠

وتمضى بنا الوفادة إلى العصر العباسى ، حيث تصور لنا اهتمام الخلفاء العباسيين بالشعراء ، واتخاذهم حلية لمجالسهم ، وتقريبهم والاحتفاء بمدائحهم ، وتقديم المنح والعطايا لهم ، واجزال الجوائز والهبات إليهم ، مما ارتقى بالشعر خاصة ،ودفع الشعراء إلى قدح زناد

أفكارهم ، والتعمق فى معانيهم والتعبير بأجمل الصور ، وأدق الألفـــاظ والعبارات ، حتى ينالوا إعجاب الخلفاء والولاة ، فيجزلوا لهم العطاء٠

وكان الرشيد من أكثر خلفاء بنى العباس حرصا على إكرام وفـــادة الشعراء ، رغم انشغاله بهموم الحرب ، ومواجهة أعداء الدولة ، ويصور لنا أشجع السلمى وفادته على الرشيد، وقد شخص إليه من البصرة إلـــى الرقة ، ويدخل السلمى إلى الرشيد ــ ضمن وفد من الشعراء ــ ويبدأ فى إنشاده بقوله:

إلى ملك يستغرق المال جوده ∴ مكارمه نثر ، ومعروفه سكب

وفيها:

متى تبلغ العيس المراسيل بابه ∴ بنا، فهناك الرحب والمنزل الرحب

ويدرك الرشيد حرص أشجع على نوال عطائه ، وأنه ترك الغـــزل فى مستهل أبياته، فيضحك ويقول له : خفت أن يفـــوت وقـــت الصـــلاة فينقطع المديح عليك ، فبدأت به وتركت التشبيب . وطلب منه أن يبـــــدأ بالتشبيب ، فأنشده ، ونال ضعف ما أخذه كل شاعر ٠

وهذا يصور لنا مدى كرم الرشيد وأريحيته ، وحرصه على التمتـــع باستماع شعر الشعراء ، ومكافأتهم ، وإجزال العطاء لهم ٠

وكما حرص الرجال على الوفود إلى خلفاء العباسيين وكبار رجـــال الدولة ، نجد النساء يفدن إلى خلفاء بنى العباس ، فهذه امرأة تفـــد علـــى المأمون، تشكو إليه ظلامتها شعرا، تصور أنها عدى عليها ، واســـتلب مالها ، ولم يترك لها شئ ، وفى المجلس ارتفع صوتها علـــى خصمـــها وهو ابن الخليفة ، فلما طلب منها أحمد بن أبى خالد ألا ترفع صوتها فى

حضرة الخليفة ، قال له المأمون: دعها ، فإن الحق أنطقها وأخرسه ، ثـم قضى لها برد ضيعتها ، والكتابة إلى عامله ببلدها ، أن يرد لها أملاكـــها ويحسن معاملتها ٠

ومن الوفادات فى ذلك العصر : وفادة إبراهيم بن المـــهدى علـــى المأمون ، حيث دخل عليه ، يستعطفه ويطلب عفوه وصفحـــه ، مقـــرا بأحقية الخليفة فى الثأر ، وامتلاكه العفو ، فإن شاء انتقم ، وإن تعطـــف عفا. وأنشد بين يديه، معترفا بعظم ذنبه ، وأن الخليفة أعظم مـــن هـــذا الذنب ، ويخول إليه الأخذ بهذا الحق ، أو العفو عنه ، فيرد الخليفة بـــأن العفور مع القدرة يشفى الصدور ويحطم ما يلهب نار الغيظ ، وأن العفور حبب إليه مرضاة لله تعالى. وعفا عنه ، ورد إليـــه ضياعـــه وأموالـــه فاستحق بذلك حب الله ومرضاته ، وشكر الشاعر وثناءه ٠

وإذا حاولنا أن نقيس مدى انتشار أدب الوفادة فى العصور العباسية فإننا سنلحظ قلة الوفود فى عصور الدولة ، وبالتالى قلة النصوص الأدبية المتعلقة بهذه الوفود ، عما كان مفروضا أن تكون عليه، من حيث امتـداد رقعة دولة بنى العباس من ناحية ، واتساع رقعتها الزمانية مـــن ناحيـــة أخرى ، وكثرة الأحداث وحدتها من ناحية ثالثة ، ولكننا نفجأ بقلة الوفود والنصوص ، مما لا يتناسب مع ما أشرت إليـــه٠ ولمعرفـــة الأســـباب المؤدية إلى تراجع الوفود نجد أنفسنا أمام عوامل عديدة ، أرى أن لـــها أثرا مباشرا فى ذلك:

أولها: ما اصطبغت به دولة الخلافة العباسية من مظاهر حضاريـــة نقلها إليها الفرس الذين تغلغل نفوذهم إلى كل شأن مـــن شـــئون الدولـــة فعملوا على إلباسه المظاهر الفارسية ، بما فى ذلك الخلفـــاء ومجالســـهم

ونظام المثول بين أيديهم ، حيث أقاموا الحجاب ليحولوا بين الخليفة والداخلين عليه إلا بإذن ، عاملين على الحيلولة بين العرب وما اعتادوه من الدخول على خلفاء المسلمين إبان عصرى الخلفاء الراشدين فالأمويين، حيث "لم يعد العرب يدخلون على الخلفاء كلما أرادوا ، كما كان الشأن فى عصر بنى أمية ، بل لابد لهم — قبل الدخول عليهم — من استئذان هؤلاء الحجاب"[1].

ونلحظ هنا أن الخطابة السياسية قد ضعفت ، كما ضعفت الخطابة الحفلية ، لارتباطهما كلتيهما بما كان يتاح للمتحدثين من أعضاء الوفود فى بلاط الخلافة ، فقد حيل بينهم وبين ما كانوا يتمتعون به من شرف المثول والكلام فى حضرة الخلفاء ، بعد أن عملت الحجابة عملها بحجبهم — أو بمعنى أوضح — حجب الغالبية منهم عن المثول بين يدى الخلفاء ٠

يقول الدكتور/ شوقى ضيف:

"وعلى نحو ما ضعفت الخطابة السياسية ، ضعفت الخطابة الحفلية التى كنا نعهدها فى عصر بنى أمية ، لسبب طبيعى ، وهو أن وفود العرب لم تعد تفد على قصور الخلفاء وبالتالى لم يعد خطباؤها يفدون عليهم ، فقد أسدلت الحجب بين الخليفة والرعية ، ولم يعد يلقى خطباءهم المفوهين"[2] واقتصرت الخطابة الحفلية على (بعض) مناسبات ، كأن يموت للخليفة ابن أو بنت فيقف (بعض) الخطباء لتعزيته ، أو كأن يموت خليفة ، ويتولى خليفة جديد فيجمع (بعض) الخطباء بين التعزية والتهنئة

---

(١) تاريخ الأدب العربى (٣) العصر العباسى الأول صـ٢١ د٠ شوقى ضيف دار المعارف ط٦ /١٩٦٦ ٠

(٢) تاريخ الأدب العربى — العصر العباسى الأول ٤٥٠ د٠ شوقى ضيف ٠

من مثل قول ابن عتبة للمهدى يهنئـــه بالخلافـــة ، ويعزيـــه فـــى أبيـــه المنصور:

"أجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبـــارك لأمـــير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فلا مصيبة أعظم مـــن فقـــد أمير المؤمنين، ولا عقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين .

فاقبل يا أمير المؤمنين من الله فضل العطية ، واحتسب عنده أعظـم الرزية [١]".

ثانيها: تعدد الدواوين التى أنشئت ، كديوان الجند ، وديوان الخراج وديوان الحرب ، وديوان الرسائل وكان لكل منهما كاتب ينظر فى أمـــره ويدير شئونه .

وكانت هذه الدواوين تتلقى ما يتصل بها من حاجـــات المواطنيـــن وتعمل على حلها ؛ تخفيفا من مسئولية الخليفة ، وحرصا علـــى راحتـــه وحفاظا على وقته ، وأمنه ، وحدا من تدفق ذوى الحاجات على ساحته .

وكان القائمون على هذه الدواوين من خاصة الكتاب الذين يختارون بعد اختبار صعب ، وامتحان عسير ، وتدريب شـــاق ، وإتقـــان للغـــة ومعرفة بأساليبها ، وأسباب وضوحها وجمالها.

وقد وصف الجاحظ ما كان عليه هؤلاء القائمين بأمور الدواويـــــن مشيدا بقدرتهم البيانية " إنهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعانى

---

(١) البيان والتبيين ١٩٢/٢ الجاحظ .

المنتخبة ، وعلى المخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع والتمكن ، وعلى السبك الجيد، وعلى كلام له رونق ، وعلى المعانى التى إذا صارت فى الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ، ودلت الأقلام مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعانى"[١].

ثالثها: مجالس الخلفاء:

فقد حرص الخلفاء على أن يزينوا مجالسهم بالشعر ، ويعطروا جوها بروح السمر والمرح ، وأن يحيطوا أنفسهم بأزاهير الشعراء وكذلك حرص أمراؤهم ووزراؤهم وسراتهم على أن ينقلوا إلى قصورهم ومجالسهم ما يدور فى حضرة خلفائهم ، فاتخذوا لهم مجالس كمجالسهم وسمرا كسمرهم ، فأجزلوا العطاء للشعراء وأجروا عليهم المرتبات والعطايا والهبات ٠

وأصبحت هذه المجالس هنا وهنالك مثل الندوات العلمية والأدبية وارتادها العلماء والشعراء ، يتناظر كل فريق منهم أمام الخليفة ، ويهتم كل منهم بتقديم أرقى وأفضل ما جمع من ذخائر فن الكلمة والمعرفة ويتسابق كل منهم ليحصل على حظوة الخليفة أو الأمير أو الوزير لينال رفده وعطاءه ٠

ولقد اكتظت هذه المجالس بالشعراء ، مما فتح مجال ارتقاء الشعر سدة الهيمنة ، فجال الشعراء بفهم ،وصالوا فى كل ميدان ، مما حد من مجالات الخطابة بفنونها المعروفة وبخاصة فى مجالى الخطابة السياسية

---

(١) البيان والتبيين ٢٤/٤ الجاحظ ٠

والحفلية ، وقد اشترطوا فى النديم أن يحسن فن المسامرة "فكان لمجــالس الخلفاء والوزراء وعلية القوم أيضا آدابها ، وهى تعرف بأدب المســامرة وكان لابد للنديم من إحسانها حتى يخف على قلب منادمـــه"[١] وهيــأت الظروف لهؤلاء الندماء أن يصل بعضهم للمناصب العليا فى الدولـــة أو الحصول على الصلات والمنح والعطايا السنية .

رابعها: ثراء الدولة: فقد كانت الدولة العباسية ترفل فى ثياب العــز والثراء ، نظرا لاتساع رقعة البلاد ، وكثرة خيراتها ، وارتقاء أســـباب العيش فيها، واطمأن الخلفاء والوزراء إلى بلهنية العيش ، وسعة الــرزق فانخرطوا فى سلك الحياة الرغدة ، وبالغوا فى الإنفاق ، وسكنى القصور الفارهة ، والحدائق الغناء ، وامتلاك الجوارى والإمـــاء، وســلكوا فـــى حياتهم مشارب لم يكن الإسلام يسمح بها لحكامه، مـــن شــرب الخمــر واللهو والعبث ، والإقبال على الدنيا ومفاتنها ،ونعيم الحيـــاة وزخرفـــها والابتعاد عن كل ما ينغص حياتهم أو يكدر صفو عيشهم .

وقد عاش الشعراء منعمين فى ظل هذا الثراء ، وأجريـــت عليـــهم المرتبات والعطايا ، وسمح بعض الأمراء باصطحاب الشعراء لهم فـــى مغازيهم وحروبهم ، ووصف بطولاتهم وأمجادهم ، فقربوهم وأكرموهـــم وأقطع بعضهم شعراءه جزءا من إماراتهم ، مكافأة لهم كما حـــدث مـــن سيف الدولة الحمدانى لأبى الطيب المتنبى.

والمعروف أن الرشيد الذى ولى الخلافة سنة ١٧٠هـــــ وامتـــدت خلافته إلى ١٩٣هـــ "ويعد عصره العصر الذهبى للخلافة العباسية ، بمـا

---

(١) تاريخ الأدب العربى ــ العصر العباسى الأول ٥٣ .

بلغته من أبهة الملك وفخامته ، ولا تزال ذكراه حية في نفوس العرب إلى اليوم ...... وحفلت (دولته) حينئذ بالعلماء من كل صنف والمترجمين والأطباء والشعراء والمغنين والمغنيات والجوارى من كل جنس وعلى كل لون ... كان كلفا بالسماع والمتاع بنعيم الحياة ، مع إعطاء الدين حقوقه ، ولم ير خليفة أسمح منه بالمال ،وكان يحب الشعر والشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه"[١] .

خامسها : تعدد الاتجاهات المذهبية والسياسية:

بدأت الأمة الإسلامية منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ تواجه أزمة طاحنة ، ظهرت معها عوامل الفتنة الكبرى بين المسلمين، وأخذ الصراع بين معاوية وعلى حول هذه القضية يتصاعد ويتعقد حتى انتهى باستشهاد الإمام على رضى الله عنه ، بعد مأساة التحكيم، فانقسم المسلمون إلى ثلاث فرق: شيعة وخوارج وأمويين "رفع كل فريق راية التحزب فى عهد معاوية ومن جاء بعده ، وتعالت الأصوات فى الجدل الدينى والسياسى. واتسعت رقعة الدولة ، وكثر القواد والولاة ، واشتعلت الحرب الداخلية بين بنى أمية وخصومهم . وزاد المد الإسلامى فى كل المسارات الخارجية ، وظهر خطباء بارزون فى السياسة والدين والاجتماع من دعاة الأحزاب ، والقائمين بالثورات فى العراق وفارس وغيرها ، وسائر الفرق الدينية ذات الآراء المختلفة بما لديهم من أفكار وآراء يطرحونها فى المحافل والمناسبات المختلفة بأساليب متنوعة"[٢].

---

(١) تاريخ الأدب العربى ـ العصر العباسى الأول ٣٦ وما بعدها د/شوقى ضيف .
(٢) من صحائف الأدب العربى فى العصر الإسلامى ١٠٤ أ.د/ السيد محمد ديب ١٩٩٤م.

وظلت هذه الفرق والأحزاب فى صراع دموى من أجل نشر مبادئها وآرائها ، وقتال شرس من أجل إثبات حقها فى انتزاع كرسى الخلافة ، والسيطرة على تلك المساحات الشاسعة التى احتوتها الدولة والتمتع بالثروات الهائلة التى تجبيها ٠

ومما ساعد على إذكاء الصراع ضعف خلفاء بنى أمية فى الفترة الأخيرة، وانصرافهم إلى رعاية مصالحهم الخاصة ، وغفلتهم عما يدور حولهم من مشاكل وما تتردى إليه الدولة من انهيار ، أضف إلى ذلك ما كان من صراع بين أفراد البيت الأموى أنفسهم، ولم يكد القرن الأول الهجرى ينتهى حتى كان الدعاة إلى الدولة الجديدة ينتشرون فى أرجاء البلاد ، يدعون الناس إلى الرضا من آل البيت٠ يخفون شخصيته تحت ستار الخوف عليه ، إلى جانب التعمية على الناس، بعضهم يظنه من العلويين ، والآخرون يحسبونه من العباسيين، مستغلين ما أحدثته سياسة الأمويين فى الناس من استياء، ثم ظهرت حقيقة الدعوة ، وأنها للبيت العباسى ، ونشط أتباع العباسيين ، وكان على رأسهم (أبو مسلم الخراسانى) الذى نهض بأمر الدعوة فى خراسان ، واستطاع أن يفرق بين العناصر العربية التى اتفقت على مناصرة بنى أمية ، وقتال أبى مسلم وأعوانه ، واستطاع بذكاء ودهاء أن يفرق بين هذه العناصر ، مما قوى شوكته ، ومهد له سبيل النصر والغلبة ٠

وأخذ أبو مسلم يزحف بأعوانه ، داعيا للدولة الجديدة ، منتصرا على جيوش بنى أمية بقيادة آخر الخلفاء الأمويين (مروان بن محمد) الذى هزم فى موقعة (الزاب) وفر إلى مصر حيث قتل عند قرية (أبو صير) بجنوب مصر ٠

وفى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١٣٢هـ أعلن أبو العباس السفاح بالجامع الكبير فى الكوفة ، بدء قيام الدولة العباسية"[١].

وبدأ خلفاؤها فى تصفية حساباتهم ، وكان الرجل الذى قامت على أكتافه الدولة الجديدة (أبو مسلم) أول من اغتاله خلفاء بنى العباس على يد أبى جعفر المنصور ، مفتتحين بذلك صفحاتهم السوداء التى دفعت الكثيرين إلى الثورة ، ومناهضة العباسيين، فظهر العلويون مطالبين بحقهم فى الخلافة ، وهم يعتقدون أنهم أصحاب الحق فى ذلك ،كما أطل بعض الأمويين آملين فى استرداد بعض مجدهم ، كما صدم البرامكة بغدر بنى العباس بهم ، فحلت (نكبة البرامكة) بهذه الأسرة الفارسية التى أخلصت ، وقدمت الجهد والعرق من أجل الدولة ونهضتها ، ولكن التآمر والدس والغدر كلها كانت الأسلحة التى استغلها المتسلقون والمستغلون .

وتوالت الثورات على أيدى القرامطة والزنج وغيرهم ، كما توالى بطش الخلفاء بالفرس، والاستعانة بالترك الذين تلاعبوا بخلفاء بنى العباس، وسملوا عيون بعضهم ،وعينوا وعزلوا كما يشاءون. حتى دمروا هذا الكيان الذى كان يوما أغنى وأقوى وأعز دولة . حتى هاجم المغول بغداد وأسقطوا الدولة .

يقول الدكتور شوقى ضيف مصورا مدى تدخل الأتراك فى شئون الدولة ، مما كان سببا فى ضعف الدولة وضياعها: "استولى الأتراك منذ

---

(١) الأدب العربى فى العصرين العباسى الثانى والأندلسى ص٦ د/محمد إسماعيل ١٩٨٣م .

قتل المتوكل على المملكة ، واستضعفوا الخلفاء ، فكان الخليفة في يدهم كالأسير ، إن شاءوا أبقوه ، وإن شاءوا خلعوه ، وإن شاءوا قتلوه"[١].

وهكذا نجد أن دولة الخلافة ــ رغم ثرائها ــ كانت تموج بالاضطراب والمشاكل والثورات ،وكانت تزخر باللهو والطرب والمجون، وكان على الجانب الآخر فقراء معدمون، فظهرت طائفة من الزهاد والوعاظ ــ أما الشعراء فهم الطبقة التي وجدت في بلاط الخلافة طلبتهم من الثراء ، والجاه والسلطان ، وتقربوا إلى ذوي المناصب العليا في الدولة ، وارتقى الشعر ، وسلك أغراضا جعلت هذا العصر بحق: العصر الذهبي للأدب العربي .

---

(١) تاريخ الأدب العربي ــ العصر العباسي الثاني ص١٣ د/شوقي ضيف دار المعارف ط٣ .

تعدد الحواضر والمراكز الثقافية: كانت دمشق في عصر الأمويين حاضرة البلاد ، التى إليها يفد الأدباء ، ثم كانت بغداد في العصر الأول هى حاضرة الدولة ، مركز النشاط الأدبى واللغوى ، ثم تعددت الحواضر ، وكثرت المراكز الثقافية ، وبعد أن كان الأديب يقصد (بغداد) وحدها ، على سبيل المثال ، انفسح أمامه المجال ، إذا تعددت تلك الحواضر ، وكثرت تلك المراكز الثقافية ، من أدبية ولغوية ، وأصبح أمام الأديب أكثر من مكان يقصده ويفد إليه ، يعرض فيه فنه ، وينشر فيه معرفته وعلمه . فاتجهت وفودهم إلى حيث يجدون طلبتهم ، إذ تسقط الطير حيث ينتثر الحب . فاتجهوا إلى (حلب) و(الرى) و(القاهرة) و(بخارى) و(نيسابور) وغيرها ٠

وكان لتعدد تلك الحواضر دور آخر ، إذ اتسمت كل حاضرة بوجه صاحبها وفكره ، وتسابق هؤلاء الأمراء ـ كل يبغى أن تظهر إمارته على غيرها من الإمارات ، وتتحلى بهذه الكوكبة من شعراء العصر ، فعمل كل منهم على اجتذاب هذه الصفوة من الشعراء ، ونافس كل أمير نظيره من الأمراء الآخرين ، بكثرة من يفدون عليه ، ويقدمون على بلاطه من الشعراء والأدباء ٠

لذا أقبلت وفود الشعراء على هؤلاء الأمراء ، ولازموهم في مجالسهم ، وأكثروا من مدائحهم ، لنيل عطائهم ، وتسابقوا إلى ساحاتهم كما حدث من (أبى الطيب المتنبى) الذى لزم (عضد الدولة) ثم (سيف الدولة) ثم (كافور الإخشيدى) وخص كلا منهم بمدائحه ، ولازم سيف الدولة فى معاركه ، فوصفها وأشاد بشجاعته وجرأته. فأفاض عليه سيف الدولة من بره وجوده ، وهكذا كان بلاط هذا الأمير العربى مقصد الوفود

من الشعراء المتطلعين إلى عطائه ونواله ، كذا كان الحال فى مكة التى وفد إليها الشعراء من نجد والبادية ، والمدينة التى ضمت شعراء الحجاز والجزيرة ، وكان المتنبى من أكثر الشعراء نشاطا وتنقلا من أجل تحقيق مراده ، فنجده (فى سنة ٣٣٦هـ يتجه إلى ولاة سيف الدولة فى حلب فيمدح أبا العشائر ــ ابن عم سيف الدولة ــ والى أنطاكية ، فأجزل له العطاء . وفى العام التالى يقدم سيف الدولة أمير حلب فيمدحه المتنبى ويعجب كل منهما بصاحبه ... وظل المتنبى فى بلاط سيف الدولة أثيرا لديه تسع سنوات"[1].

وفى سنة ٣٤٦هـ ، يغادر المتنبى حلب مغضبا ، فيقصد "كافور الإخشيدى بمصر ، وهو يرجو أن ينال من كافور إمارة أو ولاية يغيظ بها الذين كادوا له فى حلب وأخرجوه منها ، فمدحه بقصائد عظيمة ، ولكنه لم يظفر منه بشئ"[2] فيحتال للخروج من مصر ، وأخيرا يفر منها ليلة العيد ، ويهجو كافورا بقوله:

لا تشتر العبد إلا والعصا معه ∴ إن العبيد لأنجاس مناكيد

وكانت حياة المتنبى كلها ارتحالا من مكان إلى آخر ، منذ بداية شبابه. يقول د/ طه حسين: "وكان المتنبى حين أغار القرامطة على الكوفة فى الرابعة عشرة من عمره ، وكان المتنبى حين جلا القرامطة عن العراق فى الخامسة عشرة من عمره . ونلاحظ أنه فى ذلك الوقت بعد جلاء القرامطة عن العراق لم يستقر فى الكوفة ، وإنما يحدثنا الرواة أنه ارتحل عنها ، وارتحل معه أبوه إلى بغداد بعد جلاء القرامطة عن الكوفة ... وإقامة المتنبى فى بغداد لم تتصل ... إنما أقام ببغداد فترة

---

(١) نصوص من الأدب العباسى (العصر الثانى) ١/ ٩ أ.د/ حسن الكبر .
(٢) السابق ١/ ١١ أ.د/حسن الكبير .

قصيرة ، ثم ارتحل عنها إلى الجزيرة وشمال الشام"[١]. وكما أشرت انتقل بعدها إلى مصر.

وهكذا كان تعدد الحواضر ميدانا متسعا أمام الأدباء للتنقل والشدو والنيل وتحقيق الثراء والمجد، "ومن الملاحظ أن الوطن العربى الفسيح رغم تقسمه وتفسخه وقتئذ ما كان إلا وطنا واحدا مفتوح الأبواب أمام العلماء والأدباء ، يسبحون فيه كما يشاءون ، ويتنقلون كما يريدون ، ولا أدل على ذلك من تنقل المتنبى بين الشام ومصر والعراق وما جاوره ، ثم توزيع مدائحه على سيف الدولة وغيره من آل حمدان[٢].

ونلحظ أن الميدان هنا كان للشعر أكثر ، فازدهر وآتى ثماره وتفوق على غيره من ألوان البيان ، وصور التعبير .

وظل هذا الازدهار الأدبى فى عصر الدويلات الأولى كالبويهيين ومن جاورهم ، ولكنه بدأ فى الاضمحلال والتراجع فى عصر السلاجقة الذين لا يحسنون العربية ولا يتذوقون أدبها ، ولا يفهمون شعرها وشغلتهم دنياهم الملأى بالتآمر والتشاحن وحب المال إلى إهمال الأدب وصد الشعراء ، وكف أيديهم عن عطائهم ، وكانت كبوة الأدب والشعر على أيديهم .

---

(١) مع المتنبى ٤٦ د/ طه حسين دار المعارف ط١٣ لسنة ١٩٨٦ .
(٢) الثعالبى ناقدا فى يتيمة الدهر أ٠د/ حامد محمد الحطيب ص٥٦ مطبعة الأمانة سنة١٩٨٨ ط١ .

ب ـ السفارة:

أما السفارة . فقد علمنا وجودها منذ العصر الجاهلى ، وعرفنا ما كان من أمرها بين النعمان وكسرى ، وكيف حاول المتغطرس الفارسى أن ينال من العرب وأخلاقهم وعاداتهم ، وأن يحقر من شأنهم ، ويحط من أقدارهم ، أمام وفود الأمم الأخرى ، وكيف تصدى له الملك العربى يرد عن قومه ما ألحقه بهم هذا الدعى المتغطرس ، المغرور بمظاهر ملكه ، المحتمى بحراب جنده ، ففند له النعمان كل تهمة ، ودحض له كل فكرة ، وأعلى قدر العرب ، ورفع شأنهم ، وأبطل كل تهمة حاول المغرور إلحاقها بهم .

ولم يكتف النعمان بما كان ، وإنما جمع بعد عودته إلى أرضه جماعة من خير رجال العرب ، وأشجعهم ، وأبينهم ، وزودهم برسالتهم إلى الطاغية ، للرد عليه وإفحامه ، فكانوا خير سفراء عن أمتهم بما واجهوا به هذا الحاكم المتغطرس . وذهبوا فى الدفاع عن أمتهم مذهب الشجعان ، واستعدوا للقاء والذود مسلحين بالهيئة التى ترد على المغرور غروره ، والبيان الذى يفسد عليه ادعاءه ، وقد أحسن النعمان اختيارهم ، وشرح لهم أبعاد سفارتهم وشرف رحلتهم ، وعرفهم بمهمتهم ، فلما وصلوا إلى ساحته كانوا عن أمتهم خير ذادة ، وبسطوا أمام يديه عظمة أمة العرب ، وطيب أرومتها ، وأصالة شرفها ، ورفعوا رايات عزها وأنها أمة تأبى الضيم ، وترفض المهانة والذل .

خرج أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة التميمان ، والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريان وخالد بن جعفر وعلقمة بن معد يكرب الزبيديان ، والحرث بن ظالم المرى . وقد زودهم النعمان بشحنة من

العاطفة والفكرية ، وهيأ لهم سبيل توصيل الرسالة المهمة إلى كسرى وأن الكلمة العربية هى خير وسيلة لصد هجمات كسرى الظالمة المتعنتة ضد الأمة التى تحفظ جواره ، وتصون أمنه ، وتعمل على استقرار دولته، ورتب النعمان لسفرائه أدوارهم فى الكلام ، وكساهم بما هم أهل له من العظمة فى قومهم ، فكانوا أكرم سفراء ، لأشرف مهمة ٠

وقد زودهم النعمان برسالة يتقدمون بها إلى كسرى . وهى فى قيمتها تشبه ما نعرفه اليوم بـ(أوراق الاعتماد) التى يقدمها السفراء بين يدى ملوك ورؤساء الأمم التى يسفرون إليها ٠

وقد أدى كل سفير من هؤلاء الرجال دوره المنوط به ، وطبعت كلمته آثارها المحمودة فى نفس كسرى ، وأثارت إعجابه بحسن المنطق وروعة الحكمة المنطلقة مع اللفظ ، ودقة الكلمة المعبرة عما يجيش فى صدور الناطقين بها . ورقى الفكر ، والسمو به ٠

"وكانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر (تواقدت) القبائل إليها ، فهنأتها بهذا النبوغ ؛ لأنه وسيلة رفعتها بين القبائل ، (سفير) لها لدى جيرانها ولدى ملوك الدول من حولها"[١]٠

وتشرق شمس الدعوة الإسلامية ، ويتطلع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأمم المجاورة ، وكبار القبائل العربية ، وبدأ لون من الجهاد النبوى الكريم لنشر رسالة التوحيد والإيمان ، بتوجيه رسائل نبوية مشرفة ، مع رجال ذوى صفات سامية ، وأخلاق عالية ، ونعرف أن "إيفاد الرسل أمر معروف منذ أقدم العصور لدى مختلف الدول والشعوب

---

(١) الشعر العربى . ضوابطه وموسيقاه (المقدمة) أ٠د/ محمد أحمد سلامة ط المحمدية ــ القاهرة ١٩٩٧ م٠

ولقد عرف اليونان والرومان هذا الضرب من الاتصالات الدولية ، وكذلك عرفته الحضارة الصينية القديمة ، وعرفه من قبل قدماء المصريين ، ثم أخذ يتطور ويتأهل تدريجا فى العصور المتأخرة حتى أصبح من أهم ضروب الاتصالات الدبلوماسية المعروفة فى العصور الحديثة ، فالملوك والرؤساء يوفدون الشخصيات الممتازة فى مهام معينة حاملين رسائل موجهة إلى ملوك الدول المختلفة ورؤسائها ، تنطوى على آراء أو مطالب معينة"[١].

ويتمتع هؤلاء السفراء بحماية مخصوصة متعارف عليها إذ لا يستطيع أحد أن ينالهم بسوء ، مهما يكون مضمون الرسالة التى يحملونها" وقد يدفع الصلف وسوء الخلق إلى النيل من السفير ــ كما سنرى بعض السفارات ، ثم إن هؤلاء السفراء يختارون بدقة وعناية من بين "الأشخاص الذين يتمتعون بالعلم الواسع ، والذكاء الخارق ، والسمعة الطيبة والمظهر اللائق ، والرونق الشائق ، والمنطق اللطيف ، والبديهة الحاضرة ، حتى يكون لكلامهم أجمل وقع ، ويبلغوا رسالاتهم على أحسن وجه"[٢] .

أضف إلى ذلك ما كان عليه سفراء النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى تكوين الشخصية الإسلامية التى تحلت بأخلاق الإسلام فى حياة الرسول ، وما جبلت عليه من شجاعة نادرة ، وحب للشهادة فى سبيل الدعوة الإسلامية ، انطلاقا من تشبعها بروح الإيمان والتوحيد وامتلائها بنور الجهاد فى سبيل الله ، وتأثرها بشخصية سيدنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ٠

---

(١) سفراء النبى عليه السلام وكتابه ورسله ص٦ د٠ مختار الوكيل ٠
(٢) نفسه ص٧ د٠ مختار الوكيل ٠

وقد تمتع هؤلاء السفراء بأدائـــهم البطولـــى مـــن أجـــل الإســـلام وبخاصة أنهم كانوا يكتبون ، ويحسنون الكتابة . حيث كان عدد الكتـــاب فى المدينة بلغ "أحد عشر شخصا"(١) وأوصلهم بعض المؤرخين إلى ثلاثة وأربعين كاتبا .

حكى الطبرانى عن المسور بن مخرمة رضى الله عنه قال: خـــرج رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على أصحابه ، فقال: إن الله بعثنى رحمة للناس كافة ، فأدوا عنى ــ رحمكم الله ــ ولا تختلفوا كما اختلـــف الحواريون على عيسى عليه السلام ، فإنه دعاهم إلى مثل ما أدعوكم إليه ــ فأما من بعد مكانه فكرهه ، فشكا عيسى بن مريم ذلك إلـــى الله عـــز وجل ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بكلام القوم الذين وجـــه إليـــهم . فقال لهم عيسى : هذا أمر قد عزم الله عليكم فافعلوا .

فقال أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ نحن يا رســـول الله نؤدى إليك ، فابعثنا حيث شئت . فبعث رسول الله ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ عبد الله بن حذافة رضى الله عنه إلى كسرى ، وبعث سليط بـــن عمرو ــ رضى الله عنه ــ إلى هوذة بن على صاحب اليمامة ، وبعـــث العلاء بن الحضرمى ــ رضى الله عنه ــ إلى المنذر بن ساوى صـــاحب هجر ، وبعث عمرو بن العاصى ــ رضى الله عنه ــ إلى جيفر وعبـــاد ابنى الجلندى ملكى عمان ، وبعث دحية الكلبى ــ رضى الله عنه ــ إلـــى قيصر ، وبعث شجاع بن وهب الأسدى ــ رضى الله عنه ــ إلى المنـــذر بن الحارث ابن أبى شمر الغسانى ، وبعث عمرو بن أبى أمية الضمـــوى

(١) السابق ص٧ وانظر العقد الفريد ١٥٧/٤ ، والطبقات الكـــبرى ج٣ ص٢٤ ــ ١٤٨ .

ــ رضى الله عنه ــ إلى النجاشى ، فرجعوا جميعا قبل وفاة رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ غير العلاء بن الحضرمى ــ فإن رســـول الله ــ صلى الله عليه وسلم . توفى وهو بالبحرين"[١].

وزاد أصحاب السير: أنه بعث المهاجر بن أبى أمية بن الحارث بن عبد كلال وجريرا ــ رضى الله عنهما ــ إلى ذى الكلاع ، والســـائب ــ رضى الله عنه إلى مسيلمة ، وحاطب ابن أبى بلتعة ــ رضى الله عنه ــ إلى المقوقس"[٢].

ومن المعلوم أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ، قد بعث إلـــى النجاشى ــ ملك الحبشة ــ رسالة ، يوصيه فيها بالمسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة فى العام الثامن قبل الهجرة (الخامس للبعثة) .

وقد أخرج البيهقى عن ابن إسحاق ، قال: بعث رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمـــرى ــ رضـــى الله عنـــه ــ إلـــى النجاشى فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه رضى الله عنهم ، وكتب معه كتابا:

"بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، إلـــى النجاشـــى الأصحم . ملك الحبشة . سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الملك القـدوس المؤمن المهيمن ....

(وفيه يقول)

"وقد بعثت إليك ابن عمى جعفرا ومعه نفر من المســـلمين ، فـــإذا جاءوك فاقرهم"[٣].

---

(١) حياة الصحابة ١٠١/١ ، ١٠٢ محمد يوسف الكاندوهلى مطبعة دار المعـــارف العثمانية حيدر أباد ، الهند وانظر: كتب السير .

(٢) السابق ص١٠٢ .

(٣) السابق ص١٠٣ .

وقد رد النجاشي على خطاب الرسول — صلى الله عليه وسلم محييا ومجيبا ومؤمنا وجاء في رده "وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقرينا ابن عمك وأصحابه ، فأشهد أنك رسول الله صادقا ومصدقا......"[1].

وتعد مكاتبات الرسول — صلى الله عليه وسلم — إلى الملوك وشيوخ القبائل أول مظهر من مظاهر تكوين الدولة الإسلامية ، وهي بمثابة البداية الأولى لديوان الرسائل الذي سيتم إنشاؤه بعد .

كما أن كتابه وسفراءه يمثلون اللبنة الأولى للمظهر السياسي للدولة وإن كان ذلك لم يتبلور ، ويظهر بصورة رسمية ؛ لأن الدعوة إلى الدين كانت الأساس الذي يشغل أذهان الجميع ، ويستولي على كيانهم وتفكيرهم ، فلما استقر الأمر في عهد عمر — رضي الله عنه — ظهرت هذه الدواوين إلى الوجود في صورتها المثالية ، معبرة عن حضارة الإسلام ورقي المسلمين .

كذلك كان النبي — صلى الله عليه وسلم — أول من سجل معاهداته وأول من أملى مواثيقه ، فكان أول عهوده المكتوبة ما دونه فيما يمكن تسميته (معاهدة التعايش) بين فئات مجتمع المدينة من مهاجرين وأنصار مع اليهود .

وهي تعد أول معاهدة مكتوبة في الإسلام ، وأقدم دستور مسجل في العالم ، مما يؤكد حضارة الإسلام ، وحبه للعيش في سلام .

"كذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام أول من أملى كتب العهود والمواثيق ، ومنها عهده عليه الصلاة والسلام لنصارى (أيلة) القدس:

(١) السابق ص١٠٣ .

وكان بخط على بن أبى طالب ــ رضى الله عنه ، فقد كان متخصصا فى كتابة المعاهدات[١]" .

وقد حرص النبى عليه السلام على أن يلم أصحابه باللغات الأجنبية حتى يترجموا له ما كان يأتيه من مكاتبات غير العرب ، فتعلم زيد بن ثابت رضى الله عنه العبرانية ــ وقيل السريانية ــ فى سبع عشرة ليلة. وكان يعرف أيضا ــ الفارسية والرومية والقبطية والحبشية ، مما جعله يسمى (ترجمان الرسول) .

وكان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يستعمل من يفد عليه معلنا إسلامه سفراء إلى قومهم ، يحملهم رسائله يدعوهم فيها إلى الإسلام وربما ولى عليهم هذا الوافد السفير .

من ذلك ما حكاه الطبرانى عن عمير بن مقبل الجذامى عن أبيه قال: وفد رفاعة ابن زيد الجذامى على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم فكتب له كتابا ، فيه:

"من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامة، ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله. فمن آمن ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين" .

فلما قدم على قومه أجابوه"[٢].

ولم تقف وظيفة هؤلاء السفراء بحمل الرسائل وإيصالها ومعرفة الرد ، بل نجدهم يقومون بمهام أخرى ، من أجل نشر الإسلام والتعريف

---

(١) سفراء النبى عليه السلام وكتابه ورسله ص١٠ د/ مختار الوكيل .
(٢) حياة الصحابة ١/١٢٤ .

به ، وتعليمهم قراءة القرآن ومعرفة أحكامه ، والصلاة بـهم ، والعمـل على هدايتهم . من ذلك ما أخرجه أبو نعيم[١] فى الحلية ٠

عن عروة بن الزبير — رضى الله عنهما (وفيه) أن الأنصار بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — أن ابعث إلينا رجلا مـن قبلـك فيدعو الناس إلى كتاب الله ، فإنه أدنى أن يتبع ، فبعث إليهم رسـول الله — صلى الله عليه وسلم — مصعب بن عمير رضى الله عنه — أخا بنـى عبدالدار ، فنزل بنى غنم على أسعد بن زرارة ، يحدثهم ويقص عليـهم القرآن ، فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ يدعو ويهدى الله على يديـه حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة.........".

كذلك بعث الرسول — صلى الله عليه وسلم — أبا أمامة إلى قومـه يدعوهم إلى الإسلام "كذلك أوفد عليه الصلاة والسلام أبا موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام مـن تبوك ، ثم أوفد إلى اليمن كذلك على بن أبى طالب كرم الله وجهه. كمـا أوفد جرير بن عبد الله البجلى إلى ذى كراع وعمرو بن أمية الضمـرى إلى مسيلمة الكذاب. وبعث عليه الصلاة والسلام إلى فروة بـن عمـرو الجذامى. وكان عاملا لقيصر فى معان يدعوه إلى الإسلام"[٢].

فالسفارة سبيل دعوة إلى دين الله ، والسفراء الكـرام جنـد هـذه المعركة المشرفة ، قائدهم سيدنا رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم ، يختارهم بعين فاحصة ، يقدرهم ويزودهم بنصائحه الشريفة ، وتوجيهاته الدقيقة النافعة ، يتجلى ذلك فى توجيهه لمعاذ بن جبل فى سـفارته إلـى

---

(١) الحلية (أبو نعيم) ١٠٧/١ و/ حياة الصحابة ٩٠/١ ٠
(٢) سفراء النبى عليه السلام وكتابه ورسائله ص٥٣ د/ مختار الوكيل ٠

اليمن، يسأله المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بم تحكم بينهم ؟ فيقول معاذ: بكتاب الله . فيقول له الرسول. فإن لم تجد. فيرد معاذ. بسنة رسول الله. فيقول له النبى: فإن لم تجد. فيقول معاذ: أجتهد رأيى ولا آلو. (أى لا أقصر). فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله . أخرج ابن منده وابن عساكر عن عبدالرحمن بن عائذ رضى الله عنه قال: "كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا بعث بعثا قال: تألفوا الناس ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر إلا تأتونى بهم مسلمين أحب إلى من أن تأتونى بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم[١].

كذا فى الإصابة جـ٣ ص١٥ والترمذى جـ١ ص١٩٥

وعن بريدة – رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم – إذا بعث أميرا على سرية أو جيش أوصاه بتقوى الله فى خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيرا ، وقال: إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال – أو – خلال . فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم. ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأعلمهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وأن عليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أن يكونوا كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى كان يجرى على المؤمنين......الحديث".

---

(١) حياة الصحابة ١/٨٦ .

فهؤلاء الدعاة السفراء ينطلقون لأداء مهمتهم على هدى وبصيرة من الله ورسوله. وتشبه هذه السفارة ما نعرفه اليوم باسم (الملحق الثقافى)٠

وهناك مهمة ثالثة قام بها هؤلاء السفراء الكرام ، تشبه ما يعرف اليوم باسم (الوسيط الحربى). فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم — يبعث بسفرائه الكرام قوادا على رأس السرايا التى كان يوجهها إلى بعض القبائل أو بعض المناوئين للإسلام ، فقد أرسل عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل . وكان عبد الرحمن — رضى الله عنه — على رأس سرية٠

كما بعث عمرو بن العاص إلى بنى بلى ، وخالد بن الوليد إلى أهل اليمن ، الذين لم يسلموا يومها ، وأرسل على بن أبى طالب إلى همدان التى أسلمت ، وأرسل خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران٠

"ذكر ابن إسحاق: أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث خالد بن الوليد — رضى الله عنه إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم عليه ، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه يدعون إلى الإسلام ويقولون: أيها الناس : أسلموا تسلموا. فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعوا إليه. فأقام فيهم خالد . يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه — صلى الله عليه وسلم — كما أمره رسول الله — صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا ٠

ثم كتب خالد بن الوليد — رضى الله عنه — إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم:

"بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد النبى رسول الله. من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد — يا رسول الله صلى الله عليك — فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب وأمرتنى — إذا أتيتهم — ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام فإن أسلموا قبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم .

وإنى قدمت عليهم ، فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وبعثت فيهم ركبانا . يا بنى الحارث: أسلموا تسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى — صلى الله عليه وسلم — حتى يكتب إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم .

والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته".

فكتب إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم: -

"بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبى رسول الله ، إلى خالد بن الوليد .

سلام عليك . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد.

فإن كتابك جاءنى مع رسولك يخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تفاجئهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام

وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل ، وليقبل معك وفدهم ٠

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"(١)٠

فأقبل خالد وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم ٠

* * * * * * * * *

مما سبق نستنتج أن السفارة فى عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم كانت لأهداف محددة ، هى:

أولا: حمل رسائل النبى صلى الله عليه وسلم — للأكاسرة والقياصرة والملوك ورؤساء القبائل ، وكان ذلك داخل الجزيرة وخارجها٠

ثانيا: الدعوة إلى الإسلام ، والدخول فى دين الله تعالى ، وتعليم هؤلاء الناس أمور دينهم ، وتعاليم نبيهم ، وتعليمهم القرآن الكريم وأحكامه٠

ثالثا: قيادة السرايا التى كانت تتصدى للمشركين أو المرتدين لتردهم إلى حظيرة الإيمان والإسلام ٠

****

وينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، ويبدأ عصر الخلفاء الراشدين ، وتظهر حركة الردة ، فينبرى الخليفة الأول — أبو بكر الصديق — رضى الله عنه ، متصديا لها ، عاملا للقضاء عليها ويجرد إحدى عشرة سرية للقتال ، ويعقد لكل قائد سرية لواء ، ويوجه هذه الألوية مزودة برسالة منه يحملها قائد كل لواء ، يدعو المرتدين إلى دين الله ، وتأدية ما أمر الله به من صلاة وزكاة ، ويوصى أصحاب الألوية بعدم حربهم إلا بعد الامتناع عما دعاهم إليه ٠

---

(١) حياة الصحابة ١/٩٥ — ٩٧ ٠

ومن رسائله ــ رضوان الله عليه ــ التى بعث بها إليه ، وقد فــرغ ابن الوليد من حرب اليمامة[1] " من عبد الله أبى بكر ــ خليفة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان. سلام عليكم ــ فإنى أحمد إليكم الله الـذى لا إله إلا هو .

أما بعد . فالحمد لله الذى أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأعز وليــه وأذل عدوه ، وغلب الأحزاب فردا ، فإن الله الذى لا إله إلا هــو قــال: "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم" وكتــب الآية كلها ، وقرأ الآية، وعدا منه لا خلف له ، ومقــالا لا ريــب فيــه وفرض الجهاد على المؤمنين ، فقال: "كتب عليكم القتال وهو كره لكــم" حتى فرغ من الآيات . فاستتموا بوعد الله إياكم ، وأطيعوه فيما فــرض عليكم ، وإن عظمت فيه المؤونة ، واستبدت الرزية ، وبعــدت الشــقة وفجعتم فى ذلك بالأموال والأنفس ، فإن ذلك يسير فى عظيم ثــواب الله فاغزوا ــ رحمكم الله ــ فى سبيل الله "خفافا وثقالا وجــاهدوا بــأموالكم وأنفسكم" وكتب الآية .

ألا. وقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق ، فــلا يبرحــها حتى يأتيه أمرى فسيروا معه ولا تتثاقلوا عنه ، فإنه سبيل يعظم الله فيــه الأجر لمن حسنت فيه نيته ، وعظمت فيه الخير رغبته ، فــإذا وقعتــم العراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمرى ، كفانا الله وإياكم مــهمات الدنيــا والآخرة . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته " .

---

(١) السابق ص١/ ٤٢٢ ، وانظر سنن البيهقى جــ٩ ص١٧٩ .

وكذا أرسل أبو بكر ـــ رضى الله عنه ـــ إلى أهل اليمن يستنفرهم للجهاد فى سبيل الله[١] ، وتستمر رسائله إلى قواده وأمراء جنده٠

"وتلقانا له منذ هذا التاريخ كتابات وعهود مختلفة . وكان آخر مـــا كتبه عهده لعمر وفيه يقول: "إنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن بر وعدل فذلك علمى به ، ورأيى فيه ، وإن جار وبدل فـــلا علـــم لـــى بالغيب والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون"[٢].

وفى عهد عمر ـــ رضى الله عنه ت ينهض الخليفة إلـــى تنظيـــم الدولة ، فينشئ الدواوين التى تهتم بأمور كل قطاع. فمنها ديوان للجنـــد وآخر للخراج ثم ديوان الرسائل ، الذى يتولى القيام بإرسال الرسائل إلى الدول والملوك والقبائل والأفراد ، يبعث بها أفرادا أخذوا مهمة الســـفارة وظيفة لهم ، وأصبح هذا الديوان قائما على طبقتين من الموظفين:

طبقة الكتاب. الذين كانوا يختارون بدقة من الماهرين فى الكتابـــة وأساليبها ، وصحة العبارات ، وروعة البيان ٠

طبقة المراسلين: وهم الذين كانوا يقومون بمهمة نقل هذه الرســائل إلى الأماكن والأفراد الذين توجه إليهم هذه الرسائل٠

وقد نتج عن ذلك أن أصبحت الرسائل نفسها ذات صبغتين ، عرفت كل منهما بصفات خاصة ، وسمات معينة ، وتطورت ـــ فيمـــا بعـــد ـــ فعرفت بالديوانية والإخوانية . وكان عمر ـــ رضى الله عنه ـــ يكتب إلى قواده يرشدهم ويوجههم ، ويبعث برسائله هذه مع سفراء مخصوصيـــن

---

(١) انظر: حياة الصحابة ٤٢٥/١ ٠
(٢) تاريخ الأدب العربى ـــ العصر الإسلامى ١٣٢ د. شوقى ضيف ٠

إلى من يرسلها إليهم ، من ذلك رسالته إلى سعد بن أبى وقاص[١] فقد أخرج أبو عبيد عن يزيد بن أبى حبيب قال: كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص – رضى الله عنهما: إنى كنت قد كتبت إليك أن تدعو الناس إلى الإسلام ثلاثة أيام ، فمن استجاب لك قبل القتال ، فهو رجل من المسلمين ، له ما للمسلمين ، وله سهم فى الإسلام ، ومن استجاب لك بعد القتال ، أو بعد الهزيمة ، فما له فئ للمسلمين لأنهم كانوا قد أحرزوه قبل إسلامه ، فهذا أمرى وكتابى إليك".

ومن السفراء الذين ذكرهم التاريخ عند تواجه جيش المسلمين وجيش رستم الفرس : المغيرة بن شعبة. الذى أرسله سعد بن أبى وقاص إلى رستم ، ثم: "بعث إليه سعد – رضى الله عنه – رسولا آخر بطلبه ، وهو ربعى بن عامر........."[٢].

ثم بعث إليهم (حذيفة بن محصن) ثم (المغيرة بن شعبة) . وقد كتب عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – إلى أبى موسى الأشعرى – وقد ولاه القضاء[٣].

"بسم الله الرحمن الرحيم.

من عبد الله عمر بن الخطاب – أمير المؤمنين – إلى عبد الله بن قيس.

أما بعد. فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلى إليك ، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له ، آس[٤] بين الناس فى وجهك

---

(١) حياة الصحابة ٢٠١/١ وانظر: الكنز جـ٢ صـ٢٩٧ .
(٢) السابق ٢٠٣/١ .
(٣) فصول من تاريخ الأدب العربى ص١١٦ أ.د/ محمد عبد السلام صقر . أ.د/ ناجى فؤاد .
(٤) آس : سر .

وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك[1] ، ولا ييأس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين المسلمين ، إلا صلحا أحل حراما ، أو حرم حلالا، لا يمنعك قضاء تقضيه اليوم فراجعت فيه نفسك ، وهديت فيه لرشدك ، أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل.

الفهم فيما يتلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم أعرف الأشباه والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق".

* * * * * *

وهى رسالة تصور بصدق ، وتنطق بحق ، مصورة عدالة عمر ، رضى الله عنه ، وحرصه على أن يقوم قاض مسئول برعاية حق الله فيما يقضى به بين الناس ، مصدرا رسالته بأهمية القضاء ومسئولية من يتولاه ، فهو فريضة مقننة بأحكامها ، مدعمة بسنة يلزم اتباعها، وأن الأحكام واجبة النفاذ ، فإذا حكمت بحكم فتابع تنفيذه وتحقيقه ، حتى ينال صاحب الحق حقه ، فلا تقوم للظلم قائمة ، كما تبين الرسالة ما ينبغى أن يتحلى به القاضى من تسوية بين المتقاضيين من إقباله عليهما كليهما فى مجلسه وعدله بينهما ، وفى ذلك قضاء على ما قد يلجأ إليه بعض ذوى الشأن ، فتزول المحسوبية أو الانحياز ، وبين له بعد ذلك ما يستدل به على أحقية صاحب الحق من بينة ، وأن على المنكر الحلف ، وإذا تيسر الصلح فهو خير ، ما دام فى مرضاة الله.

وإذا أحس القاضى بشئ فى حكمه ، وتردد ذلك فى صدره ، فلا حرج فى المراجعة والعودة إلى الحق ، حتى يستقيم ميزان العدل

---

(١) حيفك : ظلمك .

وأوضح له أساس الحكم من الكتاب والسنة ، فإذا لم يكن فيهما جــاء دور الاجتهاد بما يوائم أقرب ما فى حكم الله •

وقد أبلى كل منهم بلاء حسنا وجادل يزدجر ـــ بما ربـــاهم عليــه الإسلام من عزة وأنفة واعتداد بالنفس ، وإعزاز لها ، ثم كـــان النصـــر حليفا للمسلمين . كذا كان عمرو سفير المسلمين إلى أقباط مصـــر ، ودار بينهم الحوار ، ثم فتح الله مصر للمسلمين •

وهكذا تمضى السفارة فى عهد الخلفاء الراشدين ، وبخاصة بعـد أن نظمت الدواوين فى عهد عمر ـــ رضى الله عنه ـــ

* * * * * * * *

وفى عصر الدولة الأموية كان من أوائل ما عنوا بهم تسجيل أخبار آبائهم وأجدادهم ، واهتم الأدباء ـــ والشعراء بخاصة ـــ بتدوين نتاجـــهم ويصف الجاحظ مدى ما يصور هذا الاهتمام فيما يحكيه عن أبى عمـــرو بن العلاء ، فيقول: "كانت كتبه التى كتب عن العـــرب الفصحـــاء . قـــد ملأت بيتا له ، إلى قريب من السقف"[١]•

ثم يأمر عمر بن عبد العزيز بتدوين سنة رسول الله ـــ صلـــى الله عليه وسلم ـــ فتتخذ الكتابة منزلة سامية ، ويرقى الكتاب أســـمى مكانـــة ويعمل الأدباء لشرف نيل هذه المنزلة •

ويقبل خلفاء بنى أمية على تشجيع الكتابة والكتّاب ، مما أفرز طائفة من الكتاب المتخصصين فى الفنون المختلفة ، كالتاريخ والمغازى والسير وتاريخ الأمم ، فظهر ابن النديم صاحب الفهرست ووهـــب ابـــن منبـــه ومحمد بن السائب الكلبى وابن اسحاق •

---

(١) البيان والتبيين ٣٢١/١ •

وتمثل اهتمام الخلفاء بالكتابة فى عصر الأمويين فى عناية معاوية "إذ استقدم عبيد بن شرية الجرهمى اليمنى ليحدثه فى مجالسه عن أخبار ملوك العرب الماضين ، وأمر معاوية بعض علمائه بكتابة ما كان يسرده من تاريخهم ، فتألف من ذلك كتابه (أخبار الأمم الماضية) [١]٠

وتتسع حركة التدوين نتيجة اهتمام الخلفاء ، وظهور الكثيرين من الأدباء والعلماء ، الذين يكتبون فى فنون وعلوم متعددة ، وترقى الكتابة ويدون المسئولون رسائلهم السياسية ، وكان الحجاج حين ولى العراق يرسل برسائله مهددا متوعدا ، ويتلقى منه الرد على هذه الرسائل٠

وقد كتب الحجاج إلى قطرى:

"سلام عليك. أما بعد، فإنك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية وقد علمت حيث تجرثمت ذاك ، أنك عاص لله ولولاة أمره ، غير أنك أعرابى جلف ، أمى تستطعم الكسرة ، وتستشفي بالتمرة ، والأمور عليك حسرة خرجت لتنال شبعة ، فلحق بك طغام ، صلوا بما صليت به من العيش ، فهم يهزون الرماح ، ويستنشئون الرياح ، على خوف وجهد من أمورهم وما أصبحوا ينتظرون أعظم مما جهلوا معرفته ، ثم أهلكهم الله بنزحتين والسلام"[٢]٠

وأجابه قطرى:

"سلام على الهداة من الولاة الذين يرعون حريم الله ويرهبون نقمه، فالحمد لله على ما أظهر من دينه وأظلع به أهل السفال ، وهدى به من

---

(١) تاريخ الأدب العربى ــ العصر الإسلامى ٤٥٤ د٠ شوقى ضيف ٠

(٢) جلف: جاف تستطعم: تسأل الطعام ٠ تستشفي: تطلب الشفاء٠ الشبعة: ما يشبع٠ طغام: أراذل. يستنشئون الرياح: كناية عن الجوع . تزحنين: هزيمتين ٠ أظلع: من الظلع وهو العر. السفال: سفول الخلف. متيه: مضلل. الجبلة: السحية مطلخم : متعجرف ٠

الضلال ، ونصر به عند استخفافك بحقه ، كتبت إلى تذكر أنى أعرابـــى جلف ، أمى ، أستطعم الكسرة ، وأستشفى بالتمرة.

ولعمرى يا بن أم الحجاج ، إنك لمتيه فى جبلتـــك ، مطلخـــم فـــى طريقتك ، واه فى وثيقتك ، لا تعرف الله ، ولا تجزع مـــن خطيئتـــك ، يئست واستيأست من ربك ، فالشيطان قرينك ، لا تجاذ به وثـــاقك، ولا تنازعه خناقك.

فالحمد لله الذى لو شاء أبرز لى صفحتك ، وأوضح لى صلعتـــك ، فوالذى نفس قطرى بيده ، لعرفت أن مقارعة الأبطال ليـــس كتصديـــر المقال، مع أنى أرجو أن يدحض الله حجتك . وأن يمنحنى مهجتك"(١).

ولتعدد المذاهب والفرق ، كثرت المراسلات ، وقوى أسلوبها، وكان كل فريق يحرص على الدفاع عن معتقده ، ويفند آراء الأخرين ويبطلـــها فنشأ ذلك الصراع الفكرى الذى أثرى هذه المراسلات ، وكان أكثر هـــذه المذاهب مراسلة هو المذهب الشيعى ، وأول رسائلهم التى بعثـــوا بـــها رسالة استدعاء أهل الكوفة للحسين .

كذلك كانت هناك مراسلات بين ابن الزبير وأعوانه ، ومعـــاهدات بين الدولة وولاتها.ونلحظ أن هذه المراسلات كان يحملها سفراء ، وقـــد كثرت هذه المكاتبات السياسية "وكانت الكتب لا تزال ذاهبة آيبـــة بينـــهم وبين ولاتهم فى كل كبيرة وصغيرة ، وكان قوادهم كلمـــا فتحـــوا بلـــدا واستجاب إليهم أهلها عقدوا معهم المعاهدات"(٢).

---

(١) أوضح صلعتك: كناية عن الذلة وانكشاف الأمر. تصديـــر المقـــال: تســـطيره وتحبيره.

(٢) تاريخ الأدب العربى ـــ العصر الإسلامى ٤٦٠ .

ولم تكثر الرسائل السياسية بين الخلفاء وولاتهم كما كثرت فى عهد عبد الملك،وخاصة بينه وبين الحجاج لكثرة الفتن والثورات التى تشـــبت فى العراق وخراسان"٠

ومن أبرز الملامح الأدبية فى عصر بنى أمية انتقال رايـــــة الأدب للنثر ، الذى نجده يحمل أعباء الفكر ، وينهض بالدعوة الجديـــــدة لبنـــى أمية، ويبين مزاياها ، ويكشف أسرارها ، ويدحض دعــــاوى مناوئيـــها ويجادلهم بالكلمة التى لا تقل عن حدة السيف ، ويبصرهم بروعة الإسلام ومحاسنه ، ويحذرهم وينذرهم إذا فكروا فى التصدى لنظام دولتهم. وقـــد كتبوا ذلك كله إلى أمرائهم وولاتهم وبعثوا به مع سفرائهم.

وبقدر ما اتخذت الدولة من اتجاهات ، وبقدر ما تعددت ألوان الفكر فيها ، وتشعبت مظاهر أنظمتها ، بقدر ما تهيأ للنثر من وسائل الانتشـــار والرقى ، واقتضت الحياة المتنوعة التى اصطبغت بها الدولة الأموية إلى تعدد ألوان الرسائل،مما ترتب عليه اندراجها تحت لونين مشهورين هما:

١-الرسائل الديوانية: التى كانت تصدر من الخليفة أو أحد دواوين الحكومة ، وتوجه إلى ديوان حكومى آخر ، أو إلى أفراد مـــن أبناء الأمة ، وتتضمن أمورا تتعلق بمسيرة الدولة ومصالحـــها. وتندرج تحتها الرسائل السياسية التى ألمحت إليها ســـابقا . ولا تحمل أى عواطف ، بل يغلب عليها الجدة والصرامــــة. وقـــد حلت هذه الرسائل تدريجيا محل الخطابة ، وانـــــتزعت منـــها أغراضها فى الردع والتحذير ، أو التلميح والاستمالة٠ وأصبح من يقومون بحملها إلى ذويها بمثابة موظفـــى الدولـــة الذيـــن يقومون بتوزيع البريد مقابل أجر يتقاضونه من الدولة. ومـــــن أبرز كتابها ابن مقلة وابن الفرات ٠

٢-الرسائل الإخوانية: وهى التى يبعث بها الأفراد العاديون إلـــى نظرائهم وأصدقائهم لتصوير عواطفهم وأشواقهم ، وعلاقاتـــهم الإنسانية ، وما يعرض لهم من حاجات ، أو مجاملات كتهنئـــة أو تعزية .

وكانت هذه الرسائل تفيض بالعواطف الجياشة ، ويؤدى الخيال فيها دورا فاعلا ، وعباراتها وألفاظها تخضع لاختيار الأديـــب بكل دقة ، وتمثل منهجه الأدبى تمثيلا صادقا.

ومن أشهر الكتاب الذين كانوا يتولون ديوان الرسائل : ابن العميد.

* * * * * * * * *

وفى العصر العباسي الأول: وهو ما يعرف بالعصر الذهبى لـلأدب العربى ، نشطت الحركة الأدبية ، وكان لاستقرار الأوضـــاع ، وهيبـــة الخلفاء ، وسلطة الدولة ، وقدرتها على بسط سلطاتها الشرعية مـــا هيـــأ للأدب مناخا رائعا ، رفرفت فيه ألوية الشـــعر فـــى ســـاحات الخلفـــاء ومجالسهم ، ونال الشعراء مكانة كانت ـــ أحيانا ـــ أرقـــى مـــن مكانـــة الوزراء ، وقد سبق أن ذكرت أن الشعر كان أكـــثر تقدمـــا ، وأنضـــر ازدهارا من النثر ، وبخاصة فى مجال الكتابة ، وظهر شعراء ســـابقوا التاريخ فسبقوه ، كالبحترى وابن الرومى ودعبل وابن المعتز والمتنبـــى وهكذا استمر ازدهار الثقافة العربية فى العصر العباسى حتى نكب الأدب بالفتن والاضطرابات التى أصابت الدولة فـــى مقتـــل ـــ حيـــن ســـيطر السلاجقة على مقدرات الخلفاء ، فقضـــوا علـــى هيبتـــهم ، واســـتهانوا بسلطانهم ، مما هيأ لأوربا المسيحية أن تهاجم الدولة الإســـلامية التـــى تمزقت أوصالها بالخلافات والانقسامات ، فانتزع الصليبيون أجزاء مـــن الأراضى الغربية على ساحل المتوسط ، وقام هولاكو بانتزاع الأجـــزاء الشرقية من دولة الخلافة ، وأطبق على بغداد .

وأفلت الشمس فى المشرق العربى ، وردمت الأنهار ببدائع الأفكار ، وديست الدماء المسلمة بسنابك الخيل ، ولكن الله هيأ لأمة الإسلام أرضا أشرقت فيها دعوة التوحيد ، وعبر الإسلام مياه المتوسط لتركض خيول المسلمين خلف أوربا المسيحية ، يزيحونها عن شبه جزيرة إيبريا التى عرفت ببلاد الأندلس ، التى حملت المشعل تبدد به غياهب ظلمات الشرك ، وتنشر أضواء الإسلام التى أزالت عن أوربا عصور الظلام ومهددت لها عوامل النهضة ، ندعو الله أن يعيد الأندلس إلى الإسلام والمسلمين •

الفصل الثانى

الدراسـة الفنيـة

الفصل الثانى

الخصائص الفنية
لأدب الوفادة والسفارة

أدب الوفادة والسفارة من ألوان الأدب العربى التى كــان لــها دور مؤثر فى مسيرة الحياة العربية ، لما قام به من تعبير عن الواقع العربــى على مدى التاريخ منذ العصر الجاهلى ، ولا يزال يقوم بــهذه الوظيفــة حتى اليوم ٠

وهذا الأدب الذى ورد على ألسنة الأفراد ، حكاما ومحكومين تمــيز عن غيره بسمات وخصائص ، تجعلنا نقف أمامه دارسين لــه وبــاحثين خلال نتاجه عما يحوى من هذه السمات والخصائص ولنحــدد ملامــح تطوره ٠

ومن خلال جولتنا مع هذا الأدب ، نصل إلى ما يلى :

١ــ اتسم أدب الوفادة بأنه أتى على صورتى التعبير المعروفتيــن وهما : النثر والشعر ٠

فرأينا الكثير من الوافدين يتخذون النثر وسيلتهم فىعرض ما أتــوا لأجله ، أو ما يؤملون فى الحصول عليه ٠

ولقد جاء النثر نفسه على طريقتين من طرق التعبير ، فجرى علــى طريق الحوار ، كما اتخذ من الخطابة طريقا آخر ٠

وكانت المواقف هى التى تفرض وسيلة التعبير ، فتدفع الوفـد ــ أو من يتحدث عنهم ــ إلى سلوك هذه الوسيلة أو تلك ٠

وجاءت بعض الوفادات مزيجا من الأسلوبين : الحوار والخطابة :

أ - ويمثل النوع الذى يقوم على المحاورة : وفادة قس بن ساعدة الإيادى على قيصر ، حيث دار الحديث عنهما حوارا ، تمثل فى سؤال قيصر لعدة أسئلة كان قس يجيب على كل منها ٠

وقد دار الحوار أيضا — بين كسرى وقيس بن مسعود ، فى وفادته ضمن الوفد الذى بعث به النعمان ليرد على العرب ما ألصقه بهم كسرى من صفات الزراية والاحتقار ٠

وكما رد قس بن ساعدة على كسرى ، رد قيس عليه بل إن رد قيس كان أعنف وأشد ، وأدحض للادعاء وأبين للحقيقة ٠

فكان كسرى كلما قال ما يريد به أني يستدل على صحة ما ادعاه فىحق العرب ، كان قيس يأتى بما يقيم الحجة على عكس ما قال كسرى فى حق أهله ٠

وكذا دار الحوار بين كسرى وعامر بن الطفيل ، ووصل الحد إلى إظهار عامر لقوته الشخصية وصفاته البطولية ، مما أثار عجب كسرى٠

ومن الوفادات التى كان الحوار والجدل من أسلوبها وفادة قريش على سيف بن ذى يزن ، الذى دار الحوار بينه وبين عبدالمطلب بن هاشم — جد النبى صلى الله عليه وسلم — وهو حوار شيق تتجلى فيه علامات العزة والإباء والشهامة التى عرف بها العرب ٠

ومنها وفادة الصقعب النهدى على النعمان بن المنذر ووفادة عامر بن جوين الطائى على النعمان أيضا وفى الأخيرة يظهر الحوار مدى جرأة المحاور وذكاءه وتحديه إظهارا لما يعرف عنه من إقدام وخطورة عند اللقاء٠

وفيها نلحظ أن السائل يطلب معرفة الأفضل من عدة أمور ، كما نلحظ مدى إلمام الوافد بحقيقة المسئول عنه ، مما يهيىء له سبيل الرد والاقناع [١][٢].

ونجد ذلك الأسلوب الحوارى — أيضا — فى بعض وفادات القبائل العربية على رسول الله صلى الله عليهوسلم — يسألونه عن حقيقة الدين الإسلامى وأحكامه ،ويطلبون معرفة أمور خفيت عليهم ، أو أشكلت .

فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يرد عليهم ، موضحا وشارحا ومزيلا لأى شبهة قد تخالطهم .

ولعل أشهر الوفادات التى اتخذت الحوار سبيلا فى عهد سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفادة بيعة العقبة ، التى كانت بين وفد الأوس والخزرج من المدينة ، الذين دار الحوار بينهم من ناحية وبين الرسول عليه السلام وعمه العباس من ناحية أخرى[٣] .

وتمثل وفادة لقيط بن عامر ، وبين رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حيث أخذ يسأله عن أمور منها : علم الغيب ، فيرد عليه الرسول بأن الله تعالى حجب خمسا منها عن خلقه .

وسأله عن البعث ، وكيف يتم ؟ فرد عليه الرسول مقنعا ، متخذا من الأرض الميتة يبعث الله إليها الماء فتنبت وتمتلئ بالحياة — مثلا . وهكذا يمضى الحوار . لقيط يسأل ، والرسول — صلى الله عليه وسلم — يجيب ، حتى مد لقيط يده وأسلم وبايع .

---

(١) انظر ص ١٩ من الكتاب .

(٢) انظر ص ٩٩ من الكتاب وما بعدها .

(٣) انظر : ص ٣٢ وما بعدها .

وفي خلافة الصديق أبي بكر _ رضى الله عنه _ يكون الحوار مجالا طيبا لإقناع من يعذون عليه ، فهذا وفد اليمامة يحاور أبا بكر ويحاورهم ، مقنعا إياهم حتى تهدأ نفوسهم ، ويستقر الإيمان فى قلوبهم.

****

وفي عهد عمر يكون الحوار بينه وبين جبلة بن الأبهم الذى لم يدخل الإيمان الصحيح قلبه ، فيتعالى ويتكبر ويفر مبتعدا عن الإسلام ومبادئه المثلى ويموت كافرا فى أرض الكفر .

وكان الأحنف بن قيس كثير الوفادة على عمر _ رضى الله عنه _ وكثيرا ما دار الحوار بينهما حول حاجة أهل الأحنف وطلباتهم ، وكان عمر _ رضى الله عنه _ دائم الإجابة له ، والتوسيع عليه ، وعلى أهله وقبيلته .

وفي عصر بني أمية ؛ يكون الحوار سيد الموقف ؛ فقد ثار الجدل بين مختلف الأطراف ؛ فالخليفة _ وبخاصة معاوية _ يحاول أن يستل سخيمة الصدور ويقضى على ما يطرأ من خلاف ؛ أو ما يكون موروثا فى بعض النفوس ؛ وقد كان حليما واسع الصدر ؛ ذكيا يعمل على إرساء دعائم دولته ؛ التى حولها إلى نظام وراثى ؛ يخالف ما تعارفت عليه شعوب الأمة من حكمها بالشورى فأراد أن يؤلف القلوب حوله ؛ ويسترضى النفوس بما استحدث ؛ إلى جانب أنه كان كريما ؛ يداوى ببلسم العطاء ما قد يكون لائطا بالقلوب من كراهية أو حقد ؛ فوجد فى الحوار سبيله إلى الإقناع والاستمالة وكثيرا ما استوفد المخالفين لرأيه المناوئين لنظامه وحكمه ؛ المنكرين عليه حقه ، وناقشهم ،وحاورهم ، بل وناورهم حتى يلينوا .

وفى حواره مع عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه ، وقد شخص إلى معاوية يطلب عطاءه ورفده ، ما ينهض دليلا على ما أقول[١] .

كذا فى لقائه مع صعصعة بن صوحان الذى وفد إليه ، فأخذ معاو يسأله عن نسبه ، وكلما رد عليه سؤالا بادره بآخر يستجليه صفات وسمات أولئك الرجال الذين يسأله عنهم، ثم وصله وأبره [٢] .

****

- ومن الوفادات التى قامت على الحوار ٠ وفادة سعيد بن العاص على معاوية [٣] .
- ومن جميل المحاورات ما رواه المدائنى قال : وفد أهل العراق على معاوية رحمه الله [٤].

ولعل فى وفادات النساء على معاوية ، وحرصه على محاورتهن ما يظهر أهمية الحوار سبيلا ومنهجا فى هذه الوفادات ، اهتماما منه بمعرفة أحوالهن ، خصوصا إذا عرفنا أن أكثر الوافدات عليه كن على خصومة مع نظامه ، وكن حريصات على التصدى والتحدى - بألفاظ جافية ، وعبارات قاسية ، يهاجمن بها بنى أمية ، ويتهمنهم بسلب حق أبناء على فى الخلافة ، والا ستيلاء على ما ليس من حقهم ٠

وقد تظهر إحداهن سوء حالها ، وذهاب المعين والعائل لها ، كما كان الحال مع سودة ابنة عمارة[٥] التى ابتدرها معاوية محييا مسلما وسألها عن حالها وعن شعر قالته تحمس ضده ، وتحرض على قتاله

(١) انظر : ص ١٧٧ ٠

(٢) انظر : ص ١٧٨ وما بعدها ٠

(٣) انظر : ص ١٨٤ ٠

(٤) زهر الآداب (٥١/١) وانظر : ص من الكتاب ٠

(٥) انظر : ص ٩٥ وما بعدها ٠

وحربه ،فنجدها تظهر فقرها وضعفها ، وسوء حالـــها ،وتبـــدل أيامـــها وتطلب صفحه ونسيانه .

وتصل المحاورة إلى قمتها ، حين تذكر بيـــن يديـــه عـــز قومـــها ومنعتهم ، فيرد عليها متسائلا : إياى تهددين بقومك ؟ ويتوعدها .

ثم يسألها عن سبب حبها لعلى بن أبى طالب ، فتجيبه بإنصاف على لها وتكريمه إياها ، وإنصافها من ظالمها ، فيتـــأثر معاويـــة لكلامـــها ويأمر بالإنصاف لها ولقومها .

****

أما بكارة الهلالية[1]، فقد وفدت إلى معاوية ، وقد أسنت وضعفـــت ولما جلست بين يديه ، أخذ الجالسون يحرضون عليها بما أنشدت فـــى شبابها من شعر تستعدى على بنى أمية . ونجدهـــا بشـــجاعة وجـــرأة تعترف بنسبة ما قالوا من الشعر لها . وتنصرف بعزة وإباء مبتعدة عن مجلس الخليفة وندمائه .

****

وتأتى الزرقاء ابنة عدى الهمدانية ، إلى معاويـــة ـــ وقـــد أكـــرم وفادتها ـــ وعندما تواجه بما قالته يوم صفين ـــ تحمس الناس على قتال بنى أمية ، وتشعلها ضدهم حربا ضروسا . وتظهر ضعفها الآن ، غير أنه يتهمها بالاشتراك مع على فى دماء القتلى يومئذ ، فتقـــابل اتهامـــه بثبات وقوة نفس ، وتضحك فيظهر معاوية عجبه من حبها عليا ـــ رغم موته ـــ وإخلاصها له بعد رحيله ، ويأمر لها بجوائز وكسا [2] .

---

(١) انظر : ص ١٩٨ .

(٢) انظر : ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .

وكذلك كان الحوار سيد الموقف فى لقاء أم سنان بنت خثيمة على معاوية . وما كان موقف أروى بنت عبدالمطلب[١] ، بأقل من سابقاتها الوافدات على معاوية بل كان حوارها قويا عنيفا جريئا ،وكانت أغلظ الوافدات . هاجمت معاوية بلسان أحد ، واتهام أشد ، وفضلت عليا ومجدته ، وأظهرت حقه فى الخلافة وأيدته ، واتهمت بنى أمية بسلب هذا الحق ، ودعت على بنى أمية ، وابتهلت إلى الله بأن يتعسهم ويخذلهم ، وما خافت من معاوية ولا ارتعدت فلما هاجمها عمرو بن العاص — لوحت له بسيرة أمه ، فخذلته ، وحاول مروان أن يصدها فاستدارت له ، وحولت الاستهزاء والسخرية إليه ،واتهمته بعدم أصالة نسبه ، فأفحمته .

ثم استدارت إلى معاوية ،واتهمته فى نخوته ،وعدم حمايته لها وهى بمحضره. ثم أكرم وفادتها وحقق لها ما طلبت .

****

وهكذا كان الحال مع بقية خلفاء بين أمية والوافدين عليهم — اتخذوا من الحوار سبيلا ومنهجا لاستمالة الوافدين عليهم ، وقد أفردت للخليفة عمر بن عبدالعزيز مبحثا خاصا فى حواره مع الوافدين عليه ، وبخاصة الشعراء ، الذين نجده يرفض دخولهم عليه ، مبررا مسلكه هذا تجاههم لما بدر منهم فى أشعارهم من أقوال يأباها دينه وخلقه .

****

وفى عصر الدولة العباسية يتوارى الحوار خلف السدف والحجب التى أقامها الفرس بين الخليفة ورعاياه من العرب ،ولا نكاد نسمع حوارا بين الخليفة ووافد عليه ، إلا لماما .

---

(١) انظر : ص ٢١٠ وما بعدها .

ب - وكانت (الخطابة) في المظهر الثاني في أدب الوفادة (نثرا)

والعرب عرفوا الخطابة وأجادوها ، ولونوا في أنواعها وقسموها وقد " اتخذوا من مجالسهم في مضارب خيامهم ،ومن أسواقهم ، ومن ساحات الأمراء ،ووفادتهم عليهم ميادين لإظهار براعتهم وتفننهم في المقال وحوك الكلام ، وأسعفتهم في ذلك ملكاتهم البيانية ، وما فطروا عليه من خلابة ولسن ،وبيان وفصاحة وحضور بديهة •

وكثيرا ما كانوا يخطبون في وفادتهم على الأمراء ،إذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير من الغساسنة أو المناذرة ، فيجيبه متحدثا بلسان قومه"[١] •

والخطابة هي حديث يقصد به إثارة المشاعر وإلهاب العواطف ، والتأثير والإقناع •

ففي العصر الجاهلي كان الخطباء من ذوي المكانة واليسار في قبائلهم ومجتمعاتهم ، واستغلت الخطابة لحل مشاكل الناس ، والعمل لصالح القبيلة أو غيرها ، مما أدى إلى ارتفاع مكانتها بمكانة أصحابها ، وحازت الخطابة شرف الغاية وشرف الموقف •

وقد أدى إلى انتشارها وتغلغلها في المجتمع الجاهلي ما كان يقع في ذلك المجتمع من خصام وقتال وحروب ،كداحس والغبراء ، وما كان يلجأ إليه بعضهم من مفاخرات ومنافرات وخطب وإملاك ، وكانوا يهرعون إلى خطبائهم في الملمات ، يستصرخونهم لإلهاب الحماس وإذكاء نيران العصبية ، أو الدعوة إلى مكارم الأعمال ومحاسن الخصال والنهي عما يفرق ويمزق ، أو يورث الكراهية والثأر •

---

(١) تاريخ الأدب العربي — العصر الجاهلي ٤١٠ ، ٤١١ د٠/ شوقي ضيف •

كانوا يخطبون فى وفادتهم على الملوك والأمــراء ،يدعــون إلــى المحامد والمآثر ، أو مهنئين بنصر أو معزين فى فقيد .

كما كانوا يخطبون فى الزواج والخطبة ،وبخاصة فى زواج مــن يضيف إليهم بمصاهرته شرفا أو عزا ، أو يشــيدون ويفخــرون بمــن يصهرون إليهم ،ومن أشهر خطبائهم : أكثم بن صيفى ،وقس بن ســاعدة وقيس بن عاصم . وهانئ بن قبيصة وعمرو بن الأهتم ، وقد مرت بنا — خطبة النعمان بن المنذر بين يدى كسرى مفاخرا بالعرب ،ومنافحــا ومدافعا عنهم [١] .

كذا خطب الوفد الذى بعث به النعمان إلى كسرى للغرض ذاتــه[٢] وكان الخطيب ينال التشريف والتكريم ممن يفد إليه ، إذا لم يكن يرمــى بوفادته إلى استمناح أو طلب مساعدة ، وقد مر بنا إلى أى مــدى نــال عبدالمطلب ابن هاشم تكريم سيف بن ذى يزن ، لما ذهب وفــد قريــش لتهنئته " وخطب عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف — جد النبى صلــى الله عليه وسلم — وأعجب به سيف بن ذى يزن ، ولم يعجب بغيره مــن خطباء الوفود الأخرى لأنهم جميعا أتوه طالبين ، أما عبدالمطلب فقــد أخلص خطبته للتهنئة " [٣] .

وكانت الأسواق التى تنعقد فى مكة وغيرها — كسوق عكــاظ وذى المجنة وغيرها ، تشبه المهرجانات أو المؤتمرات الأدبية فى أيامنا ، ويفد إليها عظماء الخطباء ،ولا أدل على ذلك من اهتمام سيدنا رســول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد وفد إليه (الجارود) فى جماعة وفد عبد قيس فيسأله الرسول " ياجارود . هل فى جماعة عبد قيس من يعرف لنا قيسا

---

(١) انظر : ص ٩٩ وما بعدها من الكتاب .

(٢) ينظر : ص ١٠٨ وما بعدها من الكتاب .

(٣) العقد الفريد (٢٤٢/١) ابن عبدربه .

(أى قس بن ساعدة) قالوا : كلنا نعرفه يارسول الله ٠ وتكلم الجارود فذكره بما يعرف ، وأنشد شعرا له ٠ فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – : " على رسلك ياجارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم ما أظن أنى أحفظه" ٠

فقال أبو بكر – رضى الله عنه – يارسول الله فإنى أحفظه ، كنت حاضرا ذلك اليوم بعكاظ ، فقال فى خطبته :

" أيها الناس ٠ اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، إنه من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ٠ مطر ونبات وأرزاق وأقوات ،وآباء وأمهات ،وأحياء وأموات ، جمع وأشتات ،وآيات بعد آيات ٠

إن فى السماء لخبرا ،وإن فى الأرض لعبرا ، ليل داج وسماء ذات أبراج، وأرض ذات رتاج ،وبحار ذات أمواج ٠

مالى أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا؟ أم تركوا هناك فناموا ؟

أقسم قسما لاحانثا فيه ولا آثما ٠ إن الله ربنا هو أحب إليه من دينكم الذى أنتم عليه ،ونبيا حان حينه ،وأظلكم أوانه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه ٠ ثم قال : تبا لأرباب الغفلة من الأمم الخالية ، والقرون الماضية ٠

يامعشر إياد : أين الآباء والأجداد ؟ وأين المريض والقواد ؟ وأين الفراعنة الشداد ؟ أين من بنى وشيد ؟ وزخرف ونجد؟ وغره المال والولد؟ أين من بغى وطغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الأعلى؟ ٠

ألم يكونوا أكثر منكم أموالا ؟ وأطول منكم آجالا ؟ وأبعد منكم آمالا؟ طحنهم الثرى ومزقهم بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ،عمرتها الذئاب العاوية ٠

كلا ، بل هو الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولـــود ، ثـــم أنشـــد يقول:

فى الذاهبين الأولـــين	من القرون لنا بصائــــــر
لما رأيـــت مــــــواردا	للموت ليس لها مصـــادر
ورأيت قومى نحـــوها	يمضى الأكابر والأصاغر
لا يرجع الماضى ولا	يبقى من الباقين غابــــــر
أيقنت أنى لا محـــــا (م)	لة حيث صار القوم صائر[1]

وتعد خطبة قس بن ساعدة المثل الأوفى للخطبة فى العصر الجاهلى لاشتمالها على كل الخصائص التى كانت تتحلى بـــــها الخطبـــة يومئـــذ فالخطبة تضم بين عباراتها :

- ما كان يستخدمه الخطيب من وسائل التأثير والإقناع ،كـــالفكرة الصائبة التى لا تحتمل جدلا أو معارضة ، بما يأتى به الخطيب من قضايا فكرية يقر بها السامعون .
- وترتيب هذه الأفكار (بما يشبه القضايا المنطقية : من مقدمـــات ونتائج) ليصل الخطيب بسامعيه إلـــى درجـــة متقدمـــة مـــن الإقناع.
- واستخدام الوسائل المؤثرة من حيث الســـــماع ، بمـــا تحويـــه العبارات والفقرات من تنـــاغم صوتـــى مؤثـــر ، (كالتناســـب الصوتى) بين الحروف فيما نعرفه بالسجع والجناس ، والتلاؤم بين الحروف والحركات فى التوازن .

(١) البيان والتبين ٣٠٨/١ و: العقد الفريد ، و: الأمالى ٢٧٣/١ .
وإعجاز القرآن للباقلانى ١٢٤ .
وجريدة الأهرام ١٢١٧٥ /٩٥ مقال للدكتورة / بنت الشاطئ (عود على بدء).

- استخدام الألفاظ المناسبة للمعانى ، واستخدام كل نوع منها بما يلائم المعنى المراد ، فترق فى موضع الرأفة والرحمة والعطف ،وتخشن وتغلظ فى مواطن الإثارة والتحريض ·
- المزاوجة فى الأساليب بين الإنشائية والخبرية ، واستخدام الاستفهام المثير للتعجب أو النفى أو الاستنكار ، إثارة لأذهان المستمعين ·
- اللجوء إلى الأساليب البيانية ،واستخدام الاستعارات والكنايات والتشبيهات ، كذا نلحظ لجوء الخطيب إلى السجع ، للتأثير بجرسه فى النفوس ·
- كثرة المقابلات التى تؤثر فى الفكر ، وتثير كثيرا من عوامل استقرار المعنى فى نفس السامع ·
- استخدام المؤكدات المختلفة ، فيما يلزم تأكيده ·
- استخدام الصور التجسيدية التى تقوى عوامل الإثارة لحواس المتلقى وتوجهها نحو ما يبغى الخطيب ،والتأثير على مدركاته النفسية والعقلية ·
- أما الخطيب فنلحظ فيه : شدة العارضة ، وقوة المنة ،وظهور الحجة وثبات الجنان ، وكثرة الريق ،والعلو على الخصم[١] ولا يصل إلى هذه السمات إلا من اكتسب الخبرة والدربة ،وأصبح مشهودا له بين قومه مقدما على أقرانه ·

وأن يكون أيضا مشهودا له بالحكمة ، وبراعة العقل ،ورجاحة الحلم ،واتساع العلم والصواب فى الحكم ،وسلامة الرأى ·

---

(١) البيان والتبيين ١٧٦/١ الجاحظ ·

- نقاء اللغة وصفاؤها ، وعدم مخالطتها للغـــات الأخــرى ، أو الاقتباس من ألفاظها وتعبيراتها فاللغة العربية فى بيئتها الأصيلة وعلى ألسنة أبنائها الخلص .
- الاعتماد على الجمل القصيرة ، قوية النبر ، شـــديدة الجــرس عالية التأثير – التى تحمل رغم قصرهـــا – معـــانى كثـــيرة ومدلولات فكرية متكاملة .
- وهذه الجمل القصيرة لكل منها معنى مستقل ، ولكن جميع تلـك الجمل بكامل معانيها تصب فى فكرة أساسية واحدة .
- تكرار المعانى ،ومقابلتها بضدها – للتأكيد عليها .
- " التنسيق بين مخارج الحروف ، لإشاعة جو شبيه بموســـيقى الشعر (فى النثر) ولكنها ليست موسيقى كاملة البناء ، كما هى الحال فى الشعر"[١] .
- اعتماد الخطيب على براعة الاستهلال بحسن الافتتاح .
- استعمال الأمور المعروفة فى البيئة – بخاصة الحسية منـــها – كما فى الطبيعة وظواهرها المختلفة ، للاستشهاد والاســـتدلال والتشبيه .
- "لم تكن ذات موضوع ، ومن ثم كانت تأخذ شكل أقوال متناثرة لارابط بينها "[٢]

ثم يعم الكون نور الإسلام ، وتشرف الكون برسالة سيد الأنام محمد – صلى الله عليه وسلم – فيكون للخطابة شأن أعلـــى وأرقـــى وتغــدو ظاهرة إيمانية ، تؤدى بها العبادة ، وتشرف بأن تكـــون وســـيلة خـــاتم الأنبياء ، ينطق بها لسانه الشريف فى خطبة الجمعة ،وخطبتى العيديـــن

---

(١) دراسات فى الأدب العربى على مر العصور ص ٢٦ .
(٢) تاريخ الأدب العربى – العصر الإسلامى ١١٤ د./ شوقى ضيف .

وتكون وسيلته صلى الله عليه وسلم في شرح الدين القويم ، وبيان أركانه ومعتقده ٠

وكذا كان صحابته الأطهار — رضوان الله عليهم ٠

وسارت الخطابة في عهده — صلى الله عليه وسلم — وعهد خلفائه الراشدين ، وعصر الدولة الأموية ٠

****

كانت خطابته صلى الله عليه وسلم — كقطعة من ذاته الشريفة تفيض صدقا وإيمانا ،وتنشر حولها اليقين والضياء تناضل وتجاهد في سبيل الله ، ونشر دينه ،وتجلو ظلمات الجهل ،وتبدد علامات الشرك وتمحوها ،وتثبت في القلوب والنفوس آيات توحيد الله ، وتصديق رسوله وتأخذ بيد البشرية إلى طريق الهداية ،ومحو آثار الضلال والغواية ٠

* كانت خطابته — صلى الله عليه وسلم — هي البيان الصافي والتعبير النقي الطاهر ،واتخذها أداة للدعوة إلى الدين الحنيف ٠

- كان — صلى الله عليه وسلم — " لا يسجع في خطابته ،وكان ينفر منه حين يلهج به أحد محدثيه ،كراهية للتشبه بالكهان في سجعهم وسار على هديه الخلفاء الراشدون وغيرهم من جلة الصحابة ، يدل على ذلك ما يروى عن أن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — سأل صحارا العبدي ، حين قدم عليه من غزو (مكران) الفارسية عن شأنها وشأن العرب هناك ، فأجابه : " أرض سهلها جبل ، وماؤها وشل

(قليل) وثمرها دقل (ردىء) وعدوها بطل ،وخيرها قليل وشرها طويل.... [1]

فقال به عمر - رضى الله عنه - أسجعا كسجع الجاهلية؟!

* كانت وسيلته فى التشريع للأمة ، ورسم سياستها ،وتنظيم حياتها وعلاقاتها ،ووضع الحلول لمشاكلها ،وكانت (خطبة الوداع) التى ختم بها حياته الشريفة دستورا للأمة حتى تقوم الساعة .

* اتسمت خطابته - وخطابة المسلمين من بعده - بسمات خاصة فهى تبدأ بحمد الله تعالى ، وشهادة أن لا إله إلا الله ،وأن محمدا رسول الله ،والاستئناس بآيات من القرآن الكريم ،وما يناسب من الأحاديث النبوية ، ثم تناول الموضوع ، فالخاتمة وتحوى الدعاء والإكثار منه .

* وعلى هذا النهج سار الخلفاء الراشدون بعده ، ثم بنو أمية وبقية المسلمين. ومن ترك ما بدأ به الرسول خطبته ، فترك الحمد أو التشهد أطلقوا على خطبته (البتراء) ،ومن ترك الاستشهاد بالقرآن والحديث أطلقوا عليها (الشوهاء) .

- وبذلك وضع الرسول صلى الله عليه وسلم - المنهج النبوى للخطابة
- قضت الخطابة الإسلامية على ما كان شائعا عند الجاهليين من خطب المفاخرات والمنافرات والعصبيات .

---

(١) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى ١١٣ ، ١١٤ د/ شوقى ضيف .

- وفى عهد أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ اتجهت الخطابة إلـــى درء الخطر الذى كاد يهدد الدعوة ، بانشقاق المسلمين عند وفاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى حروب الردة .
- اتسعت رقعة الخطابة ، وزاد نموها وتطورها بكثرة الوافديـــن على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والداخلين فى ديـن الله أفواجا فى أرجاء الجزيرة العربية وما جاورها .
- أسهمت فى نشر اللغة العربية ، إذ دفعت المسلمين مـــن غـــير العرب ، إلى تعلم لغة القرآن الكريم ، واتخاذها لغـــة العبـــادة والتعامل . يقول الدكتور/ محمد عبدالسلام صقر .

وفى عام الوفود . دخل أكثر سكان الجزيرة العربية فى الإسلام بما فيهم الشعراء والخطباء ، ومن اشتهروا فى أقوامهم بفصاحة الكلمة وطلاقة اللسان "[١] .

- اتسمت بالمعانى الجديدة ،والقيم والمناهج التى يحتويها الديـــن الإسلامى الحنيف ،وتخلت عن الجاهلى من النزعات الحســـية وتشبيهات واستعارات فى المحسسات ،وهجرت الاستقصاء فى الموصوفات الحسية والجسدية
- انتفت المعاظلة والنفاق والسب من الخطبة الإسلامية ،وحفلـــت بالنصح والوعظ والإرشاد .
- استحدثت الخطابة الإسلامية ألوانا جديدة منها الخطابة السياسية والخطابة الاجتماعية ، وهما لونان لم تعرفهما الخطابة العربية قبل .

---

(١) نصوص مختارة من العصرين الجاهلى والاسلامى ١٠٣ .

- ازدهرت خطابة الوفود في عهود عمر بن الخطاب ومعاوية وعمر بن عبدالعزيز – رضى الله عنهم – لسماحهم لأفرادها بالتحدث والطلب .
- ازدهرت الخطابة الوعظية ، ونمت وانتشرت في الأمصار الإسلامية لظهور طائفة من الوعاظ ، استمدت من كتاب الله وسنة نبيه منبعا ثرا ،ومصدرا فياضا لمواعظهم وخطابتهم ومما زاد في ازدهارها أن هؤلاء الوعاظ كانوا يحبرون خطبهم ويعدونها إعدادا جيدا .
- نظرا لما كان يقوم به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من قيامه بنفسه بخطبة الجمعة وخطبتى العيدين ،وفي المواقف المهمة ، ثم قيام الخلفاء الراشدين من بعده بالخطبة في الجمعة والعيدين ، وفي المواقف المهمة ، حرص حكام المسلمين من بعدهم بأن يكونوا خطباء مفوهين ،فعملوا على التزود بما يمكنهم من ذلك فحفظوا القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول وتثقفوا الثقافة الإسلامية العربية ،مما كان منهجا للخطباء من خلفهم ، فارتفع مستوى الخطابة ،وبخاصة في عصر بنى أمية .
- كان للأحداث المؤسفة التى تعرضت لها الأمة الإسلامية العربية من انقسام واختلاف وحروب ، والآثار الفعالة في الخطابة ،وبخاصة خطابة الودود التى كانت تتبادل بين الفرق المتناحرة ، وأيضا خطباء الجيوش الذين كانوا يحمسون الجنود، ويحببون إليهم الاستشهاد في سبيل الله .
- كان لظهور الفئات والطوائف المختلفة دورها المؤثر في ظهور فئات متعددة من الخطباء المدافعين عن مذاهبهم وآرائهم ،

ودحض آراء الفرق الأخرى ، من شيعة وخـــوارج وأمويـــن وعلويين وعباسيين .

- خلت الخطابة النبوية من التقعير ،واستعمل الأسلوب المناســب فى موضعه الصحيح ، فالبسط فى موضع البسط ، والقصر فى موضع القصر ، إذ لكل مقام مقال .

– كذا هجر الوحشى الغريب من الكلام ، فكلامه حف بالعصمة ، وشــيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وهو الكلام الذى ألقى الله عليه المحبة وغشــاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الإفهام وقلة عــدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته . لــم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصـم ولا أفحمه خطيب ، بل يبدأ الخطب الطوال بالكلم القصــار ولا يلتمـس إسكان الخصم ، إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج (الفوز) إلى بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولم يسمع الناس بكــلام قط أعم أحسن ، ولا أقصد لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبــا ، ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح معنــى ولا أبين فحوى من كلامه (ص)[1]

- سار الخلفاء الراشدون على هدى رسول الله -صلى الله عليه وسـلم - فى خطابتهم لما تمتعوا به من فصاحة وبلاغة استمدوها مــن بيــان القرآن وسنة النبى ومواعظه وتشريعاته .
- فكان أبو بكر يلهج بفصيح الكلام وجزل اللفظ ومتخـــيره ، وكــان عمر - رضى الله ـــ عنه ذا مرتبة رفيعة من البلاغة والفصاحـــة ، وقوة العقل وسداده ، وفى عهد على رضى الله عنه - كانت الفتنـــة

---

١ وألتبين ١٧/٢ ، وانظر- تاريخ الأدب العربى - العصر الاسلامى ١٢١

الكبرى التى انقسم العالم الإسلامى على إثرها إلى أقسام ثلاثة ، كان لكل فريق خطباؤه - كما سبق أن أشرت مما عمل على إنماء الخطابة الحربية وانتشارها ، ثم أفرزت لونا سياسيا بين هذه الأحزاب المتصارعة.

وفي عصر بني أمية . نشطت خطابة الوفود ، والخطابة السياسية والوعظية واكتست الخطابة رداء الجدل والإقناع وتقرير الأدلة فى عقول الناس.

– وكان للترجمة دور فاعل ، بما نقلته من آثار الفلاسفة والمناطقة فاصطبغت به أساليبهم وطرق تعبيرهم ، مما أدى إلى تطور جديد فى الخطابة وأساليبها "دعمت فيها الأدلة ، ودقت المعانى ، واستتمت شعبا كثيرة من خفياتها ودفائنها"(١).

– ظهر أسلوب جديد أطلقوا عليه اسم (الأسلوب المولد) جاء نتيجة تعدد شعوب الأمة الإسلامية ، وهو أسلوب يغلب عليه عدم الارتفاع عن الموالى وعدم الهبوط عن العرب وفئاتهم الخاصة.

– ظهر أسلوب السجع من جديد ، لجأ إليه الوعاظ والقصاصون ، وشاع أسلوب يجمع بين الازدواج والترادف ، جاء ذلك كله نتيجة ضيق معانى الوعظ ، وحتى يمكن توصيل المعنى المراد، والتأثير فى السامعين .

وفى العصر العباسى :

*سرى ذوق محافظ له مستوى راق من الأداء يتناسب مع مجالس الخلفاء والوزراء ، الذين كانت تعقد فى ساحاتهم لقاء العلماء والأدباء .

* ظهور النحاة والبلاغيين من العلماء ، أثرى أساليب الخطباء وطبعها بطابع الاهتمام والرعاية وحسن اختيار الألفاظ والأساليب.

---

(١) تاريخ الأدب العربى ــ العصر الإسلامى ٤٤٣ د. شوقى ضيف .

• اتسعت دائرة الترجمة ، مما انعكس أثره ، وزاد تأثيره فى أساليب الخطباء ، فاتسعت دائرة الخطابة . وشملت كل الميادين.

• كان لازدهار دولة الخلافة العباسية انعكاسه على الآثار الأدبية فشغل الخطباء بحسن مطلع خطبهم ، وأبدعوا فى استهلالها ، فوشوها بالبديع واهتموا بذلك إلى حد بعيد .

• اتسمت الخطابة فى ذلك العصر بدقة التفكير نتيجة إقبال الأدباء بعاهة على ما نقل إليهم من تراث الأمم الأخرى ، والأخذ منه وإخضاع بعض عباراتهم لما تأثروا به من هذه الثقافات الواردة.

• لعب الخيال دورا كبيرا فى إبراز المعانى وإيصالها للسامعين
• بلغت اللغة أرقى ما يمكن من رشاقة وعذوبة ونعومة.
• "لم تقف المسألة عند احتفاظها بالقوالب العربية ، وأوضاعها اللغوية، وتيسير هذه القوالب والأوضاع ، وتذليلها للمعانى العلمية والفلسفية العميقة وأدائها بخفيات حدودها ، ورسمها رسما دقيقا ، بل امتدت إلى استحداث أسلوب مولد جديد ، أسلوب يحتفظ للغة بكل مقوماتها ، كما يحتفظ بالوضوح والتجافى عن الألفاظ الغامضة ، والمعانى المبهمة ، بل إنه ليحرص على الأداء البليغ بحيث يروق المتكلم والكاتب والمترجم والسامع بعذوبة لفظة ،بل بحيث يلذ الأذان حين تستمع إليه ، كما يلذ العقول والقلوب ، وهو أسلوب قام على هجر كثير من الألفاظ البدوية الحوشية الجافية التى تنبو على ذوق أهل الحاضرة ، كما قام على الارتفاع عن الألفاظ العامية المبتذلة ، مع العناية بفصاحة اللفظ وجزالته ورصانته والملاءمة الدقيقة بين الكلمة والكلمة فى الجرس الصوتى "(١)

---

(١) تاريخ الأدب العربى – العصر العباسى ٤٤٣

نتيجة لنظام الحجابة ، الذى حرص عليه الفرس ؛ ليحولوا بين الخليفة ودخول عامة الشعب عليه - كما كان متبعا قبل - لم يجد الوافدون من الخطباء فرصتهم فى الدخول على الخليفة - ضعفت ألوان من الخطابة كالخطابة السياسية والخطابة الحفلية .

جـ - السبيل الثالث الذى سلكته الوفادة هو الشعر .

١ - كان الشعر فى العصر الجاهلى يجرى على خصائصه المعروفة فى ذلك العصر ، من سلامة ·اللغة ، وقوة تعبيرها ، وسلامة ألفاظها ودقة أسلوبها ، ووضوح معانيها ، وحسية تصويرها وتشبيهاتها.

* كانت البيئة الجاهلية بكل ما فيها من كائنات ، عناصر يقوم عليها ذلك الشعر فهو يستمد منها كل مظاهر صوره ، من جبال صلبة شاهقة ، إلى وديان سهلة منبسطة ، ووحوش كاسرة ، إلى حيوانات مستأنسة وطيور جارحة ، وأخرى داجنة ، قبائل قوية معتدية ، وأخرى ضعيفة مستذلة ·من كل ذلك أخذ الشاعر الجاهلى صوره وتشبيهاته .

- اكتست الألفاظ والأساليب بصورة طبيعة البيئة ، فهى جافة غليظة لدى الشاعر ينظر حوله ، فإذا رأى ما يناسب المعنى الذى يدور فى ذهنه، وصادف هوى لديه ، نظم من أبياته ما تمنحه هذه البيئة من صور وألفاظ.

* اتسم شعرهم الجاهلى - أيضا - ببراعة النظم ، وقوة العاطفة وذكاء القريحة ، والسليقة ، فكان الشعر يجرى على ألسنتهم منذ صغرهم ، لا يجدون فى ذلك غضاضة أو مشقة.

* من حيث الأبواب جرى الشعر وقتئذ - وفق مستلزمات الحياة البدوية كالفخر بالأحساب والأنساب والصفات • كما جرى على الهجاء والرثاء والمديح والغزل والخمريات•

*اتسع مجال الموسيقى الشعرية وتنوع ، وكانت هذه الموسيقى تجرى على أشعارهم قبل تحديد بحورها المعروفة على يد الخليل بن أحمد•

*زخر شعرهم بالكثير من القصص والأمثال والوصايا والحكم •

*كان للأسواق دور فاعل فى رقى الشعر ،وظهر من يعرفون بعبيد الشعر •

*ألف شعراء الجاهلية نظم قصائدهم على طريقة وحدة القافية والوزن وكانوا يبدءون القصيدة بما يشبه المقدمة الموسيقية من ذكر الديار القديمة والتأثر لما سلف من أيام " [١] ثم تتعدد الأغراض بعد ذلك فى القصيدة الواحدة •

---

(١) نصوص مختارة من العصرين الجاهلى والاسلامى ١٣ ، ١٤ أ٠د/ محمد عبدالسلام صقر •

-كان الشعر - فى أدب الوفادة فى الجاهلية - أقل من النثر ، الذى تمثل فى الحوار والخطابة ، كما سبقت الإشارة إليه .

وأشرق نور الإسلام ، فالتزم الشعر الإسلامى بتعاليم الإسلام ومبادئه .

- سلك الشعراء المسلمون سبيل الدعوة يدافعون عن عقيدتهم ويردون عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - مفاخرات المشركين ومنافراتهم
- سلك الشعر الإسلامى منهجا قويما ، يتعرف الشعراء فيه تاريخ من يتصدون لهم ، ومثالبهم ، من حيث النسب والأخلاق ، وقد أهاب بهم النبى - صلى الله عليه وسلم - أن ينصروه بلسانهم كما نصروه بسلاحهم
- قضى الإسلام على بعض الأغراض كالمفاخرة والمنافرة وإظهار أمجاد الأجداد وأحسابهم ، ولم يبق من ذلك إلا القليل الذى اقتضته أذواق بعضهم وطبائعه .
- تخلص الشعر من الألفاظ الجافة والغليظة ، التى جبلت عليها طبائع المشركين من الفظاظة والعنف ، لأن الإسلام دين خلق وقيم سامية
- احتفظ الشعر بقواعد بنائه القديمة فى النظم ، القائمة على وحدة التفعيلة التى ينتج منها الهيكل العام للقصيدة ، وهو ما ساعد الباحثين فى هيكل الشعر العربى ، مما اكتشفه الخليل بن أحمد فيما بعد ، وسماه بالبحور ، وما وجد فيه من نهايات خاصة بالأبيات : (القافية) .

- قام كل بيت على وحدة خاصة به - كما كان الحال فـــى الشـــعر الجاهلى ولم تجر القصيدة على الوحدة الموضوعة،وإن كان غلب عليـــها ذلك فى غرض الرثاء ، وظهر ما يشبه الوحدة الموضوعية من خـــلال ارتباط الشاعر بفكرة الإيمان والدفاع عن الإسلام ورسوله ، ولكنها ليست وحدة موضوعية كاملة(١) .

- تأثر الشعر بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، فاقتبس الكثـــير من معانيهما وصورهما وألفاظهما ، كما تأثر فـــى تشـــبيهاته واستعاراته وأساليبه ، وصور بيانه بهما . مما ارتقى بالشـــعر وأكسبه صفات جديدة ، جعلته بحق شعرا إسلاميا .
- مهما استقلت الأبيات بالأفكار والموضوعات الخاصة ، فان كلا منها يعبر عن موضوع واحد ، وهو موضوع الساعة آنـذاك ، وهو موضوع الدعوة ، التى كان لها أكبر تغيير فكرى فى حياة الناس وأسلوب معاشهم وكلامهم
- لآن الشعر ديوان العرب يومئذ ،أمر رســـول الله - صلـــى الله عليه وسلم — بعدم النظم فى الخمر لأنها محرمة فى الإســـلام ، فلا داعى للحديث عنها وعن ساقيها ، وعن مجالس الأنـــس والطرب التى كانت تعقد لها .

كذلك نهى الرسول عليه السلام عن الهجاء الفاحش الـــذى يمـــس أعراض الناس وشرفهم ، وجعل الهجاء بالكفر والضـــلال وســـوء الأخلاق ، وجعل الفخر بالإسلام وروح الإيمان . وهذا ما حـــدث مع حسان فى رده على شعراء الوفود الذين فخروا بآبائهم وأجدادهم وبمالهم من مواقف ومعارك انتصروا فيها بالسيف ، حتـــى ولـــو كانوا ظالمين ، على حد قولهم فى الفخر بقومه:

(١) دراسات فى الأدب العربى على مر العصور ٣٥

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحـا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال بر

- اشترط الإسلام فى الشعر الصدق ، فلا ينبغى للشاعر المس
أن يقول إلا صدقا وحقا ، ولعل فى رأى عمر - رضى الله
فى شعر زهير ، وتعليقه عليه بقوله :
" كان لا يعاظل ، ولا يصف الرجل إلا بما فيه ... " . أقول : ل
فى رأى عمر - رضى الله عنه - أصدق دليل على قضيه الصـ
والالتزام فى الشعر الإسلامى .
- أضاف الإسلام إلى الشعر أغراضا جديدة - إلى جانب ما أقـ
من الأغراض الجاهلية - منها ؛ مدح الإسلام والثنـــاء عل
وعلى مبادئه والتحريض على قتال المشركين ، والحث علـ
الاستشهاد فى سبيل الله .
- أضاف الإسلام معانى وأخيلة جديدة ، كذلك أضـــاف ألفاظ
جديدة استحدثها الإسلام .(١)
- تشبعت روح الشعراء بما غرسه فيهم القرآن الكريم وأحـــاد
الرسول صلى الله عليه وسلم - واستمدوا صورهم وأخيلتهم
تعبير آيات القرآن الكريم ، وتعبيرات رسول الله - صلـــى ا
عليه وسلم -

وفى العصر الأموى

- سار الشعر على ما كان عليه فـــى عصـــر النبـــوة والخلفـ
الراشدين ، من حيث قوة الأسلوب ورصانته وحســـن سـبـ
وبراعة تشبيهاته واستعاراته

---

(١) نصوص مختارة من العصرين الجاهلى والإسلامى ١٠٥- ١٠٧ اد/ محمد عبـ
السلام صقر

- استحدث فى بعض عواصم الدولة كمكة والمدينة الشعر الـــذى يجرى على ألسنة المغنين والمغنيات ، من شعر الغزل وارتقـى رقيا كبيرا ، ولجأ الشعراء إلى الأوزان القصيرة تمشـــيا مـــع ألحان غنائهم
- انتشر شعر المديح ، واتسعت مجالاته ، بما لجأ إليه الشـــعراء من تصوير الخلفاء والأمراء والـــوزراء ، تطلعـا لعطائـــهم وطمعا فى الحصول على الحظوة عند ممدوحيهم ٠
- عادت العصبية القبلية فى عصر بنى أمية إلى الإطلال برأسها من جديد ، ويبدو أن الدولة شجعت هذا الاتجاه ، وعملت على إذكائه ، وكان الإسلام قد نهى عن هذه العصبية ٠ وتمثلت هذه العصبية بين قيس من جهة وكلب وتغلب من جهة أخرى ٠
- نتيجة لتعدد الاتجاهات المذهبية ، من شيعة وأمويين وخـــوارج تعددت اتجاهات الشعراء ، إذ لكل طائفـــة شـــعراؤها الذيـــن يدافعون عن اتجاه طائفتهم ومعتقداتهم السياسية ، مما أفرز لونا عرف بالشعر السياسى ، كما كان للمعارضين شـــعرهم الـــذى يصور اتجاهاتهم ، فالكميت الأسدى مثلا
- على الرغم من كونه من بنى أميه- كان له شـــعره الهاشـــمى وتأتى قصيدته التى أولها

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب

ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب

مثالا صادقا لهذا الشعر الذى يعارض فيه أصحابه سياسة الدولة٠

ـ كان لقسوة الحياة البدوية فى نجد وبوادى الحجاز وما أشـــبهها فـــى شرقى الجزيرة دور فاعل فى نزوح كثيرين من شعرتها للوفـــود علـــى

الخلفاء والولاة طالبين عونهم . مما أثرى هذا اللون من الشعر ، الــذى يمكن تصنيفه تحت أدب الوفادة .

* ضعفت بعض الأغراض كالهجاء والفخر - وبخاصــة فــى البيئــات البدوية - وقويت أغراض أخرى كالمدح والغزل ، وظهر شعراء أثــروا الحركة الشعرية فى هذين الغرضين ، وبخاصة فى الغزل ، ويعد غــزل النجديين من أروع صور الغزل العربى ، لما أشاعوا فيه من نبل وســمو وطهارة ونقاء ، وعادة ينسبه الأدباء إلى بنى عذرة ؛ لكثرة ما أنتجت فيه ، فيقولون غزل عذرى ، وهو غزل يمسح عليه الإسلام وما أحــاط بــه المرأة من جلال ووقار ، وما حرم من الآثام ظاهرة وباطنة "(١)

* اختلط العرب بغيرهم من شعوب الأمم الأخرى - التى فتحها الإســلام وتمثل الاختلاط فى الحياتين الاقتصادية والاجتماعية أكثر ما يكون ، فقد خالطوهم فى التجارة والصناعة والزراعة ، كمــا خــالطوهم بــالزواج والمصاهرة ، وكان من نتيجة ذلك الاختلاط تسرب الكثير من العــادات غير العربية إلى العرب ، وبخاصة الفرس ، وكذلــك تســربت بعــض الألفاظ الأجنبية إلى العرب ، وجرى بعض هذه الألفــاظ علــى ألســنة الشعراء . كما" أخذ يظهر بسب الامتزاج بالموالى تطور ثان فــى لغــة التفاهم ، فإن العرب عمدوا إلى استخدام تعبيرات مبســطة حتــى يفــهم عنهم الموالى ، ويلوكوا ما يلفظونه بسهولة " (٢)

وقد أدى ذلك التداخل فى اللغات - بين العربية وغيرهــا - إلــى انتشار اللحن ، مما مهد لظهور النحاة واللغوين بعد .

• تعددت الحروب بين الأمويين ومناوئيــهم كــالزبيريين والشــيعة والخوارج ، مما هيأ لشعر الحماسة سبيل القوة ، كما أن شعر الرثـاء

---

(١) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى ١٥٠ د/ شوقى ضيف
(٢) تاريخ الأدب العربى - العصر الإسلامى ١٧٠ د/ شوقى ضيف

للقتلى ازدهر أذدهارا كبيرا نتيجة صدق عاطفة الشعراء تجاه من يرثونهم وفى المقابل أيضا - كان انصراف كثير من الشعراء عن هذه الحياة الملأى بصليل السيوف ، وقعقعة السلاح وجرى الدماء أنهارا - إلى حياة الزهد والدعوة للعمل الصالح ، مما أثرى هذا النوع من الشعر وسجل الشعراء فى ذلك قصائد من أروع ما احتوه ديوان العرب ٠

- اتصل العرب بالثقافات الأجنبية ، ولعبت الترجمة دورا مهما فى نقل الفكر اليونانى والهندى إلى العربية ، وكان المنطق والفلسفة من اكثر العلوم التى اهتم بها العرب ، وحرصوا على قضيتهما مما لا يتفق مع روح الإسلام ، والأخذ بهما فى رد خصوم الإسلام ،وتأثر بعض الشعراء بذلك ، وأجروه على أساليبهم فى الشعر ٠
- اتجه بعض الشعراء إلى الزهد ، كأثر عكسى مباشر ، لما انتشر فى الأمة - نتيجة الفيء والغنائم من الفتوح - من مظاهر الثراء والترف واللهو والمرح - يعظون الناس ، ويذكرونهم بالآخرة والحساب والعقاب والجنة والثواب والنعيم المقيم ، وظهر لون من الشعر القصصى الملىء بالمواعظ والعبر ٠ ولم يكثر الوعاظ على باب كثرتهم على باب عمر بن عبد العزيز"[١]
- عاش بعض الشعراء جزءا من عمرهم فى الجاهلية وجزءا آخر فى ظل الإسلام ، وهم من أطلق عليهم (المخضرمون) وقد طبع الإسلام شعر هؤلاء المخضرمن "بطوابع جديدة ، نجدها تتمثل فى : التطور اللغوى ، والرقة اللفظية والوضوح المعنوى ، والتفرد

---
(١) زهر الأداب ٧١٠ الحصرى

بالنفحات الدينية التى أسبغها عليهم الإسلام والتعبيرات القرآنية التى اتخذت لها مدلولا جديدا ([1])

- كثرت المقابلات فى شعر تلك الفترة ، انعكاسا لما كان فيها من تناقضات فكرية وسياسية ، فجاءت المقابلة بين الجنة والنار ، والثوب والعقاب والضلالة والهدى والحسنة والسيئة ، فعبرت عن تلك الفترة تعبيرا صادقا لأن الشعر مرآة عصره.

- ظلت (الصورة الشعرية) محتفظة بطابعها القديم إلى حد بعيد ، لأنها مستمدة – غالبا – من البيئة ، ومصور لها ، فكان الشعراء – وبخاصة البدويون ، والذين لم يشاركوا فى الحروب – مرتبطين ببيئتهم ، يغترفون منها لصورهم ، حيث عاشوا مرتبطين بها. وقد جاءت صورهم تفيض حياة ، وتمتلىء بالحركة ، وتلبس العديد من صور التشبية والكناية والاستعارة ،مما يجعل صورهم حية تتقراها الأيدى باللمس ،لما تشيعه من ألوان وحركات .

- كان للسليقة العربية – أثر كبير فى تعبير الشعراء الذين حازوا من بلاغة المنطق وحسن البيان ، وجودة الإفصاح والإفهام ، فاستطاعوا أن ينالوا من سامعهم حسن الإصغاء والمتابعة والتأثر والإعجاب بديبا جاتهم الرائعة ، ورونقهم الرائق البديع ، وتميزت أشعارهم بفخامة اللفظ وشدة الأسر واحتذاء النماذج التراثية الأصيلة.

([1]) فصول من تاريخ الأدب العربى فى عصر الإسلام بنى أمية ٨٩ اد/ محمد عبد السلام صقر

• جاء الشعر فى وفادات العصر الأموى خلال خطب الخطباء ، ولم يجىء مستقلا كما رأيناه فى العصر النبوى ، حيث جاءت وفود بنى تميم بخطباء وشعراء ، وبعد أن انتهى الخطباء من خطبهم ، بدأ الشعراء فانتدب لهم النبى - صلى الله عليه وسلم - حسان بن ثابت الذى أبلى فى ذلك الميدان بلاء حسنا ٠

ب- **السفارة**

يقول ابن عبد ربه : هى مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، وتستهذب الألفاظ وتستجزل المعانى "لابد للوافد عن قومه : أن يكون عميدهم وزعميهم ...... فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن ألسنة ... وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى النبى (صلى الله عليه وسلم) أو خليفتة ، أو بين يدى مللك جبار فى رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ، ويتحفظ ممن أمامه أخرى، أتراه مدخرا نتيجة من نتائج الحكمة ، أو مستبقيا غريبة من غرائب الفطنة ، أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة ، إلا وهو عندهم فى غاية (الحذلقة واللسن ، ومجمع الشعر والخطابة ، ألا ترى أن قيس بن عاصم المنقرى لما وفد على النبى (صلى الله عليه وسلم) بسط له رداءه ، وقال : هذا سيد الوبر "[1]

من هذه المقولة ، نجد أن السفير :

١-مقامه مقام فضل ، يحتفى به ، ويستقبل استقبالا عظيما وينزل منزلة كريمة ، فهو ممثل أمة ، وسفير دولة ، له كل الاحترام وعليه تعلق الآمال ، فى الخير والسلام ، والمودة والوئام ٠

---

[1] العقد الفريد مجلد ١٠ ص٥

٢- ينبغى أن يكون ذا منزلة فى قومه ، كأن يكـــون عميدهـــم أو زعيمهم ، منه يستمدون قوتهم ، وله تكون طاعتهم ، فكره فكرهـــم وهدفه هدفهم ، تعدل عظمته فيهم عظمة القبيلـــة ، لأنـــه المتكلـــم باسمهم ، الناطق بإرادتهم ؛ ولذا أوجب الرسول صلـــى الله عليـــه وسلم تكريمه فقال "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه "

٣ - يلزم فيه أن يكون ممن يحسنون الكلام ، ويجيدون النطـــق ويتخيرون اللفظ ، ويقومون العبارة ، ويســـتعذبون الصياغـــة ويستصوبون المعنى.

٤ - يحسن مقابلة الملوك والرؤساء ، فيتحلى بالحكمة والكياســـة ويجيد التعامل مع ذوى المناصب والرياسة ، ليحقق لأمته ما تصبوا إليه من حسن السياسة وتوطيد أركان العلاقات مع من يبتعث إليهم بالحذلقة واللسن فينزلق إليهم بسحر البيان الـــذى يمـــازج الـــروح لطاعة ويجرى مع النفس رقة . والكلام الرقيق مصـــائد القلـــوب وإن منه لما يستعطف المستشيط غضبا ، والمندمل حقـــدا ، حتـــى يطفىء جمرة غيظه ، ويسل دفائن حقده " روى أن المهلب لما فرغ من قتل عبد ربه الحرورى دعا بشر بن مالك فأنفذه بالبشارة إلـــى الحجاج فلما دخل على الحجاج قال : ما اسمك ؟ قال : بشر بـــن مالك . فقال الحجاج بشارة وملك : كيف خلفت المـــهلب ؟ قـــال : خلفته وقد أمن ما خاف . وأدرك ما طلب قال: كيف كانت حـــالكم مع عدوكم؟. قال : كانت البداءة لهم والعاقبة لنا . قال الحجـــاج : العاقبة للمتقين . ثم قال : فما حال الجند ؟ قال : وســـعهم الحـــق وأغناهم النفل ، وإنهم لمع رجل يسوسهم سياسة الملوك ، ويقـــاتل بهم قتال الصعلوك ، فلهم منه بر الوالد ، وله منهم طاعة الولـــد .

قال :فما حال المهلب ؟ قال : رعاة البيات حتى يؤمنـــوه وحمـــاة السرح حتى يردوه٠

قال : فإيهم أفضل ؟ 'قال : ذلك إلى أبيهم ٠ قال : وأنت أيضـــا ٠ فإنى أرى لك لسانا وعبارة ٠ قال: هم كالحلقة المفرغة لا يــــدرى أين طرفها ؟ قال : ويحك ٠ أكنت أعددت لهذا المقام هذا المقال ؟ قال: لا يعلم الغيب إلا الله ٠

٥- يكون ملما بآداب قومه ، حافظا لأشعارهم ، عارفا بأســـــباب ثقافتهم ، ملما بأساليب خطابتهم جامعا لغرائب فطنتهم ٠

٦- يتحلى بالشجاعة ، والثقة بالنفس ، فلا يخشى ولا يخاف فــــهو يتسم بالحصانه (١)٠

ولن يتعرض لأى من ألوان الأذى أو التعذيب أو القتل فله الأمـــن والأمان والحماية ، مهما كان مضمون الرسالة التى يحملها ، ومهما كانت طبيعة العلاقات بين دولته والدولة المبتعث إليها من ســـلم أو حرب فالرسول لا يعاقب كما حكى صاحب الأغانى (٢) ٠

لما قتل ابن الزبير ، حج خالد بن يزيد بن معاوية ، فخطب رملـــة بنت الزبير بن العوام ، فأرسل إليه الحجاج حاجبه عبيـــد الله بـــن مواهب ، وقال له : ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبـــير حتـــى تشاورنى ، وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء ؟ وكذلك قـــال جدك معاوية ، وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة ، ورموه بكـــل قبيحة ، وشهدوا عليه ، وعلى جدك بالضلالة ٠ فنظر إليـــه خـــالد طويلا ، ثم قال له : لولا أنك رسول ، والرسول لا يعاقب لقطعتـك

---

(١) زهر الآداب ٧٨٧/٢ ، ٧٨٨ الحصرى ٠
العقد الفريد مجلد /٢ ص ٢ تحقيق / العريان ٠
العقد الفريد مجلد ١٠ ص ٥ ابن عبدربه ٠
(٢) الأغانى جـــ ١٧ ص ٣٤٣ ابن عبد ربة

إربا إربا ، ثم طرحتك على باب صاحبك ، قل له : كنــت أرى أن الأمور بلغت بك إلى أن أشاورك فى خطبة النساء ٠

٧- يلزم ـــ غالبا ـــ إلمامه بمضمون الرسالة التى يحملها ، حتـــى يستطيع الرد أو المناقشة إذا اضطر إليها ، أو سئل بشىء يتعلق بها وهو مؤتمن على ما يحمل من رسالة ، كما نلحظ اختلاف مضمون الرسالة بحسب الموقف الذى ترسل فيه

٨- ينبغى أن يكون ذا سمت حسن ، وصورة طيبة ، وهيئة رفيعـة تليق بمقام من ابتعثه ومن أرسل إليه ٠ يرتدى من الملابس أحسنها وأرقاها ، وقد مر بنا أن النعمان لما هجر ســفراءه إلـــى كســرى جهزهم أحسن تجهيز ، وألبسهم أفخر الثياب " ودعا لهم بمـــا فـــى خزائنه من طرائف حلل الملوك ، كل رجل منهم حلـــة وعمامـــة وختمه بياقوتة ، وأمر لكل منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة " (١)

٩- يغلب أن يكون رجلا ، أما فى الوفادة ، فيجوز أن تمثل المــرأة بواحدة أو أكثر

١٠- يحمل رسالة مكتوبة ، أو شفهية ، أما فى الوفادة فلا يحملون مكتوبا ويكون السفير واحدا ، أما فى الوفادة فيكونـــون جمعـــا أو واحدا ويكلف بسفارته من ملك أو زعيم ، أما فى الوفادة فلا يكلفون وإنما تكون وفادتهم بدافع ذاتى أو شخصى ٠

يستقبل السفير ـــ غالبا ـــ بالتقدير والتكريم وحسن الهيئة ٠ حدثنـا عبد الله بن عمرو ابن زهير عن محجن بن وهب عن أبى يســـرة الجهنى ، عن جندب ابن مكيث ، قال :" كان رسول الله ـــ صلـــى الله عليه وسلم ـــ إذا قدم الوفد لبس أحسن ثيابه وأمر علية القـــوم بذلك " فلقد رأيت رسول الله ـــ صلى الله علية وسلم يوم قدم وفـد

---

(١) انظر ص ٩٠ من الكتاب

كندة ، وعليه حلة يمانية وعلى أبى بكر وعمر مثل ذلــــك . [١]ــ وينبغى للسفير ــ غالبا أن يلم بلغة من يسفر إليهم ، وقد مر بنا أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ طلب من ســفرائه أن يتعلمــوا لغات الأمم المجاورة .

أما من حيث (أدب السفارة) فينبغى أن يكون تصويــــرا صادقــا للعصر بما يحوى من مظاهر سياســـية واجتماعيـــة واقتصاديـــة ودينية. فعبارات الرسائل تعكس أسلوب العصر ومزاياه ، وهـــى مرآة صادقة لما يجرى على ألسنة القوم من ألفاظ جزلة ، وعبارات قصيرة قوية ، وصور مستمدة من البيئة ، تعكس طبيعتها القاســية الجافية فى البادية ، أو يسرها وليونتها فى الحضر ، وهى أيضـــا تعكس ما يشغل أذهان مسئوليها من علاقات سياسية مع جيرانـــها ورغبتهم فى إقامة حسن جوار ، معهم ، وإرادة صادقة لحــل مــا يعترض مسيرة حياتهم من مشكلات . وقد مر بنا ما حــدث بيــن النعمان وكسرى ثم ما كان بين سفراء النعمان إلى كســرى كمــا تعبر الصور عن الواقع الاجتماعى ، بما فية من عـــادات وتقــاليد وظروف حياة من فقر أو ثراء كما تصور العوامل النفســية التــى يعيشها الإنسان العربى من اعتداد بالنفس واعتزاز بالانتماء إلـــى الأمة العربية ، وتقاليدها فى التعايش فيما بينها أو مع غيرها .

وفى العصر الإسلامى

كان لأدب السفارة رسالة أشرف وأعظم ، فقد اتخذها الرســول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسيلة لنشر الدعوة ، كما اتخذها طريقا إلى تأمين المسلمين وحمايتهم فى مهجرهم بالحبشة ، حينمــا حــاولت قريش أن تنال من المهاجرين الأوائل من المسلمين ، الذين وجههم

---

(١) الطبقات الكبرى ٤/ ٣٤٥ ، ٣٤٦ ابن سعد

الرسول ــ عليه الصلاة والسلام ــ إلى النجاشى فلما أرسلت قريش عمرو بن العاص لتأليب النجاشى على المسلمين وطردهم ، بعث له النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ رسالته لتأمين المسلمين وقراهم ، وقد استجاب النجاشى لتوصية الرسول صلى الله عليه وسلم ــ وأكرم وفادة المسلمين ، ورفض مطلب وفد قريش بتسليم المسلمين لهم.

ونلحظ هنا :

١-أن بعض الرسائل كانت للدعوة إلى الإسلام ، والدخول فيه وترك الشرك وعبادة الأصنام أو الأديان الأخرى ، التى جاء الإسلام فأبطلها .

٢-بعض الرسائل الأخرى كانت بمثابة عهود وعقود ومعاهدات أمن من الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لحامليها أو لقبائلهم.

٣-بعض الرسائل كان شفهيا ، حمله الرسول السفراء إلى ذويهم.

ويمكن القول : إن رسائل النبى ــ صلى الله علية وسلم ــ كانت رسائل سياسية ، ومن أبرز خصائصها:

١-تحمل كل رسالة طابعا خاصا ، فهى لا تتشابه ، لاختلاف وقتها ، وظروفها ومن ترسل إليه .

٢ ــ تشترك رسائله ــ صلى الله عليه وسلم ــ من الناحية الشكلية.

إذ تبدأ بالبسملة ، يليها ذكر المرسل ، وهو النبى ــ صلى الله عليه وسلم . فيقول :" من محمد رسول الله " ثم يأتى بعد ذلك اسم المرسل إليه :" إلى فلان .. " ثم التحية ، فإذا كانت الرسالة موجهة إلى مسلم . قال : " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " وإذا كانت

لغير مسلم يقول : " السلام على من اتبع الهدى " أو :" سلام علـــى من اتبع الهدى " أو : سلام على من آمن " [١]

ثم تدخل الرسالة إلى صلب الموضوع الذى صيغت من أجله فـــإذا كانت الدعوة إلى الدخول فى الإسلام ، جاء قوله صلى الله عليـــه وسلم : " سلم أنت أو أنتم • أو " سلام أنتم " أو " أسلم تســـلم " أو فإنى أدعوك إلى الإسلام" وكلها عبارات تحث على الدخـــول فـــى الإسلام ، والانضواء تحت لوائه • وقد تحمل الرســـالة عبـــارات للتحذير أو الوعيد • كقوله :" فإن توليت فعليك إثم ... " •

وهكذا تمضى الرسالة صريحة واضحة ، لا التواء فى عباراتها ولا غموض • بل بيان نبوى كريم •

ثم تختم الرسالة بقوله : " فإنى أحمد إليك ــ إليكم ــ الله الـــذى لا إله إلا هو ، وقد يذكر الشهادة•

وكانت كتب سفرائه وأمرائه تشبه فى مطلعها وختامها وأســـلوبها منهج كتابته صلى الله عليه وسلم فى رسائله •

كذلك رد عليه بعض من كتب إليـــهم كالنجاشـــى ملـــك الحبشـــة وكالمقوقس عظيم قبط مصر ، على نفس المنهج والأسلوب •

وقد يظن بعض الكتاب المحدثين أن ردود بعض الملـــوك دخلـــها التغيير والتبديل ، لما تحمل من ملامح إسلامية ، ولكن إذا علمنا أن بعضهم أسلم كالنجاشى ، فما المانع من ذلك ، أضف إلى أن لغتـــهم ــ غالبا ــ كانت غير العربية •

فكان للترجمة ، أو المترجم إلى العربية دور فى مجـــىء الصيغـــة على تصوير عربى البيان

---

(١) الكتابة والكتاب فى عهد الرسول (ص) ٦٦

" كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصنــع نصــب أعينــه أشخاص المكتوب إليهم ، فيكلمـــهم ويكتــب إليــهم بمــا يقــارب لهجاتهم"(١) .

وجاء فى بعض رسائله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تتــابع الجمــل القصيرة ، مع وجود العاطف ، وإن كانت غير متصلة المعانى ولا يربط بينها غير الغرض العام ، وهو الإرشاد والتوجية "(٢)

كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم يســتأنس بــالقرآن الكريــم فيرصع أسلوبه ببعض آياته ، أو يطعمه ببعض مفرداته ، وقد تأتى الرسالة كلها قرآنية ، من ذلك رسالته إلى هرقل عظيــم الــروم ، وفيها يقول :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقــل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد ، فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . أسلم تسلم ، وأسلم يؤتــك الله أجرك مرتين . فإن توليت فعليك إثم الأريسيين(٣) و"يــاأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فــإن تولــوا فقولوا شهدوا بأنا مسلمون "(٤) .

رسائله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تقوم على مراعاة مقتضى الحال عند المرسل إليه ، كما جاء فى رسالة إلى النجاشى ـ وكان نصرانيا لم يسلم بعد ـ فقد أكثر له من ذكر عيسى عليــه الســلام

(١) الكتابة والكتاب فى عهد النبى (ص) ٧٦
(٢) السابق
(٣) الإريسيين م . أريسى . أى الفلاح
(٤) سورة الأعراف الآية ٦٤

حيث يقول : " وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه . وأما كتبه فى الأمان ، فهى تتميز بالقصر والإيجاز ، وقد تتشابه فيها عبارات مثل : " من حاقه فلا حق له ، وحقه حق . وبل بحتو صوفه ، ولهم ذمة الله وذمة رسوله ... وفى المعاهدات كان الأسلوب يغلب عليه الطول والإسهاب والتفصيلات

ولعل من أهم خصائص كتاباته صلى الله عليه وسلم —

- **اليسر والسهولة .** حتى يمكن إفهام من ترسل إليه .
- **الإيجاز .** فهو يؤدى ما يريد من المعانى بأقل الألفاظ . أوفى جوامع الكلم
- **التزام بعض العبارات المعينة وتكرارها .** مثل : الليل مد النهار شد"
- **الإتيان ببعض الصور البلاغية .** كالتشبيه والمجاز ، والجمل التى تشبه الأمثال مع قلة الاستعارة . من مثل قوله فى رسالة لهوذة (شيخ اليمامة) " واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر "
- خلو كتاباته — صلى الله عليه وسلم — من الصنعة اللفظية والمحسنات البديعة ، ومن التعمل والتروى " [1] فما جاء منها فهو طبعى فطرى .
- فكان أسلوبه سلسا فصيحا جامعا مانعا بريئا من التكلف
- **وفى عصر الخلفاء الراشدين**
- كان المنهج محمديا ، وسار الخلفاء سيرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى كتاباته ، منتهجين نفس المنهج الذى سلكه

---

[1] الكتابة والكتاب فى عهد النبى (ص) ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ .

وإن دعت ضرورة الأحداث والوقائع إلـــى اســتحداث جديــد كحركة الردة التى استوجبت أن يكتب الصديــق رســائل مــع أصحاب الألوية ، فيها نداء ودعوة للخارجين كى يعودوا إلـــى الإسلام وإلا كانت الحرب جزاءهم العادل ٠

وفى عهد عمر ــ رضى الله عنه ــ تتسع أرجاء الدولة ، فيــدون عمر الدواوين ، إذ رأى الحاجة ماسة إليها ، لتنظيم شئون الدولـــة ويتخذ من كتاب الدواوين كتابا لرسائله ٠ وربما أرسل كتبـــه فـــى تعيين بعض القضاة ٠

ويستمر الحال إلى عصر بنى أمية ، وفية تتسع الحركة التدويـــن فتدون الرسائل السياسية والشخصية ، وتأتى رسالة الحجـــاج إلـــى قطرى بن الفجاءة ، ورد الأخير ، أنموذجا على هذه الرسائل

وهى تعتمد على :

- اختيار الألفاظ
- الإتيان بالسجع
- فيها إيهامات وادعاءات

ومن مميزات أسلوبها أيضا :

-سهولتها ووضوحها وقصدها إلى الغـــرض ، وبعدهـــا التكلـــف، وخلوها من عبارات التفخيم ، وتأثرها بالقرآن وأسلوبه واقتباســـها منه

- ميلها إلى الإيجاز . حتى لقد كتب خالدين بن الوليـــد ٠ وهـــو محاصر بدومة الجندل يقول فيها : "من خالد إلـــى عيـــاص .. إياك أريد "
- كانت الرسائل تبدأ : باسمك اللهم ، ثم يقول من فلان إلى فلان ثم يلى ذلك غالبا قولهم : السلام عليكم ، أو السلام على مــــن

اتبع الهدى ، ثم يثنون بقولهم " إنى أحمد الله إليك ، ثـم يـأتى الكاتب غالبا بأما بعد ويذكر غرضه الـذى يكتـب لأجلـه ، ويختمها بقوله : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته " ٠

"ولم تكثر الرسائل السياسة بين الخلفاء وولاتهم كما كثرت فى عهد عبد الملك ، وخاصة بينه وبين الحجاج ؛ لكثرة ؛ الفتن والثـورات التى تشبت فى العراق وخرسان "(١) ٠

وكان الحجاج نفسه يكثر من الكتابة إلى قواده ويكثرون من الـرد عليه (انظر : الطبرى) وشاعت إلى جانب الرسـائل السياسـية الوعظية ٠ الرسائل الشخصية التى كان أصحابها يكتبونها متأثرين بالعوامل النفسية والاجتماعية ٠ كتأثير الشوق عليهم إلـى ذويـهم وأصدقائهم ، نتيجة بعد الشقة بينهما ، لا تساع أرجاء الدولـة ، أو للتهنئة أو الشفاعة أو العتاب أو الاعتذار

وهذا اللون من الرسائل كان يقوم على العنايـة الشـديدة باختيـار الألفاظ وحسن تنسيقها ، وإحداث التوازن الموسيقى بين أطـراف الكلام ، مع دقة التعبير ، وتجلية المعنى ، واستخدام الخيـال فـى تصوير ما يعتلج فى الحنايا ، وما يفور فى الصدور من شـوق ٠ وهذا اللون هو ما عرف بعد بالرسائل الإخوانية ــ

ففى عهد معاوية نراه يتخذ ديوانين هما : ديوان الرسائل وديـوان الخاتم ، وعين فى هذه الدواوين كتابا يقومون بتدوين الرسـائل ، وهى التى عرفت باسم الرسائل الديوانية ، وهى التى تصدر عـن الخليفة أو أحد ولاته إلى الدواوين أو الأشخاص ٠ فهى تعتمد على:

(١) تاريخ الأدب العربى ــ العصر الإسلامى ٤٦٠

- التعبير الموجز السريع ، مع الخلو من العاطفة أو الخيال ، مع طلاوة اللفظ وحسن الديباجة ، وسلوك المسالك إلى الإقناع ودقة المداخل .

- ونجد أن هذه الدواوين قامت لتخفيف الأعباء عن الخلفاء وتقليل مسئولياتهم إذ إن " الخليفة لم يعد يملى كتبه على كتابه كما كان الشأن فى القديم ، بل أصبح الكاتب يكتب الرسالة ، ثم يعرضها عليه "(١) .

- وقد أدى ذلك إلى ظهور كتاب شهد لهم التاريخ بالباع الطويل فى ميدان الكتابه مثل : عبد الحميد الكاتب ، الذى تدرج فى المناصب حتى تولى رئاسة ديوان مروان أخر خلفاء بنى أمية فى المشرق ، وقد كان ينتخب ألفاظه فلا يكون فيها توعر ولا غريب وحشى ، وإنما تمتاز بالحلاوة والعذوبة ، مع المعانى الغزيرة المرئية الخالية من الغموض والخفاء مع عناية بالترادف والازدواج والموسيقى والتحلية بالمحسنات التى تضفى على الأسلوب روعة بيانية خلابة .

- وفي العصر العباسي :

اتسعت أرجاء الدولة اتساعا كبيرا ، وتكونت فى غضون حكمها مذاهب وتيارات وفرق متعددة ، وكثرت الثورات والنزاعات بين طوائفها ، إلى جانب الحريات الواسعة التى نعم بها أبناء الأمم الأخرى ، كما ورثت الثقافة العربية حضارات متعددة ، وقامت الترجمة بنقل ثقافات أمم أخرى إلى العربية ، واتسعت العقول نتيجة تعدد الثقافات ،.

---

(١) نفسه ٤٧١

كل ذلك أدى إلى نهضة رائعة فى مجالات النثر العربى ، وبخاصة الرسائل التى حلت مكان الخطابة والتى تميزت بالخصائص الآتية

- **دقة الأفكار** : نتيجة التأثر بما نقل من علوم الفلسفة والمنطق وتأثر الكتاب بهما
- **عمقها وغزارتها** : نتيجة التأثر باتساع الثقافة ، والاطلاع على علوم وثقافات الأمم المختلفة ·
- **الميل إلى التسلسل والترتيب المنطقى** · نتيجة ما وجده أدباء العربية فى الآداب الأجنبية
- **الاتجاه إلى الاستقصاء والاستطراد** · نتيجة الاحساس بإيفاء الموضوع حقه من الدراسة والإحاطة ·
- **كثرة الصور البيانية من تشبيهات واستعارات** · نتيجة زيادة التحضر والرقى الذى تعيشه الأمة وتزاوج العرب بغيرهم من شعوب أخرى وانتشار مظاهر الترف والثراء ·
- **غلبة المحسنات البديعية** : نتيجة اتساع الثقافة اللغوية والبلاغية
- **تنوع الأسلوب بين المجاز والإطناب والمساواة** · طبقا لأهمية الموضوع ·
- **اتخاذ تقاليد خاصة** · فى العمل الأدبى · من بدء وعرض وخاتمة ·
- **كثرة الاستشهاد** · بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، والشعر والحكم والأمثال
- **سهولة الألفاظ ورقتها** : تعبيرا عن الحياة التى يحياها الأديب
- **دخول بعض الألفاظ الأجنبية** : فى الأساليب العربية ، انعكاسا للاختلاط الثقافى والاجتماعى والسياسى ·

ومن أبرز الكتاب فى هذا المجال (ابن العميد) الذى يغلب علـــى أسلوبه :

- إثارة الوجدان بالعبارة العاطفية والصور الخياليـــة ، والـــتزام السجع القصير الفقرات ، والجناس ، وتضمين الملح التاريخيـــة والعلمية والاستشهاد بالشعر ، والعناية بـــالمعنى . قـــال فيـــه المتنبى :

عربى لسانه ، فلسفـــى رأيه ، فارسية أعيـــاده
خلق الله أفصح الناس طرا فى زمان أعرابه أكراده

<u>ثانيهما</u> : (القاضى الفاضل) الذى يقوم أسلوبه على :

- توخى السجع والمحسنات .
- المغالاة فى استعمال التورية والجناس والمطابقة.
- تحول الكتابة فى عهده إلى صناعة أثرت سلبيا على النثر الأدبى
- انصرف الأدباء عن المعانى والأفكار ، حيث ركزوا اهتمامهم على الألفاظ والإكثار من الزخارف اللفظية والمحسنات البديعية
- اتجاه النقاد إلى تصوير رحلة النثر هذه ، مبينين أثر الكتابة بقولهم " بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد "

ولله الحمد أولا . وآخرا .

خاتمـــة

وبعد ، فهذا ما أفاء الله تعالى على من فضله ، بذلت فيه جهدا أرجـو أن ينال ثواب الله ، ورضاء من يقرأ هذا العمل.

ولقد حرصت أن أجمع فيه نصوصا من العصر الجاهلى حتى الدولـة العباسية حتى لا يتسع العمل ، ولعل فى حال الوفادة والسفارة بعد تلـــك الفترة ما يشفع لى فى الاكتفاء بهذا القدر ، وإن كانت قـد اتخـذت فـى العصر الحديث اتجاهات جديدة ، واتسعت اتساعا يحتاج إلى عمل جديد

فالله — تعالى — أسال ، أن يكلل مسعاى بالتوفيق ، وأن أضيف بهذا العمل قطرة فى بحار الأدب العربى ، يثرى العقلية العربية ، وينـــهض بخدمة لغة القرآن الكريم ، إنه سميع مجيب.

" ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم "

الدكتور

رفعت زكى محمود

ثبت المراجع

١- القرآن الكريم ٠
٢-الأدب العربى فى العصرين العباسى الثانى والأندلسى ٠ د/ محمد إسماعيل شاهين ٠ م ٠ منيرفا ٠ ١٩٨٣
٣-إعجاز القرآن ٠ الباقلانى ٠ دار المعارف
٤-أعلام النساء فى عاطى العرب والإسلام ٠ عمر رضا كحالة ٠ مؤسسة الرسالة بيروت ٠ ١٩٨٢ ط٤
٥-الأغانى ٠ أبو الفرج الأصبهانى ٠ الهيئه المصرية العامة للكتاب مصر
٦-الأمالى ٠ ابو على القالى ٠ الهيئه المصريه العامة للكتاب ١٩٧٥
٧-- أمالى ابن دريد ٠ ابن دريد
٨-الإمامة والسياسة ٠ أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى ٠ مؤسسة الحلبى القاهرة ٠ د٠ت
٩-أسرار الحماسة ٠ السيد على المرصفى ٠ مطبعة أبى الهول القاهرة ٠ ١٩١٢
١٠- البداية والنهاية ٠ ابن كثير ٠مكتبة المعارف ، بيروت ط٢ ٠ ١٩٧٧
١١- البيان والتبيين ٠ عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ٠ مطبعة الخانجى ـ القاهرة ١٩٧٥
١٢- تاريخ الأدب العربى ـ العصر الجاهلى ٠ د٠ شوقى ضيف ٠ دار المعارف ـ مصر ٠ د٠ت
١٣- تاريخ الأدب العربى ـ العصر الإسلامى ٠ د٠ شوقى ضيف ٠ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٣

١٤- تاريخ الأدب العربى ـ العصر العباسى الأول . د. شوقى ضيف ١٩٦٦ط٦

١٥- تاريخ الأدب العربى ـ العصر العباسى الثانى . د. شوقى ضيف . دار المعارف ـ مصر ط٣

١٦- تاريخ بغداد . الخطيب البغدادى . بيروت

١٧- تاريخ الأمم والملوك . أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . بيروت

١٨- الثعالبى ناقدا فى يتيمة الدهر . د/ حامد محمد الخطيب . مطبعة الأمانة ـ شبرا / ١٩٨٨

١٩- جهرة أشعار العرب . أبو زيد القرشى . ت / البجاوى . م. نهضة مصر / ١٩٦٧

٢٠- جهرة خطب العرب . أحمد زكى صفوت . م.الحلبى. القاهرة. ١٩٦٢ طـ ٢

٢١- جواهر الأدب . أحمد محمد الهاشمى . دار الكتب العلمية ـ بيروت / ١٩٧٨ ط٢٩ .

٢٢- حلية الأدباء . أبو نعيم الأصبهانى

٢٣- حياة الصحابة . محمد يوسف الكاند هلى . دار المعارف العثمانية ـ الهند نشر مكتبة الدعوة الإسلامية .

٢٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . ابو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى . السلفية ١٣٤٧ هـ

٢٥- دراسات فى الأدب العربى على مر العصور . شاكر محمود سعيد . م. الرسالة ـ الرياض .

٢٦- زهر الآداب . الحصرى . ط/ دار إحياء الكتب العربية .

٢٧- سفراء النبى (ص) وكتابه ورسـائله • د• مختـار الوكيـل • سلسلة كتابك ٩٦ دار المعارف ــ مصر ١٩٧٨

٢٨- السيرة النبوية • ابن هشام • ت• أحمد حجازى • دار الـتراث العربى / مصر • ١٩٤٧

٢٩- السيرة النبوية • ابن هشام • ط• بيروت ٦٠٧هـ

٣٠- شرح صحيح البخارى • زروق الفاسى • ت/ عزت على عطية • مطيعة حسان القاهرة

٣١- الشعر العربى • ضوابطه ومؤسيقاه • ١•د/ محمد أحمد سـلامة م• المحمدية ــ القاهرة • ١٩٩٧

٣٢- الشعر والشعراء • ابن قتيبة • ت/ أحمد مجمـد شـاكر • دار المعارف مصر • ١٩٧٧ط٣ •

٣٣- صحيح البخارى • الإمام البخارى • دار الفتـح الإسـلامى • اسكندرية

٣٤- الطبقات الكبرى • ابو عبد الله محمد ابن سعد بن منيع الزهـوى • دار الكتب المصرية •

٣٥- العقد الفريد • أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى/ ت• محمـد سعيد العريان • دار الفكر ــ مصر • ١٩٤٠

٣٦- العقد الفريد • أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى / ت• أحمـد يسرى العزباوى • دار الإمام على • مصر • ١٩٩٢

٣٧- العمدة • ابن رشيق القيروانى • ط حجازى • ١٩٥٤

٣٨- غمرو بن العاص • بسام العسلى • دار النفـائس / بـيروت • ١٩٨٥ط٦ •

٣٩- عيون الاخبارابن قتيبة

٤٠- فصول من تاريخ الأدب العربى فى عهد صدر الإســلام ٠ ا٠د/ مجمد عبد السلام صقر

٤١- الكتابة والكتاب فى عهد الرسول (ص) ٠ د٠ محمد جمعـــة ٠ دار الأرقم ــ مصر ٠ ١٩٩١

٤٢- المزهر ٠ الإمام جلال الدين السيوطى

٤٣- مع المتبنى ٠ د٠ طه حسين ٠ دار المعارف ٠ ١٩٨٦ط١٣

٤٤- معجم الأدباء ٠ شهاب الدين أبو عبد الله يـــاقوت ٠ دار إحيـــاء التراث ــ بيروت

٤٥- معجم الأدباء ٠ الحموى الرومى البغدادى ٠ ط٠ عيسى الحلبـــى ــ مصر ٠ ١٩٤٧

٤٦- من صحائف الأدب العربى فى العصر الإسلامى ٠ ا٠د٠ الســـيد محمد ديب ٠ ١٩٩٤

٤٧- الموشح ٠ المرزبانى ٠ ط٠ السلفية ٠ ١٣٤٣ هـ

٤٨- نصوص مختارة من الأدب العباسى ٠ ا٠د/ حسن أحمد الكبير ٠ ١٩٩٨

٤٩- نصوص مختارة من العصرين الجاهلى والإسلامى ٠ ا٠د/ محمد عبد السلام صقر ٠ ١٩٨٦

٥٠- نهاية الأرب فى فنون الأدب السفر ١٨ ٠ شهاب الدين أحمد بـــن عبد الوهاب النوير ٠ مطبعة دار الكتب المصرية / ١٩٥٥

٥١- وفيات الأعيان وأبناء الزمان ٠ أبو شمس الدين أحمد بن محمـــد بن أبى بكر بن خلكان ٠ دار صادر بيروت / ١٩٧٠

ب-الدوريات

ا-جريدة الأهرام فى مقال د / بنت الشاطىء

ج-المعاجم

١ - تاج اللغة وصحاح العربية • الجوهـــرى • القـــاهرة •
١٩٨٢

٢ - القاموس المحيط • مجد الدين بن يعقوب الفيروزابادى •
مؤسسة الرسالة ـ بيروت / ١٩٨٧

٣ - لسان العرب • أبو الفضل محمد بن مكرم بـــن منظـــور • دار
المعارف ـ مصر

٤ - لسان العرب • أبو الفضل محمد بن منظـــور • دار صـــادر ـ
لبنان

٥ - المصباح المنير • المقريزى • ط• مصطفى الحلبى ـ القاهرة

٦ - الوسيط • (لجنة) إبراهيم مصطفى وآخرون • المكتبة العلميـــة
ـ طهران

٧ - الوسيط • (لجنة) إبراهيم مصطفى وآخـــرون • دار الدعـــوة
تركيا اسطنبول • ١٩٨٦

٨ الوسيط • (لجنة) إبراهيم مصطفى وآخرون • مكتبة الحرميـــن ـ
الرياض •

فهرس الموضوعات

((تم بحمد الله تعالى))

رقم الإيداع بدار الكتب
والوثائق القومية
٩٨ / ٤٧٥٨
الترقيم الدولي
I.S.B.N.
977-280-176-0